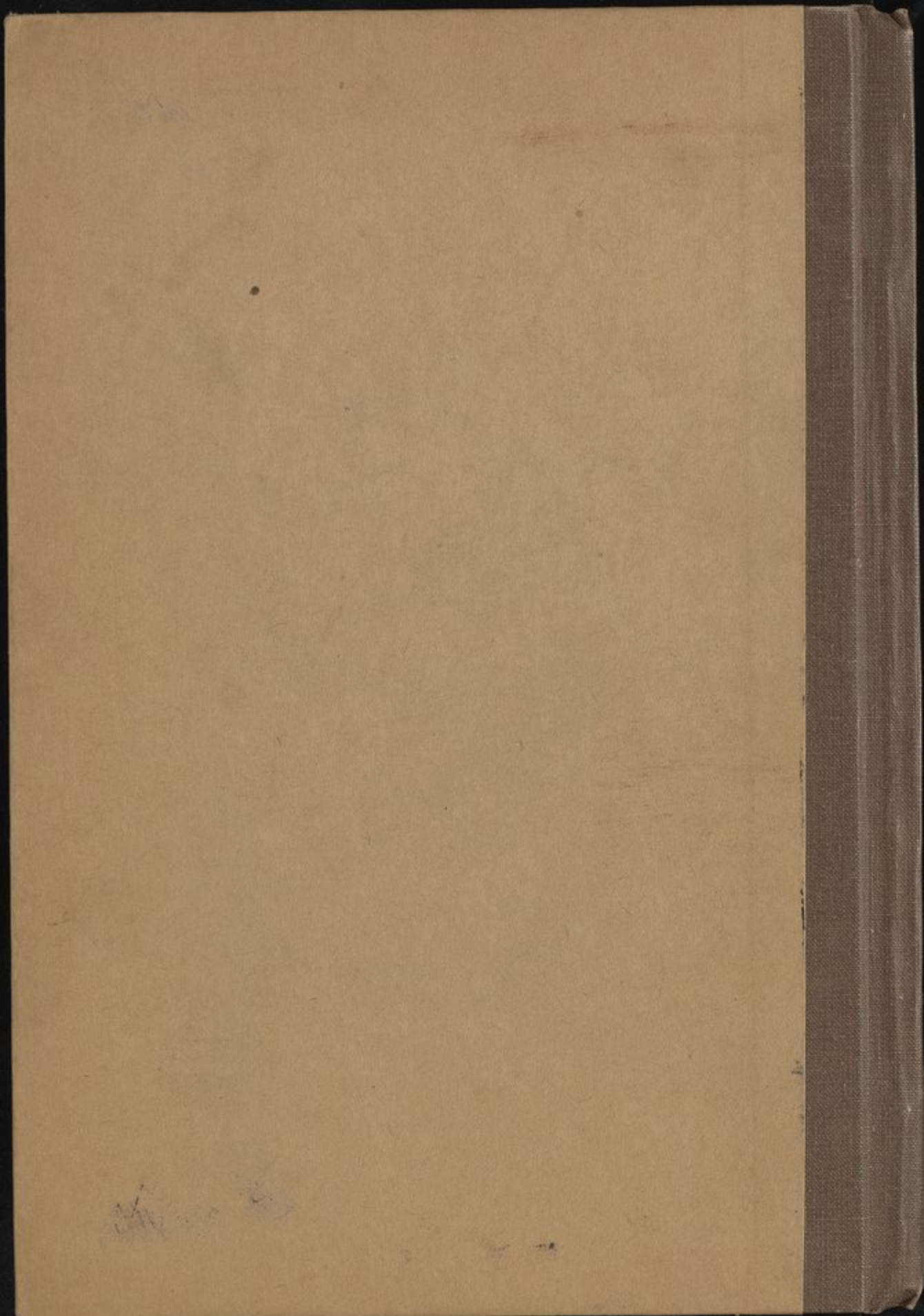
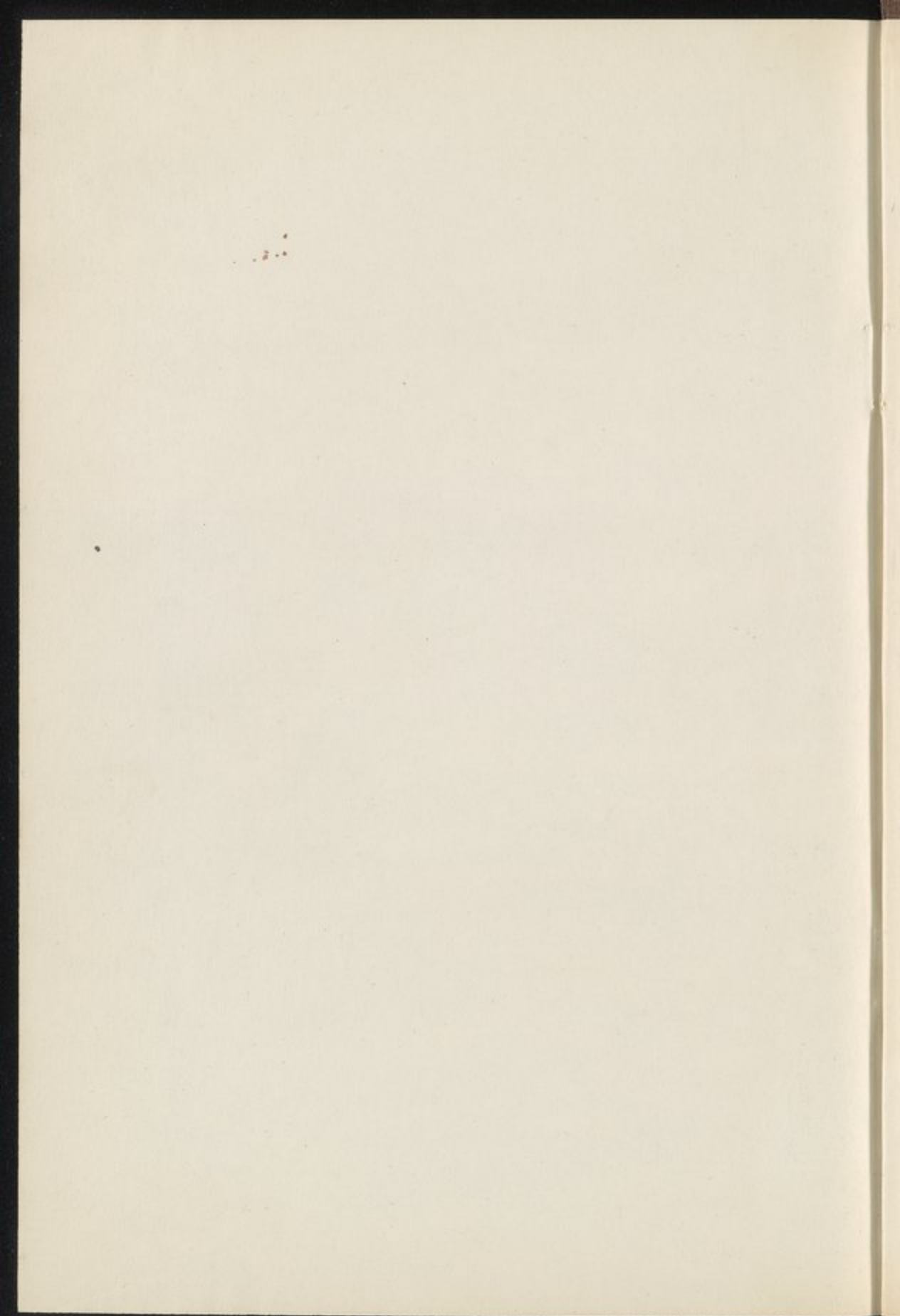


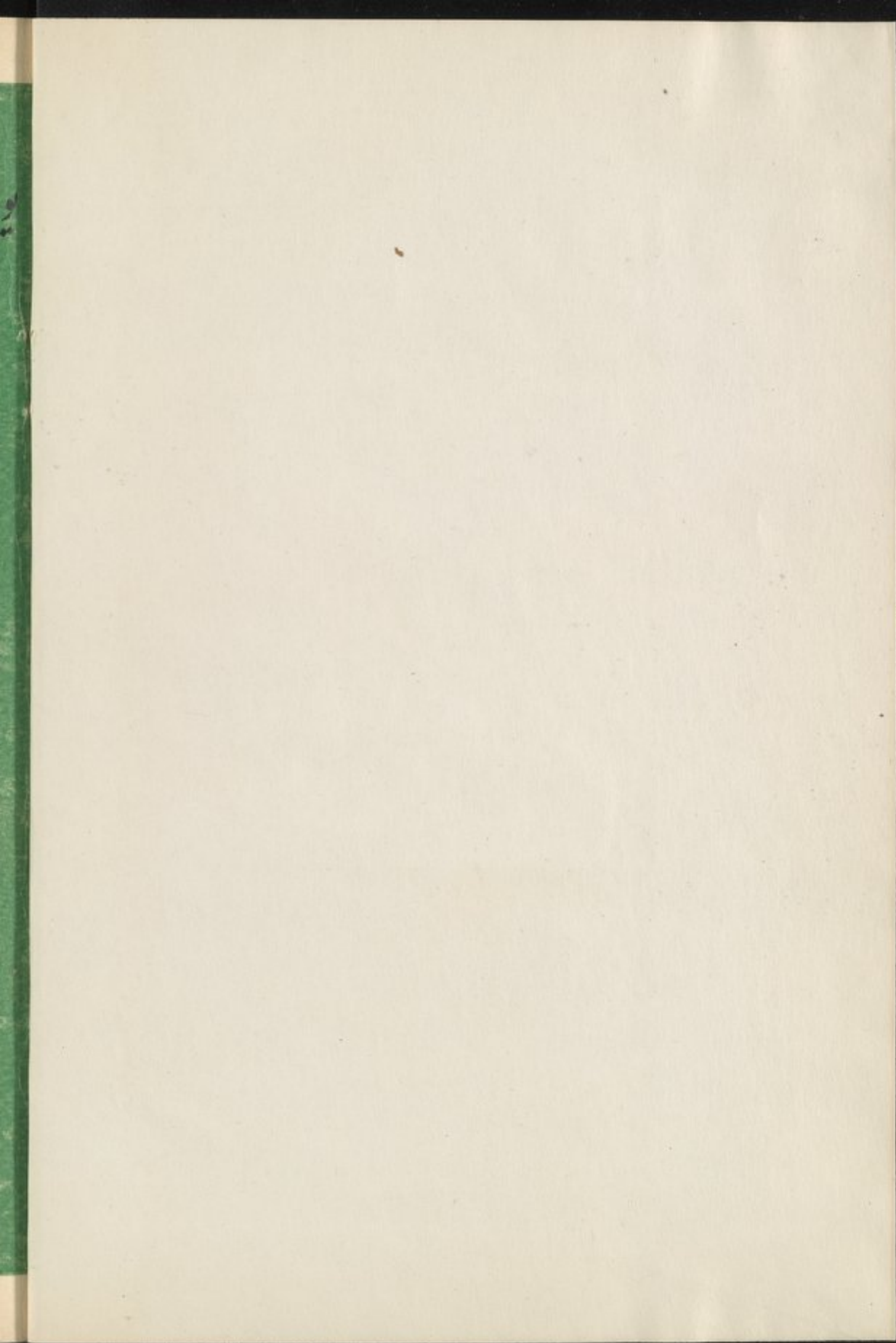


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



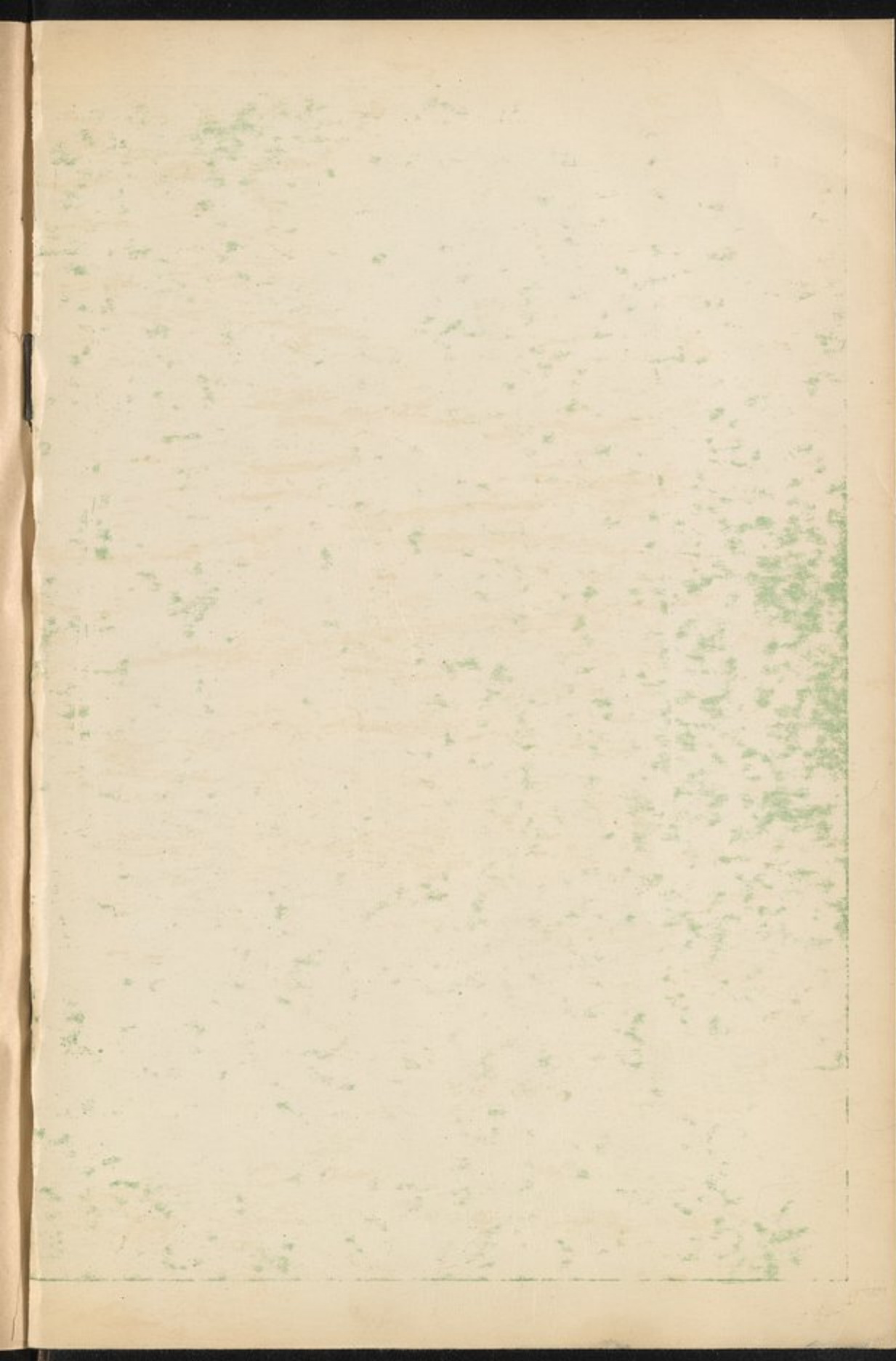




يوسف عز الدين

الشَّعْرُ الْعِرَاقِيُّ الْحَثِيثُ
وَأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

سأعدت وزارة المعارف على نشره



الشعر العراقي الحديث

وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

الدكتور يوسف عز الدين

مدرس الادب الحديث
كلية الآداب - جامعة بغداد

ساعدت وزارة المعارف على نشره

مطبعة أسعد - بغداد

(١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م)

893.782

I 29

الى

استاذي العلامة محمد خلف الله احمد . .
هدية اكبار واعتراف بجميل الفضل
وسداد التوجيه .

264/2H

فهرست الشعر العراقي الحديث

الصفحة

٣

المقدمة

الفصل الاول : الشعر العراقي في العهد العثماني

المجتمع العراقي ومشكلاته

الاتجاه الاسلامي

الدستور العثماني

حروب الدولة العثمانية

الفصل الثاني : اثر الحرب العظمى الاولى

اهم معارك الحرب العظمى

معارك العراق

الاحتلال البريطاني

الحرب والسلم

الفصل الثالث : الثورة العراقية

مبهدات الثورة

التحريض على الثورة

المقاومة العلنية

عرش العراق

الفصل الرابع : مشكلات العراق السياسية

حالة العراق العامة بعد الثورة

اثر الانتداب البريطاني

الشعر والمعاهدات والسياسة

عبدالمحسن السعدون

الفصل الخامس : اثر الحياة الاجتماعية في الشعر

مشكلات الحياة الاجتماعية

مشكلة المرأة

الفلاح والاقطاع

مشكلة الجهل

الملاحق :

المصادر

كشاف

خلاصة الكتاب باللغة الانكليزية

فهرس الكتاب باللغة الانكليزية

لك ايها القاريء

الكتاب جزء من كيان الكاتب ، وقبس من روحه ودمه وقلبه ، يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ، ويتعهد به بكل ماله من قوة ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور . حتى يستوى على ساقه فتعجب الباحث اصالته ويرضى عنه .

وهذا الكتاب جزء عزيز عليّ فقد صرفت معه احلى سنيّ حياتي راضيا مسرورا ، لاني شغفت بالشعر طفلا ، وزهوت بحفظه يانعا ، ورضيته معبرا عن احساساتي شابا يافعا ، ونما معي حب الشعر وموسيقاه ، ونمت معي عواطف الشعراء واحلامهم ، وكنت منكبا عليها تغمرني اللذة والرضا ، ويدفعني الشوق واخذت اجمع ما يقع بين يدي من مختارات ثم امزقتها عندما ابلغ من العمر مرحلة ، وجمعت دواوين الشعراء على اختلاف انواعها غير مفرق بين قديم وحديث ، حتى جمعت مالم اكن افهمه واطلب شرحه من مدرسي فيضجر من الالحاف ظانا انني امتحن قدرته .

وقد استهواني الرصافي لانه كان ينبض بالحياة التي نحيها ، وكتبت عنه اول بحث في الجامعة . وقد كانت التفاتة كريمة من استاذي العلامة محمد خلف الله احمد عندما اصطفاني طالبا لاكمال الماجستير تحت اشرافه وهو الشاعر الرقيق والذواقة المرفه الاحساس ، واقترح عليّ ان اكتب عن (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) فسرت في هديه ، وتحت دربته ، ووفقت بما بذله لي من عون لا ينسى ، وتوجيه لا يبلى . وسرت في الطريق العلمي حتى وصلت القرن العشرين الذي احسست بالامه ، وشعرت باوجاعه . فكان كتابي هذا (الشعر العراقي الحديث) الذي كلفني ماكلفني اخوه الاول .

وبدأت قصة هذا الكتاب عندما عدت الى العراق بعد الحصول على الماجستير

فاخذت اطالع الجرائد العراقية من صدورها واتخذتها قاعدتي الاولى في البحث لان ماينشر فيها لا يغير متى اختلفت سياسة الحكومة واتجهت وجهة جديدة . وتبقى قوة الشعر وشعور الشاعر دون تبديل او تغيير حتى اذا غيرَها خوفا او رهبة او طمعا . وسافرت الى البصرة في صيف العراق ووجدت في مكتبة باشا اعيان بعض هذه الجرائد وكنت خلال عملي في تفحص الجرائد ابعث برسائل دورية للشعراء صغيرهم وكبيرهم مغمورهم والمشهور منهم واتصلت بمن اعرف منهم - واعرف جلهم - كما اعلنت اعلانات متنوعة في الجرائد والمجلات راجيا فيها الشعراء ان يتفضلوا بمساعدتي ، ومنهم من لم تتح لي الظروف للتشرف بمعرفتهم . ولما انجزت ماقدرت على انجازه في العراق سافرت الى تركيا وبحثت في مكتبات الاسطانة وذهبت الى باريس وفتشت في المكتبة الوطنية ومكتبة فرسايل وفي اثناء اقامتي في انكلترا بحثت في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة معهد اللغات الشرقية والافريقية وكانت معي خلاصة اخذتها من مكتبات بيروت والقاهرة والاسكندرية .

وبدأت في كتابة هذا الكتاب باللغة الانكليزية فكانت مشقة جديدة وجهدا عميق الاثر وخير معبر لهذا الجهد ما كتبته لصديق في اول ايام وصولي ل لندن قلت له (اكتب اليك والقلم يهتز فزعا من عميق مشاعري وحنيني الى الوطن وسأهتز منه فزعا عندما اكتب بعد ذلك باللغة الانكليزية) فقد كانت الترجمة وخاصة الشعر عسيرة عليّ لأنني حاولت نقل احساس الشاعر كما اتحسسها على ان احافظ على الذوق الاوروبي فحاولت ان اترجم حرفيا فلم يكن المعنى واضحا ثم اردت ان اترجم المعاني وكان من العسير عليّ ترجمة التورية والجناس والمحسنات اللغوية الاخرى بسهولة ويسر ، واخيرا مزجت بين الطريقتين فاستقام لي بعض الامر .

وعدت الى العراق بعد ان انهيت دراستي وعكفت على ترجمة ماكتبته باللغة الانكليزية فوجدته سهلا بسيطا اقرب الى لغة العلم منه الى لغة الادب فاضطرت الى اعادة الكتابة مرة اخرى ناسيا التكوين الذهني الذي اكتسبته في اوربا وحاولت ان اجليه عربيا سليما وعساي وفقت .

كان موضوع البحث شائكا لأمرين ، الاول : انه يبحث في امور ماكانت مقبولة رسميا وتجرب كاتبها الى المتاعب ، فقد تطرقت الى الاقطاع والفقر والمرض والجهل وذكرت اثر الاستعمار وموقف الحاكمين منه الذين كانوا في الحكم . والثاني : ان البحث يقدم الى جامعة انكليزية وانا عربي ابحت مشكلات وطني واكتبها للانكليز ، الذين سيقروون مصري ومستقبلي وطالما نصحت ان اترك هذا البحث وان لا اتطرق الى هذه المشكلات او ان اخفف من حقيقتها ولكني أبيت

الا- الماضي في الطريق السليم وابرز الحقائق ورسم صورة جلية صادقة عن العصر الذي ادرسه ، حسب طاقتي وقدرتي لان مشكلات العراق هي مشكلات العرب اجمع ومشكلات الانسانية جمعاء وتفهمها يعجل في حلها . وقد كانت هيئة الامتحان منصفة كل الانصاف فلم تتحيز رغم ما في البحث من حقائق مرة ، وأوصت بطبعه تقديرا له ، فضربت مثلا كريما في حرية الفكر وتقديسه .

بعد ان اتخذت الشعر قاعدة استند عليها عولت على توضيح الحياة السياسية والاجتماعية في دراسة التاريخ فوجدت شعر هذه الفترة مثل عصره اوضح تمثيل واصدقه . ووقفت البحث حتى سنة ١٩٣٩ لسببين ، الاول : ظهور اتجاهات جديدة على الشعر العراقي لم تكن متبلورة وكانت في فترة التطور ، والحكم على امر غير ناضج او مستقر لا يقره البحث العلمي ، ثم اتحت لي فرصة لاجراء كتاب آخر عن (الشعر العراقي المعاصر) سابحت فيه التيارات الشعرية التي عاصرتها وعشت في جوها . والسبب الثاني ، ان العراق بعد هذه الفترة مرّ بازمات سياسية دعت الى اعلان الاحكام العرفية ومنع كل شاعر لايسير في ركاب الحاكمين والاستعمار ان يعبر عن رايه ، وقيدت الآراء وضغطت على الحريات العامة وهددت المفكرين وساقته الى المعتقلات والسجون من ساقته واتهمت آخرين بتهم شتى ، فعاش الفكر في محنة جرته الى ركوده وضموره قواه ، فسجل التاريخ فترة تحكم فئة قليلة باكثرية ابناء الشعب محاولة توجيهها نحو الوجهة التي تريدها .

وليس هذا الكتاب كل ما كتبه باللغة الانكليزية فقد شمله الحذف والاطالة ليتناسب والذوق العام ولكنه يحوى الاسس الاولى واتجاهاتها وروحها فهو اكثر منها في بعض اقسامها واصغر منها في جميعها ولا بد من الاشارة الى انني درست تيارات العصر واعتمدت كثيرا على المنشور من الانتاج فان فاتني بعضه فماتركته اهمالا ، ومعدرة لمن لم اعرّف عليه .

حسبي انها محاولة من طالب ادب يقدمها للادب العربي الخضم اردت بها ان اخدم امتي ولست بالعالم الذي لا يخطئ او الكامل الذي لا يعتريه الشك ، ولكنني اقولها صريحة انني بذلت جهدي ووضعت عن كاهلي بعض العبء والقي تبعة نقصه على الشعراء والكتاب الذين يجدون فيه ما يقرّبه نحو الصواب والحقيقة ولا يفعلون ، سواء في النقد ام في النصح ام بالتقويم ولست بمستكثر على احد تقويمه ونقدي ونصحي وسيجدني من الراضين الشاكرين .

ولايسعني الا شكر اولئك الاجاويد الذين مدّوا لي يد المساعدة سواء في

انكلترا ام في العراق مهما كان نوعها سواء كانت اعارة جريدة ام كتاب ام تصليح
ملزمة من الملازم او جواب على رسالة كتبها له ام مساعدة في الكتابة على الآلة

الكتابة وهم كثر منهم الاستاذ الجليل الفريد كيوم A. Guillume

والاستاذ آربري A. J. Arberry والاستاذ سارجنت R. B. Serjeant

والاستاذ داود كـون D. Cown وجون كوكس J. Cox

وجون براون J. Brown واسرة فراير Frier والدكتورة

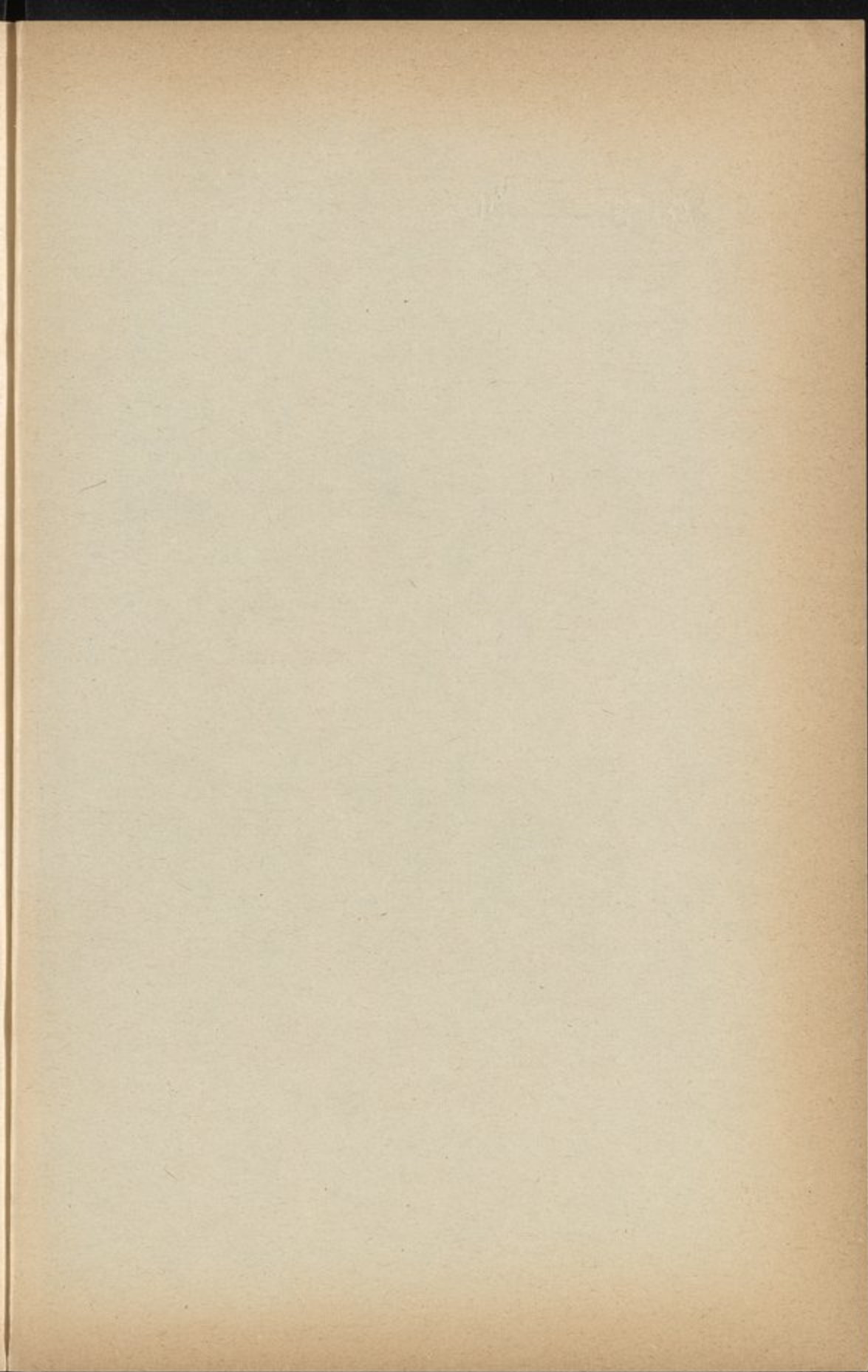
حكمت ابو زيد والاخ العقيد عبدالرحمن التكريتي والاستاذ عبدالستار القرمه غولي
والدكتور ابراهيم السامرائي والاستاذ احمد ناجي القيسي والاخ يحيى جاسم
والشاعر عبدالرزاق بستانه والشيخ علي الشرقي والاستاذ مصطفى علي
والشيخ فريق مزهر الفرعون ، كما اشكر جميع موظفي المكتبات في لندن وباريس
واستانبول وبغروت والقاهرة ومكتبة المتحف العراقي منهم السيد حكمت فتوح
والآنستين ساجدة العزي وفكتوريا مولود والسيد عبدالمجيد عبد علي .

وختاماً ايها القاريء ما انا الا طالب أدب أتحرى الحقيقة جهدي فمعذرة مما
وقع لي من اخطاء ولا تأسف على ما دفعت ثمناً لهذا الكتاب . نرجو الله ان يأخذ
بيدنا نحو السداد بما فيه خير هذا الوطن وهذا الشعب ، فمن اجله نجيا ومن
اجله نبحت ونتحرى عن الحقيقة لنراه رافلاً بالسعادة والخير .

يوسف عز الدين

بغداد رجب الاصم سنة ١٣٧٩ الهجرية
مطلع عام ١٩٦٠ الميلادي

الفصل الاول



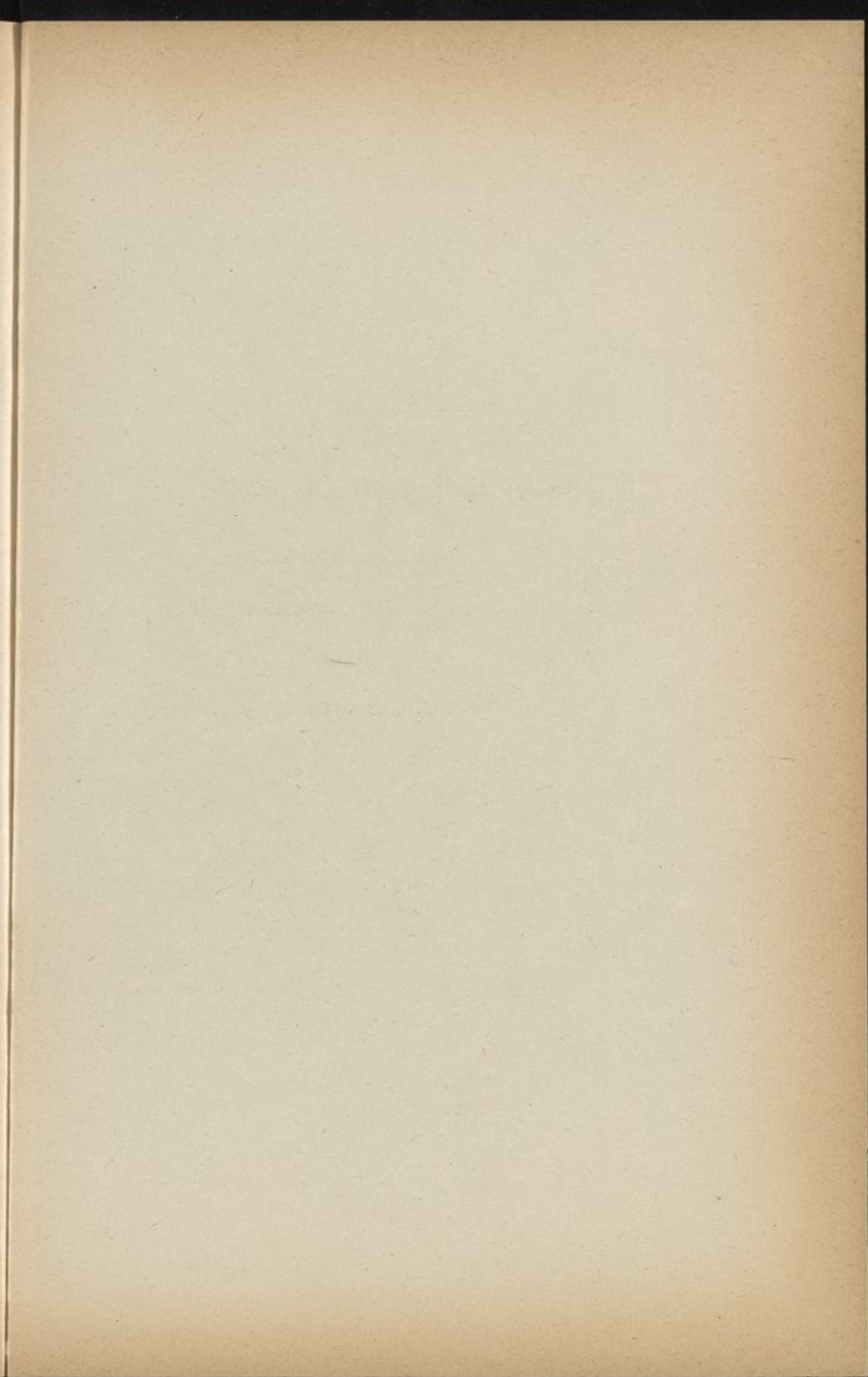
الشعر العراقي في العهد العثماني

١ - المجتمع العراقي ومشكلاته

٢ - الاتجاه الاسلامي

٣ - الدستور العثماني

٤ - حروب الدولة العثمانية



المجتمع العراقي ومشكلاته

- ١ -

قبل ان ندرس اثر المجتمع والسياسة في الشعر العربي في العراق في هذه الفترة (١٩٠٠ - ١٩١٩) ارى ان نرسم صورة لهذا المجتمع والمشكلات التي كانت تؤثر فيه .

فقد كان الوالى هو الحاكم المطلق الذى يدير سياسة الولاية . ولو انها كانت مصبوعة بالصبغة الاسلامية . بيد ان للوالى الرأى الاول في امور الولاية . وكانت سيطرته تشمل الرياسة العامة على الجماعات مثل رياسة البلدان والمدن والامراء والجيش والقبائل وما شابه ذلك . اما السياسة الخارجية فقد كانت جزءا من سياسة الدولة العثمانية العامة التي تدار من قبل الاستانة مباشرة^(١) .

هذى الثمانى عشرة سنة من حكم الاتراك في العراق لم تكن الا استمرارا لحالة العراق في القرن التاسع عشر وتكاد تكون جزءا لا يمكن بتره عنه ، لولا بعض اصلاحات ناظم باشا واثر اليقظة الفكرية المحدودة التي تسربت من أوروبا ولولا اثر الدستور العثمانى ..

كان العراق بلدا متأخرا هيمن عليه الجهل وفقد الامن والنظام مخرب الجوانب والجنبات وخير وصف لحالة العراق هو وصف جريدة « صدى

(١) يلاحظ (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) للمؤلف .

بابل » فقد وصفته بأنه بلد حاق الخراب به ، والظلم والخوف والاضطراب
وذكرت الفوضى التي حلت به وكيف كانت ضواحي بغداد تسلب وتنهب
وتسرق . وما حاق بالحياة العامة من تأخر^(٢)

وقد لخصت هذه الجريدة حاجات العراق فردتها الى امور رأتها أهم
ركائز الإصلاح احدها الامان وثانيها العدل وثالثها العلم^(٣) ولا ادري ما ابقته
الجريدة فهذا مختصر واف لحاجات البلد المتأخر . ويجب ان اقول ان هذا
التأخر الذي ساد العراق لم يكن غير جزء من تفسخ عام شمل جميع الامبراطورية
العثمانية . فقد كانت الولايات - ومنها بغداد - تباع وتشترى كأية بضاعة
اخرى^(٤) وقد كان هناك سماسة يتصلون بالراغبين بمثل هذه الصفقات^(٥) فلا
تستغرب ان انحصر هم الوالي في جمع المال الكافي للوصول الى الثراء العاجل
فهو مسؤول عن دفع هدايا مستمرة لاسياده في الاستانة وعليه ان يكون له
اصدقاء يحافظون عليه وعلى مركزه كيلا يعزل^(٦) فهو يسبح لنفسه الاستيلاء على
الاموال واستيفاء الضرائب^(٧) فيتخذ الموظفين قدوة اذ يستوفون
الضرائب دون ان يسجلوها في السجلات وتبقى ديونا على ابناء الشعب^(٨)

٢ (صدى بابل العدد ٤٠ السنة الاولى عام ١٣٢٨ هـ)

٣ (صدى بابل العدد ١/٤٠)

٤ (لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢٧٨ و ٢٧٩)

٥ (غرائب الاغتراب ص ١٨٨)

٦ (غاية المرام حوادث ١٨٠٠ وغرائب الاثر ص ٥١)

٧ (لونكريك ٢٧٨ و ٢٨٩ . يقول ولي السدين يكن وهو كاتب يتعصب
للاتراك ويدافع عنهم عن سرقة اموال الشعب ما يلي :

« فتجبي اموال الرعية بلا حساب فيضيع بعضها في جيب الوالي وبعضها
في جيب من هو فوقه فلا يبقى لبيت مال الدولة الا ما يتصدق به عليه
السارق والناهب . فضالة ينفق جانب منها على طرب الملوك ولذاتهم
وجانب على المقربين من الغرائقة ويبقى الموظف الصغير صفر اليدين او
تدرك امره رحمة فيمد اليه بما يسد به رمقه (المعلوم والمجهول ص ٤٤)

٨ (صدى بابل ١/٤٥)

لذلك فقد انتشرت الرشوة بين الموظفين وتدنى بعضهم الى درجات مضحكة فأخذت تندد بهم جريدة ابابيل في عددها الثامن والاربعين بنشر ابيات هزلية تسخر من هؤلاء المرتشين وتطالب بالاصلاح العام معتمدة على اعلان الدستور الذى من اهم مواده الاصلاح ومحاربة الارثشاء المنتشر في انحاء الدولة والابيات :

إذا ارتشى اليوم (مأمور ببرطيل) اليه ارسلت طيرا من ابابيل
ترمي على راسه شر الحجارة من نوع الفضيحة لامن نوع سجيل
فتترك الوجه منه حين تخجله يحوى بشورا كأمثال التأليل^(٩)

والرشوة سبب من اسباب ضعف الدولة فالموظف المرتشى يكون ضعيفا خائفا لا يقدر على تطبيق النظام مما ساعد على انتشار الفوضى حتى ان الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن دون ان يحملوا معهم ما يقيهم من اذى اللصوص وسطوة الناهبين والسالين^(١٠) بل تجرأ اللصوص على السلب والسرقة علانية ولم يكن يمضى يوم دون سرقة او جرح او قتل او سلب^(١١) وقد وجدت عدة رسائل مفتوحة موجهة الى الوالي تشكو ما حل بالولاية من اراقة الدماء وانتهاك الاعراض واغتصاب الحقوق وما عمها من فوضى وخراب ودمار^(١٢) وما كانت شكاوى الاهليين بمجدية لان الوالى ومن بيدهم الامر هم اصحاب المنافع المباشرة وهم اساس هذه الفوضى والرابحون من جرائمها^(١٣) وكثيرا ما تاروا على الدولة وقطعوا علاقتهم بها وجروا على البلاد الدمار بحروبهم^(١٤) بل ان بعض هؤلاء الولاة كانوا يحرضون الاشرار على تكبير صفو الامن للفوز بالغنائم

٩ (جريدة الرقيب العدد ١/٩٠ يقصد بـ (مأمور) الموظف في الدولة والبرطيل كلمة تركية معناها الرشوة

١٠ لونكريك ص ٢٥٢

١١ الرقيب العدد ١/١١٥ وفي غمرة النضال ص ٥١

١٢ الرقيب العدد ١/١١٤

١٣ غرائب الاثر ٩٤ وغرائب الاغتراب ص ١٩٩ وتذكرة الشعراء ٣٥

١٤ كما حدث لسليمان باشا القتيلى عام ١٨١٠ ولدادود باشا ١٨٣٠

ومصادرة ما بأيدي المصوص^(١٥) لذلك انكمش الناس في قراهم تاركين العناية بالزراعة والاهتمام بالتجارة فظهر نقصان الغلال في بلد هو من اخضب بلاد العالم واغناها فعمه الغلاء والقحط وتردت حياته الاقتصادية^(١٦)

استمرت جميع مشكلات العراق التي كان يعاني منها في القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ومن هذه المشكلات الاساسية قضية سكان العراق فقد كان اغلبهم من العشائر الذين لهم نظامهم الخاص بهم وكثيرا ما كانت هذه العشائر تتمتع باستقلال ضمن دائرة العشيرة اذ لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليها سيطرة فعلية ، وكثيرا ما ثور العشائر على الحكومة فتشنر الذعر والرعب في النفوس^(١٧) مغتمة ضعف الحكومة في فرض اتاوات وضرائب على بعض المدن اضافة الى بعض المغام التي تفوز بها عندما تهاجمها دون وازع من نظام يردعها^(١٨) . وقد حاولت الحكومة العثمانية السيطرة عليها ولكنها لم تفلح لتحول رجالها من عصاة الى مواطنين صالحين لانها لم تكن تمهد لهم الوسائل اللازمة ودون ان تبذل اى جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم لها^(١٩) فلا عجب ان كانوا مصدر قلق عام للحكومة وللبلاد يضاف الى ذلك انهم كانوا مسلحين بأسلحة هي اجود واحسن من اسلحة الجيش الذي كان يذهب لقمع حركاتهم^(٢٠)

ولقد كانت المرأة بعيدة عن المجتمع العراقي فقد احتجزت في البيوت اذ لم يكن يسمح لها بالاختلاط مع الرجال وقد كان الوالد يريد ان يتخلص من ابنته مفضلا عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها . فقد كانت ممنوعة من

(١٥) غرائب الاثر ص ٦٧ ولونكريك ص ٣٢٣

(١٦) المصدران السابقان

(١٧) صدى بابل العدد ٩٧ السنة الثانية سنة ١٩١١

(١٨) جريدة الزوراء العدد ١٧٣ السنة الثالثة سنة ١٢٨٧

(١٩) لونكريك الصفحات ١٧١ - ١٧٥ و ٢٨٨ - ٢٩٢

(٢٠) صدى بابل ٩٧/٢/١٩١١

تعلم القراءة والكتابة كيلا توصلها الى اغراض فاسدة^(٢١) وقد كان لاضطراب المجتمع وقلق مثله العليا اثر في حياة الرجل الذي تفككت مثله العليا ولم يعد يردعه الوازع الديني او الخلقى عن ارتكاب الجرائم • فالقبائل كانت تشن الغارات على المدن والايраниون يهددونهم ، وموظفو الحكومة العثمانية نفسها كانوا يسبون النساء ويأخذون السبايا الى الاستانة^(٢٢) لذلك حرص القوم على اخفاء بناتهم خوفا من العار والسبي •

اما الحالة الصحية فقد كانت متردية نتيجة اهمال الدولة لشؤون البلد فلم يكن في بغداد طبيب واحد يشرف على المرضى فغدا العراق مرتعا خصيبا للمطاعون الذي كان يفتك دون رحمة ودون ان يقف امامه شيء^(٢٣) حتى غدت الجثث طعاما سائعا تعودت عليه الكلاب^(٢٤)

واذا تلمسنا حالة التعليم في هذه الفترة فلا نجد للتعليم ظلا الا في المساجد في المدن الكبرى وبحدود ضيقة^(٢٥) ولولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف لقضى على اللغة العربية • ولعل ازهى عصر من عصور التعليم هو عصر مدحت باشا غير ان بارقة الامل التي لمعت في عصره

(٢١) تراجع الاصابة في منع النساء من الكتابة (مخطوطة لنعمان الآلوسى) ، وديوان التفات ، ومجموعة أمثال الموصل ، ليعرف القارئ مدى خوف الآباء واولى الامر من عار البنات

(٢٢) اخذ عاكف باشا بعض النساء العربيات من الحلة اسيرات الى الاناضول راجع مقالا بقلم يوسف رجب عن بدر الرميض في مجلة عالم الغد العدد ١٩٤٥/١/٩ و (الحقائق الناصعة) ٤٣

(٢٣) لونكريك ص ٣١٦

(٢٤) غاية المرام ص ٢٢٧ وحديقة الورود ص ١٣ ونيل المرام ص ٧٩

(٢٥) نشرت جريدة صدى بابل الميزانية في عددها ٢٣٨-٢-١٩١٤ وقد كان مصدر ايراد ميزانية الخزينة في الولاية يتألف من (معارف وركوسى) أي ضريبة المعارف و (شوصه بدلى) ضريبة الطرق وضرائب اخرى • • ولكن الولاية لم تكن تستفيد شيئا • وهناك ميزانية اخرى توضع في الاستانة مع الميزانية العامة • اما ميزانية الولاية فليست للاستانة دخل فيها

اندثرت بعد ذهابه من بغداد وبقيت الحال مهملة حتى ان الحكومة لم ترصد عام ١٩١٤ للتعليم مبلغا من المال مع انها ارصدت مبالغ للجندرية وللامن العام مهمة شؤون التعليم وكأنه شيء غير ضروري او يمكن الاستغناء عنه . ولم تجد المطالبة بالاصلاح بضرورة نشر التعليم قتيلا . ومن الطريف ان الحكومة كانت تدفع للبواب ٥٠٠ قرش وتدفع للمعلم ٢٠٠ قرش (٢٦)

اما اللغة العربية فقد بقيت ممنوعة الاستعمال في الدوائر الرسمية حتى بعد ظهور الدستور العثماني وكانت ترفض العرائض التي تكتب بها بيد ان جريدة الرقيب لم يرخصها الحال فقارنت بين حالة العراق وحالة سوريا التي تجيز استعمال اللغة العربية في الدوائر والمراجعات الرسمية فأمر الوالي باستعمال العربية (٢٧) وقد يكون للوالي عذر في ان يكتب له باللغة التركية ليفهمها مباشرة دون ان تكون هذه الرغبة مدعاة لاستعمالها في جميع الدوائر وفي المحاكم . لذلك فقد كان ابناء الشعب يفضلون تعلم التركية لانها السبيل الوحيد للتوظيف والعمل في مصالح الحكومة (٢٨) فلا نعجب اذا وجدنا ان نسبة التعليم لم ترتفع عن ٥٠٪ في جميع انحاء العراق (٢٩)

هذه نظرة عاجلة الى المجتمع العراقي ومشكلاته وجدت من المناسب تقديمها لهذه الفترة ليكون القارئ قد تعرف عليها قبل البدء في دراسة هذه الفترة الادبية، ومنها رأى مقدار التردى الذي حاق بالعراق في جميع نواحيه الاجتماعية ، والثقافية ، والصحية . وقد سكت الشعب طويلا خوفا او مجاملة للدولة المسلمة حتى ظهرت بوادر الاصلاح وارتفعت صيحاته من كل اطراف العالم ومن ثم بدأت الآراء الجديدة في العدالة والمساواة والحرية تسرب تارة بوساطة

(٢٦) تنوير الافكار ١/١/١٣٢٨

(٢٧) الرقيب ١١٤ صدر في جمادى الاولى والعدد ١٣٥ صدر في الخامس من

رجب سنة ١٣٢٨

(٢٨) لونكريك ص ٣١٦

(٢٩) المصدر السابق

الجرائد والكتب الواردة من مصر وسوريا وطورا بما تنقله جرائد بغداد من اخبار العالم وآونة بما ينقله العراقيون المسافرون الى الاستانة عند عودتهم بعد احتكاكهم ببناء الامبراطورية العثمانية .. هنالك بدأوا يحسون بضرورة الاصلاح والمبادرة الى عمل يفيد الشعب وقد كان منهم المطالب الجريء المستميت ومنهم الهادئ المعتدل ... ومن تلك الصيحات الهادئة ما كانت تنشره جريدة صدى بابل ، اما الجرائد الجريئة فقد كانت الرقيب ، وتنوير الافكار ومن ذلك قولها في احدى مقالاتها (لقد عم عموم التبعة العثمانية ، بل والاجانب حال العراق وما كان يشن تحته من ثقل الاستبداد الذي كان مخيما عليه ضاغطا اياه ، وعلى الخصوص ما كان تجرى فيه من المصائب الناتجة عن استبداد الولاة وكنهم اغلب الامور عن الاستانة) وهذه جرأة وصراحة لم يكن يعهدها اهل العراق فهو تعريض واضح باستبداد الولاة وتزويرهم للاخبار التي ترسل الى الاستانة العاصمة ولم تكتف الجريدة بهذا انما ذكرت بصورة جلية لاتدعو للشك طريقة تزوير هذه الحقائق والاسلوب الذي تكتب فيه هذه التقارير التي تصدر عن الولاية الى مركز الحكم في الاستانة فقالت (ان القتل والنهب والسلب ، واصل الى العيوق ، ولكن الافادات اليومية لا يحرر فيها الا ان الامن والراحة العمومية على غاية المرام) (٣٠)

ولا بد لنا من ان نذكر هنا بعض المحاولات المشكورة في سبيل الاصلاح ، فناظم باشا كانت له مشاريع كبيرة فقد اتوى شق ثلاثة شوارع في بغداد وحاول تسير الترام بالكهرباء وبناء جسر حديد وجسرين من خشب وامر بعمل خرائط لشكنات ومستشفيات ثم بدا فعلا ببعض الاصلاحات ، كاصلاح الاسواق وتعديل ونسوية الطرق المؤدية الى ايران تسهيلا لمروور عربات النقل ووضع مخافس للمحافظة وتعيين بعض الموظفين الامناء في الكمرك وتعجيل اعمال التجار وتعيين مأمورين للبرق والبريد ليلا ونهارا غير ان هذه الاصلاحات لم يكتب لها الاستمرار لانها كانت دائما تصطدم برغبات الحكومة المركزية التي كثيرا ما يضطر لاجلها

الموالى الى ترك العمل او الاستقالة^(٣١) ولم تكن غالبية الموظفين تهمها حركات
 الإصلاح لان ذلك سيقطع عنها طريق الاثراء غير المشروع ويسد عن جيوبها
 موارد سهلة مستديمة من اموال الشعب بل لايهمها مطلقا الا خراب البلاد وفساد
 النظام لضمان عمران بيوتهم^(٣٢) فقد كانت الوظيفة غاية يتوسل بها الموظف
 الى جمع اكبر قدر من الاموال ومن كان همه الاثراء على حساب الشعب الذى
 لا تربطه به رابطة قويمة قوية لن يحاول مطلقا معالجة الامور بصورة جدية ، او ان
 يطبي اية اهمية لشكوى تأنيه من فلاح بائس او عامل محروم اضافة الى ان
 البحث في الإصلاح والعمل الجدى المثمر المنتج يكلف الموظف الوقت الطويل
 والتفكير العميق وجهدا ومشقة لا طاقة له بها وكل ما يريد
 الذهاب الى الديوان او العودة الى البيت او للنزهة^(٣٣)

هذا الانحطاط وهذا التأخر هو الذى دفع الشعراء في اوائل القرن العشرين^(٣٤)
 الى المطالبة بالتحرر والإصلاح متأثرين بالحركات التحررية التى عمت
 العالم ولم يكونوا في دعواتهم هذه خلال القرن التاسع عشر واولائل
 العشرين راغبين بالانفصال عن الجامعة العثمانية وانما كانوا يريدون
 اصلاح الامور العامة تحت ظل الخليفة العثماني لانه
 الرمز الاسلامي العثماني للوحدة الاسلامية .. ومن ثم اخذت هذه الدعوة طريقا
 آخر هو الدعوة الى الانفصال وتأسيس دول مستقلة منفصلة عن هذه الرابطة
 اما الاسلوب الذى سار عليه الادب فهو نهج القرن التاسع عشر العناية
 باللغة عناية تخرجه الى حد التزويق المجوج الذى تملئه النفس ، اضافة الى
 ان المواضيع التى قد طرقها الشعراء كانت مواضيع تافهة .. مبالغ فيها مبالغات
 تخرج الى الاسفاف ولا سيما المديح والرثاء .

(٣١) صدى بابل الاعداد ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٨ من السنة الاولى ١٣٢٨
 و ٩٧-١٩١١-٢ و ٣٠/١٩١٠

(٣٢) الرقيب العدد ١١٤/١/١٣٢٨ ولونكريك ص ٢٨٢ و ٣١٩

(٣٣) تنوير الافكار ١-١-١٣٢٨

(٣٤) في كتابنا الشعر العراقي في القرن التاسع عشر المطبوع في بغداد ١٩٥٨
 تفصيل لحالة الشعر والحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية

الاتجاه الاسلامي

- ٢ -

بقيت الدولة العثمانية - حتى الحرب العظمى الاولى - تحكم البلاد العربية وقد كان السلطان العثماني ممثلا للمشرق والمسلمين ، يقود هذه الشعوب أنى أراد وابن اراد ، ومتى اراد . لسيطرة النزعة الاسلامية على غيرها من النزعات الاخرى بين الشعوب المسلمة والعربية اذ لم تكن الفكرة القومية قد ظهرت بعد ظهورا شعبيا ولم تكن الفكرة العربية قد تغلغت في النفوس بعد . اذ كان اكثر العرب ينظرون الى الخليفة العثماني على انه ممثل لآمالهم الاسلامية ولم يكن العربى المسلم يأنف من الاعتراف بسيطرة السلطان ولعل الخوف من سيطرة الاوربي الكافر هو الذى جعل هذه الشعوب قوية الالتفاف حول السلطان العثماني فهي ترى الحاكم المسلم خيرا من حاكم لا يربطها به أية رابطة وقد اتخذت الدول الاوربية نفس السلاح ودعت الشعوب غير المسلمة الى الثورة والتخلص من حكم المسلمين^(١)

١ (في (الاتجاهات الوطنية) بحث نفيس عن مطامع الدول الاوربية واعمالها ويراجع عبد الحميد ظل الله على الارض ص ٦٣ - ٧٢

فالفكرة الاسلامية كانت نزعة هذا العصر ومن اراد الخروج عليها والدعوة لغيرها فهو خارج على الدين الاسلامي .. مع ان اكرية المنادين بالجامعة الاسلامية ليسوا من مؤيدي النفوذ العثماني ، وانما كانوا يفضلونه على سواء من النفوذ الاجنبي مسوقين بالعاطفة الدينية التي تقول انما المؤمنون اخوة .. لذلك فهم يرون الخليفة العثماني الركن القويم الذي تعتمد عليه الوحدة الاسلامية والشعراء جزء من الشعب يعكسون رغباته ويمثلون امانه فتراهم في شعرهم قد اتخذوا الخليفة العثماني رمزا للوحدة الاسلامية ، فهم امتدحوا سجايه وأشادوا بأخلاقه وفضائله ورفعوا ذكره ومجدوا سياسته فجعلوه في مصاف الآلهة لانه يحمي ... بيضة الاسلام ... وهو ظل الله في أرضه ... وهو الذي يدافع عن المسلمين ... ويقاتل المشركين والكافرين^(٢) وقد بقيت هذه الفكرة مهيمنة سيطرة تكاد تكون تامة على الشعر حتى اعلن الدستور العثماني وبدأت الاحزاب تتشكل وتنتشر الجرائد وابتعد السلطان عبدالحميد عن الحكم .. فهوت قداسة السلطان على الارض فلم يعد الرمز المقدس الذي لاتصل الايدي اليه ولا تنوشه اللسان وبدا مثل البشر في سيئاته ومزايه لا يفرق عنهم شيئا .. لذلك فعندما كان هذا السلطان في قوته ونفوذه وسطوته كان الادباء يحاربون كل من سولت له نفسه الخروج على طاعته سواء كان العاصي من العرب او من المسلمين .. فقد كان معنى ذلك انشقاق على الاجماع الاسلامي الذي حاولوا جاهدين الاحتفاظ به وصيائته .. فهم يريدون في حماية السلطان أن يحموا الوحدة الاسلامية من التبدد والتفرق .

فلا عجب ان نرى بعض الشعراء يتخذون السلطان عبدالحميد رمزا مقدسا يسرون في ركابه فقد أشادوا بالحروب التي أعلنها وطربوا للغزوات التي شنّها وتغنّى الشعراء بالانتصارات التي حازها على أعدائه ... فكان محور الشعر ومداره وحوله يحرق بخور الادب .. وينشر عبير الشعر ، ثم جاء من بعده محمد رشاد فأصابته بقايا هذا البخور الادبي والعبير الشعري !!

(٢) يراجع الشعر العراقي في القرن التاسع عشر فصل مدح السلطان

وقد اشتهر في هذا القرن شعراء كان منهم الذي شب وترعرع ومات في العصر العثماني وهم الذين بحث شعرهم في كتابي : (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وقسم شب في هذا القرن ولكنه تأثر بالتيارات الفكرية الجديدة وحركات الاصلاح التي انتشرت في ربوع الدولة العثمانية . ومع ذلك فقد بقي ولاؤهم للدولة حيا ونافحوا عن عقيدتهم الاسلامية والتمسك بها ومن هؤلاء الشعراء معروف الرصافي . فانه بالرغم مما كان يراه من انحطاط في أرجاء الدولة ونفسي التأخر بين أبناء الشعب لم يرض للعرب أن يخرجوا على هذه الدولة ، وأن ينظموا المؤتمرات في سبيل هذه الغاية ، فقد أيد حركات الاصلاح التي نادوا بها وطالب بها دون أن تخطر في ذهنه فكرة الانفصال عنها ، كان يريد الاصلاح في اطار الدولة العثمانية لانه يرى الانفصال جريمة كبيرة تقترب ضد الاسلام ويؤدي الى أن يتدخل الاوربي في شؤون المسلمين . لذلك نراه يبارك دعوة الاصلاح التي دعا اليها جماعة من العرب . . . بل انه دعا العرب للانضمام الى هذه الدعوة في قصيدة طويلة منها :

ابلع بني وطني عني مغفلة في طيها كلم في طيها ضرم
ما بالهم لم يفيقوا عن عمايتهم وقد تبليج اصباح المنى لهم^(٣)

ولكنه لما رآهم يطالبون باللامركزية والانفصال عن الدولة وانهم عقدوا مؤتمرهم في فرنسا^(٤) نار عليهم وزادت ثورته عندما ارسل حقي العظم برقية الى جريدة الطلسمان Le Temps طالبا من الحكومة الفرنسية التدخل في أمر سوريا . . ان هذا الطلب كان دعوة صريحة من العرب المسلمين الى دولة أجنبية استعمارية أن تتدخل في امور دولة مسلمة . . لذلك كانت مهاجمة الرصافي عنيفة دون هوادة . . فقد رآهم في قصيدته انهم أثاروا في البلاد الاسلامية شرا وما قصدوا الاصلاح في دعوتهم هذه وانما أرادوا تهديم الكيان الاسلامي

٣ (ديوان الرصافي الطبعة الثالثة ص ٣٩٣ مصر

٤ (في غمرة النضال - تفصيل عن أهدافهم وأعمالهم ص ١٢٧ - ١٣٠

الشامخ وقد كان شاعرنا حريصا على ابقائه حرصا شديدا لذلك قال لعبد الغني العريسي^(٥) الذي عقد مؤتمر باريس .

قل للعريسي والانباء شائعة والصحف تروي لنا عنه الاعاجيب
علام تعقد في باريس مؤتمرا ما كنت فيه برأي القوم مندوبا
ويخاطب حقي العظم ويصف عمله كعمل الحمل الذي يطلب المعونة
من الذئب :

وهل تعمد حقي العظم فعلته لما نعى خبرا للطان مكذوبا
اذ راح يستجد الافرنج متصفا كأنه حمل يستجد الذيبا
ولم يكن يؤلم الشاعر الا عمل حقي العظم الذي يريد أن يفر من سيطرة
اسلامية الى استعمار أجنبي لا تربطه به رابطة ولن يكتفي الفرنسيون بالمساعدة
فقط كما يظن حقي العظم وانما يريدون استعمار الشام بأجمعها وقد تحقق ظن
الرصافي بعد ذلك وصدقت نبوءته فيما بعد لانه ثار عندما عقدوا مؤتمرهم في
باريس وتمنى أن يكون مؤتمرهم في بلد ليست له مطامع استعمارية فهو متفق
معهم في الحاجة الى الاصلاح لكنه يجب ألا يكون في ظل حكومة فرنسا فقال :

لو كان في غير باريس تألبهم ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكن باريس مازالت سياستها ترنو الى الشام تصعيدا وتصويا
ولم تزل كل يوم من سياستها تلقى العراقيل فيها والعراقيا
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتها جيش يدك من الشام الهازيبا^(٦)

وكان الرصافي يذود عن حياض الاسلام والمسلمين لانه ربي تربية دينية ،
وكان من أشد ما يؤلمه اولئك الذين يتخذون من تأخر المسلمين وتخاذلهم سببا
للمطعن في الدين الاسلامي ، لذلك يسرد البراهين ويأتي بالادلة ، ويسوق الحجج
ليبعد تهمة التأخر والانحطاط عن الدين الاسلامي نفسه . . فالدين الاسلامي لم يكن
السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية . . وانما كان عاملا قويا في تقدم
المسلمين الاوائل وازدهار المدنية . . وسعادة الانسانية قرونا . . ثم ان واقع

٥ شفق جمال باشا السفاح عبد الغني العريسي خلال الحرب العظمى الاولى

٦ ديوان الرصافي ص ٣٩٦

الدين الاسلامي بنصوصه وتعاليمه تثبت ما له من فضائل ومميزات فهو الدين الذي يدعو الى المساواة بين البشر فلا فرق بين غني وفقير أو صعلوك وملك فهم كلهم اخوان متساوون في الحقوق والواجبات ولا فضل لاحدهم على الآخر الا بالاعمال الصالحة وتقوى الله لان الدين الاسلامي في طبيعته لم يخلق طبقات من أبناء البشر ولم يفاضل بين ذوي المجد وبين مقطوعي النسب فقال الرصافي يؤيد رأيه :

وما ترك الاسلام للمرء ميزة على مثله ممن لآدم ينتمي
فليس لشر نقصه حق معدم ولا عربي بخسه فضل أعجم
ولا فخر للانسان الا بسعيه ولا فضل الا بالتقى والتكرم^(٧)

وفي ديوان الرصافي الشيء الكثير من شعر ينافح فيه عن عقيدته • وهناك شعاعران آخران ألف كل واحد منهما كتابا في الذب عن الدين الاسلامي هما محمد حبيب العبيدي الموصلى وجميل صدقي الزهاوي •

فالزهاوي آله أن تظهر الدعوة الوهابية لانها دعوة تنادي بشيء جديد يختلف عما ألفه العثمانيون ، انها دعوة تدعو الى قومية عربية وهذا تهديد لكيان الدولة العثمانية فيؤلف (الفجر الصادق) ليهاجم فيه الوهابيين ويقول : الوهابية دعوة رفعت راية العصيان وتجاهرت بوخيم عدوانها وسمى الوهابيين بالجماعة الباغية^(٨) وحفظا للجماعة الاسلامية رأى ان الخلافة لا يشترط فيها أي شرط فلا يجب أن يكون الخليفة اماما ولا معصوما ولا أن يكون علويا أو قرشيا^(٩) كل هذا ليمهد الى القول بأن حكم آل عثمان حكم شرعي ولم يكتف بهذه الشرعية بل يوجب على المسلمين طاعة السلطان العثماني ويعتبر العاصي كافرا لا يؤمن بالنبي ولا بالقرآن حيث يقول :

من كان يؤمن بالنبي محمد وبما أتى من منزل القرآن

(٧) ديوان الرصافي ص ١٣٠

(٨) الفجر الصادق طبع مصر سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥) المقدمة

(٩) الفجر الصادق ص ٧

علم اليقين بأنه في دينه وجبت عليه طاعة السلطان^(١٠) ولسنا بصدد صدق عقيدة الزهاوى أو كذبها بعد أن تنصل من هذا الكتاب وادعى انه اضطر الى تأليفه خوفا من السلطان ولكن يهمننا الكتاب نفسه لانه عكس روح العصر التي كانت تسيطر يومذاك على الكتاب وقد مثل الزهاوى هذا الدور أصدق تمثيل •

أما العبيدي فقد كان السبب الذى دعاه الى تأليف كتابه « جبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام » أقوى وأعمق من السبب الذى دعا الزهاوى • لانه رأى أن الوهابيين أرادوا أن ينقوا الدين من شوائبه وانهم دعوا الى الاصلاح العام الشامل • ولكن الخطر كل الخطر في المستعمر الذى يريد أن يقضى على الدين ويهدم الخلافة • لهذا فقد دافع عن الدولة العثمانية التي تمثل عقيدته ودينه ضد مستعمر بعيد عنه في كل شئ ضد بريطانيا التي تريد أن تقضى على الخلافة الاسلامية •• وقد صرح برأيه هذا قائلا : ان الغرض من تأليف هذا الكتاب الدعوة الى اتحاد المسلمين وتحت رسالة الهلال وقد برهن في الفصلين الثاني والثالث على أن الخلافة الاسلامية قائمة بالدولة العثمانية^(١١) وتزول الخلافة بزوال الدولة العثمانية ويرى استحالة قيام خلافة جديدة مكانها ثم يسبغ على الخلافة قدسية في الفصل الاول اذ قال أن الخلافة الاسلامية خلف النبوة بل النبوات وانها واجبة قبل كل واجب ديني ••• وعندما يهاجم بريطانيا فهو يهاجمها لانها تريد أن تزيل الدولة الاسلامية من وجه البسيطة والقضاء على الخلافة التي هي كعبة السياسة للمسلمين والرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية^(١٢) وفي ظل

١٠) وقد كان رجال الدين يتقربون الى السلطان بوسائل شتى منها البحث عن الاحاديث المنسوخة وغير الصحيح منها فلا يرون للملوك الا ما كان حشا على طاعتهم مثل قولهم (قلب السلطان بين اصبعي الله يقلبه كيف شاء) وقولهم (الملوك ملهمون) وقولهم (اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) كل ذلك يفسدون به اخلاق الملوك تقربا الى جفانهم •• لاحظ (المعلوم والمجهول) مصر سنة ١٩٠٩ ص ٤٣

١١) هناك كتاب آخر باسم (جنيات الانكليز) طبع في بيروت سنة ١٩١٦

١٢) جبل الاعتصام بيروت ١٩١٦ ص ١٢٠

الوحدة الإسلامية لن تجد فرقاً بين المسلمين فهي قوة واحدة تقف أمام كل اعتداء على المسلمين في أي قطر من الأقطار فإذا دخلت روسيا إيران أو دخلت إيطاليا طرابلس أو حاربت بريطانيا الدولة العثمانية ، نجد الفتاوى من علماء الدين تنشر لتحث المسلمين جميعاً إلى محاربة الكفار في ديار الإسلام^(١٣) فالاعتماد على الرابطة الإسلامية معناه اعتماد على شعوب كبيرة لها سيطرتها وقوتها لذلك كان السلطان يحرض كل الحرص على هذه الرابطة لأنها الوتر الحساس الذي يضرب له العرب والمسلمون ، فإذا أرادت الدولة أن تبني اسطولاً فتكون الدعوة للمساهمة في هذا البناء باسم الدين وباسم المحافظة عليه فيجد المسلمون لزماً عليهم هذا التبرع وهل هناك من لا يريد أن يحافظ على الدين الإسلامي أو يريد أن يعرضه لخطر الكفار فلا عجب أن دعا محمد طاهر السماوي النجفي الناس إلى التبرع والمؤازرة باسم الدين فقد تصور سير الاسطول في البحر وحده يكفي المسلمين فخراً وعزاً ومنعة لذلك من المحتمل أن يتبرع في سبيل انشائه الصغار والكبار لأنه اسطول إسلامي حينما قال :

وبحق المجد قد ناشدكم يا حماة المجد شيخاً وغلاماً

أن تساعدوا في بناء هذا الاسطول لأن فيه أبطال المسلمين وأحلافهم وهؤلاء هم الذين أبلوا بلاء حسناً في المعارك عندما فتحوا الأقطار لرفع راية الإسلام وحينما قال :

فيه أبناء الميامين إلى	دوخوا الأعداء حرباً واصطلاماً
من بني الإسلام أو أحلافهم	كل مشتاق إلى الحرب غراماً
فتحوا الأمصار قدماً بالضبا	تنفذ الأكباد أو تنقف هاماً ^(١٤)

ولم تكن الروح الإسلامية مقصورة على ناحية من نواحي الشعر أو على انجاء معين وإنما كانت مهيمنة على كثير من قصائد الشعر التي كان يمدح بها

(١٣) مجلة لغة العرب ج ٧ كانون الثاني ١٩١١

(١٤) جريدة الرقيب ١٠٤ السنة الأولى ١٣٢٨ هـ

القواد والولاء • فعندما يمدح الشاعر واليها أو قائدا فهو يمدحه لانه يؤازر الخليفة الاسلامي ولانه يد قوة ترمي الاعداء الذين يريدون ان يعتدوا على اندين الاسلامي • وان السلطان العثماني هو الخليفة وانه امير المؤمنين وهو انسان لا ينتخب الا من يجد فيه المقدرة والكفاية الحربية والادارية والفكرية • • ويهتز الشعراء طربا للانتصارات العثمانية ، والحروب التي يفوز بها الجيش العثماني • • لانها حروب في سبيل اعلاء راية الاسلام والمسلمين ومن امثلة ذلك عبدالرحمن البناء^(١٥) فهو يفرح بهذا الانتصار العثماني لان الانتصار فيه حفظ لمركز الخلافة فقال :

حافظوا مركز الخلافة حتى عاد ماحاول العدى مستحيلا^(١٦)

ومثله الشاعر علي البناء^(١٧) فقد مدح القائد خليل باشا في معركة الكوت^(١٨) لانه رأى الجيش الاسلامي العثماني الذي يقوده خليل باشا قد انتصر على جيش الكفار الذين يريدون كسر راية المسلمين وقد رجع هؤلاء الكافرون خاسئين ذاهلين فقال يخاطب القائد :

لقد خفقت رايات عزك بالنصر واطفأت في ماضي الشبا سورة الكفر

امدك رب العرش في الجند هيبه ملأت قلوب الشرك فيهمان الذعر

ثم يهنئ الاسلام بالنصر الذي أحرزه القائد ويطرب للانتصار الذي ناله ثم يمدح السلطان رشاد فخر الاسلام بقوله :

لتهنى بهذا ملة الدين انه سرور بني الاسلام في كل ذي قطر

وتكسى فخارا آل عثمان سرمدنا بما فيهم قد شد للدين من ازر

وسلطانها الغازي رشاد عمادها وفخر بني الاسلام بل مفخر الفخر^(١٩)

١٥ لا يعد عبدالرحمن البناء من شعراء الطبقة المحدودة فهو ذو قابلية شعرية

فياضه ولكن لم تقدر له ظروف المعرفة العالية والدراسة المنظمة

١٦ جريدة صدى الاسلام ٢١٥/١/٣٣٤هـ

١٧ لم يكن من الشعراء المشهورين

١٨ سنتحدث عن هذا مفصلا في فصل تال في حروب الدولة العثمانية

١٩ صدى الاسلام ٢٦٦ في ٣ شعبان ١٣٣٤هـ

ولم تكن هذه الروح الاسلامية مقصورة على شعراء بغداد الذين لهم اتصال مباشر بمركز الحكومة وقد تكون لهم مصالح خاصة انما كان ذلك في جميع انحاء العراق دون فرق بين الطوائف والقوميات فقد تغلبت النزعة الاسلامية على كل نزعة ووقفت كل الطوائف الاسلامية بشهامة تناصر الدولة العثمانية في جميع حروبها . فعندما اعلن الجهاد في الحرب العظمى على خصوم الدولة العثمانية كان العلماء الاعلام يحفزون الشعب على الدفاع عن الدين الاسلامي فقد نظم كاظم آل نوح خطيب الكاظمية قصيدة تشيد بالانتصارات العثمانية لانها تمثل انتصارات المسلمين فيقول متسائلا :

احرز المسلمون في هذه الحر ب انتصارا لم ينس في كل جيل
أهيل الناقوس تغلب في الحر ب أهيل التكبير والتهليل

ثم ينظر بازدراء الى جيش الكفر الذي يحارب العثمانيين ويصفهم بأنهم كالسوام التي تريد ان تحارب الاسود ولكنها عادت فاشلة :

من هم الكفر انما هم سوام أفتخشى السوام اسد الغيل
قفل الكفر عن اسود الغيل خاسئا ذاهلا باثر قفول^(٢٠)

ومن الشعراء المشهورين الذين ناصروا الجيش العثماني من التجف الاشرف محمد علي اليعقوبي حيث أسماه الجيش الاسلامي الذي يحرس الدين والوطن ويشيد ركن الايمان فترتفع ذرى الاسلام شامخة :

حييت في الحرب بنصر الرحمن يا كاليء الدين وحامي الاوطان
شيدت في بيضك ركن الايمان واصبح الاسلام عالي شان
ومجدنا عاد رفيع البنيان^(٢١)

ولم تكن هذه المناصرة مقصورة على شاعر او طبقة فقد نظم في هذا الباب محمد مهدي البصير ومحمد رضا الشيبسي وكاظم الدجيلي كما سنراه مفصلا . فقد قال البصير مخاطبا وزير الحربية العثمانية انور باشا عندما زار العراق

(٢٠) صدى الاسلام ١٥٨/١/١٣٣٤هـ

(٢١) صدى الاسلام العدد ١٧٢/١/١٣٣٤هـ

كم وقفة لك دون ملة احمد فيها برأيك بل بسيفك تنصر^(٢٢)
وبقى الحنين طويلا نحو الدولة العثمانية لانها تمثل الاتجاه الاسلامي حتى
بعد افول نجم هذه الدولة واندحارها واحتلال الانكليز العراق ، فقد نظم كاظم
الدجيلي قصيدة يؤيد فيها الملك حسين لكنه عطف على الدولة العثمانية بقلب ملؤ ،
الاسى والاسف والحسرة لما حاق بها ولم يكثر بما سيلقاه من الدولة الانكليزية
مع ان القصيدة قد نشرت زمن الاحتلال البريطاني فقال :

سلام على ابناء عثمان وافر — فدولتهم اضحت بايدي مواليتها
ثم يهيب باني الدولة العثمانية واشهر سلاطينها بان يقوموا من قبورهم
لان دولتهم اصبحت بيد الاعداء وان عاصمتهم غدت محتلة من قبل الاجانب :
اعثمان قم وانظر الى الملك مهملا — فدولتك العليا قد انحطت عليها
أفتح اسطنبول فانهض لحفظها — فقد حكمت فيها عداك مواضيتها
غزتها رجال كنت تغزو بلادها — وتفتحها قهرا فسموك غازيتها
سليمان فاجلس للعزاء فدولة — تكفلتها قد مات بعدك حاميتها
واصبح فيها ضاحك السن باكيا — ومادحها بالامس ذا اليوم رائيتها^(٢٣)

وقد قال السيد عبدالمطلب ان العرب والترك اخوان يجمعهم الدين وللا تراك
فضل لانهم قد حموا الدين من الكافرين فخطب العرب بقوله :

أقول للعرب ان الترك اخوتكم — والدين اما لكم اضحى معا وأبسا
ماذا الذي قد نقيتم منهم وهمو — في اول الدهر شادوا للمهدي قيبا
هم الذين أقاموا الدين في قضب — في حدها عاد جبل الكفر منقضا
وحطموا بالضبا الاوثان وانصلتوا — الى الكنائس حتى حطموا الصلبا^(٢٤)

وقد خاطب الشيبسي معاتبا الاتراك على ما قدموه من اساءات وكيف

(٢٢) صدى الاسلام العدد ١٨٣ من السنة نفسها

(٢٣) دار السلام العدد الاول السنة الاولى سنة ١٩١٨ ونشرت بتوقيع كـ دـ

(٢٤) شعراء الحلقة جـ ٣ ص ٢٠٩

ان العراقيين صفحوا عنهم وعن زلاتهم كل ذلك حتى لا تتفرق الوحيدة
الاسلامية التي تربطهم بها مع ما قتلوا وشتقوا واسروا^(٢٥) وقد كان الرصافي صريحا
كل الصراحة في ندب ايام الدولة العثمانية وقد اظهر وفاءه لايامهم مع انه يلومهم
لانهم فرطوا في حقوق العراق وتركوه نهبا بيد العدو اذ راح يملأ نفس الشعب
املا بعودة العثمانيين لانقاذهم من الاستعمار البريطاني ، فقد فضل ان يبقى العراق
عثمانيا على ان يكون مستعمرة بريطانية فقال يرد على سليمان نظيف الذي
يعاتب العراقيين على لسان دجلة :

انا باق على الوفاء وان كما نت بقلبي ممن احب جراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغنيهم شكايي يارياح^(٢٦)

ويتحسر الزهاوي على ايامه التي قضاها في زمن الدولة العثمانية فيقول :

اين عزي في دولة الانسراك انا ماما فقدته انا باكي
كنت بالامس راضيا عن حياتي وانا اليوم من حياتي شاكي^(٢٧)

ولم تخمد الروح الاسلامية وقد بقيت مسيطرة على نفوس العراقيين طويلا
حتى بعد ظهور الروح القومية وفشل الجامعة الاسلامية ويأس دعايتها من تحقيقها
ومن الشعراء الذين لهم اثر كبير في تاريخ الادب في العراق الرصافي فهو من
الذين لم يتغير في رأيه وعقيدته فقد نظم قصيدة في الحرب العالمية الثانية يقول
فيها :

قل لمن رام صدعنا بشقاق انت كالوعل ناطح الصفوان
ويك ان الاسلام اوجد فينا وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا منها بجبل وثيق هو جبل الاخاء والايمان
ليس معنى توحيدنا الله الا اتحادنا في الكيان^(٢٨)

(٢٥) ديوان الشبيبي ص ٢٦ - ٢٩

(٢٦) ديوان الرصافي ص ٤١١

(٢٧) الباب ص ٦٥ بغداد ١٩٢٨

(٢٨) ديوان الرصافي ص ٤٦٧ وقد أخبرني سيادة الاستاذ مصطفى علي انها
نظمت بعد الحرب العالمية الثانية

الدستور العثماني

- ٣ -

كان اعلان الدستور العثماني بداية عهد جديد في التفكير العربي عامة والعراقي خاصة فقد اثر كثيرا في تغيير الاتجاه العقلي وفتح الازهان على مثل جديدة والفاظ حديثة لم تكن مألوفة لاهل القرن التاسع عشر وما نشأوا عليه من استبداد مطلق وتحكم في رقاب الناس ، فقد تفاعل الشعب به كثيرا في ارجاء الامبراطورية العثمانية وظنه يخصب الارض ويشري الفقير ويكسي العريان ويشبع الجائع ويطلق للناس حرية كاملة في التعبير عن آرائهم بصورة مطلقة لاتحدوها قيود ولا تقف امامها حدود .

اعلنا لدستور العثماني سنة ١٩٠٨ فكان صدى اعلانه كبيرا على الشعب وخاصة الشعراء فقد فرحوا فرحا شديدا به وبدت علائم الفرح تسري في شعرهم وقد انقسم هؤلاء الشعراء الى قسمين او اتجاهين :

الاتجاه الاول وقد ضم جماعة ممن عاشوا على التراث التقليدي وهو امتداد للقرن التاسع عشر في اسلوبه ومعالجته للموضوع فوجدنا في شعرهم المبالغة ورصف الالفاظ ، والاطالة التي تطفح بحشو يخرجهم عن الموضوع الذي نظموا فيه فقد يبدأون القصيدة بالغزل او بمدح انسان ويعدون عن الموضوع كثيرا وعن اساسه ومن امثلة هذا الاتجاه حسن العذارى ، وصالح الحلبي ويكاد ينضم تحت هذا اكثر شعراء النجف .

- ٣٢ -

والاتجاه الثاني انبثقت تياراته من شعراء ابتعدوا عن اجواء المساجد والبيئات الدينية الصرفة وانضموا الى ركب الحياة الواقعية وفي هذا الاتجاه وجدنا بذور التطور الحديث تنمو في اسلوب الشعر ومعانيه واغراضه واهدافه.. وقد كان هؤلاء من الشباب المندفع الذي اوتي حرارة الشباب وحماسة العمر فأيدوا الدستور باندفاع ، فقد أخذ الزهاوي والرصافي يخطبان في الناس ويشرحان لهم فوائده الدستور^(١) وقد كان محمد رضا الشيباني عضوا من أعضاء حزب الاتحاد والترقي العاملين^(٢) كما انضم الازري الى حزب الائتلاف^(٣) والواقع ان الشعراء آزرُوا الدستور العثماني آملين فيه المساواة مع الأمم الأخرى، والحرية للتعبير عن آرائهم ، والعدالة التي يجب أن تشمل بلادهم^(٤) فجاء شعرهم أناشيد تطفح بالحرية والتغني بمحاسنها ومزاياها وما ستدره على الناس من خير ، ثم تطرقوا في شعرهم الى مساوئ الاستبداد والظلم والحكم المطلق ، الحكم الدكتاتوري الفردي ، الذي يؤدي دائما الى الانحلال والتقهقر ونشر الفساد وهدر قيمة الشعب في جميع الأمور والاعتداد بشخصية الحاكم مهما كانت تافهة جاهلة .

ومن أمثلة شعراء الاتجاه التقليدي السيد عبدالمطلب الحلبي فقد وجدت له قصيدة يندد فيها بالعهد الاستبدادي الذي كان مخيما على الشعب وما جره هذا العهد على البلد من فساد وفوضى ثم يشيد بالعهد الدستوري الجديد . والقصيدة تطفح بالمبالغة ويكثر فيها الحشو وتعتمد على المحسنات اللفظية ففي الأبيات الثلاثة التالية يقول :

- (١) سحر الشعر ص ٥٢ مصر ١٩٢٢
- (٢) معروف الرصافي - طبانة - ص ٧ مصر ١٩٤٧
- (٣) الادب المصري ج ٢ ص ٥١
- (٤) ومن هؤلاء خيرى الهنداوي فقد وقف قلمه على نظم القصائد وكتابة الفصول في تحبيذ الحرية والدعوة لها - الادب المصري ج ٢ ص ١٦٢

لك الامر فاحكم بالذى أنت عالم فمن ذا يرد الحكم والله حاكم
عن القوائم المهدي قمت بأمره أيا قائما أنهى له الامر قائم
عزمت فأغرمت المليك وقد نجا بحق الهدى والملف الشئ غارم

في الايات جناس اشتقاق بين حكم وحاكم ... و جناس تام بين القوائم
المهدي الامام الثاني عشر والقائم الممدوح ... وفي الفعلين عزم واغرم جناس
تصحييف في حرفين .. ثم نجد الطباق والمقابلة في الملف والغارم ... الخ ذلك
ويستمر في القصيدة على هذا النسق الى أن يصل الى القصد فيهاجم الجور،
الظلم ، والاستبداد ، الذى يحطم المستبد كما حطم عبد الحميد الذى لو
عدل بين الرعية وساوى بينهم ونشر لواء الحرية والمساواة لما أصبح رهين القيد
كسيرا ذليلا وبعد ذلك يتطرق الى مدح اولئك الذين أفاءوا على الشعب بالحرية
والعزة وهم اعضاء جمعية الاتحاد والترقي^(٥) الذين زحفوا من سلايك بعزم وقوة
وايمان لارغام الجبار على التسليم بحقوق الامة فيقول :

فهبت رجال من (سلايك) أيقظت الى العدل عين الحزم والحزم نائم
رجال هم الاسد الضراغم صولة لدى الروح لا اسد العرين الضراغم
دعو للتساوي دعوة وطنية أجاب لها منهم جهول وعالم^(٦)

ويمتدح بعد ذلك الخليفة الجديد محمد رشاد آملا في عصره الخير والرفاه
والسعادة ولا يخرج عن اسلوب القرن التاسع عشر من حيث العناية بالالفاظ فيقول
انه بيض وجه الملك الذى سودته المظالم وأصبح ثغر الليالى مبتسما ...

٥ (بشأن حركة الاتحاد والترقي يراجع المقال

The Young Turk Movement

في كتاب صدر في نيويورك عام ١٩٢٤ اسمه : Modern Turkey

وقد ألف من قبل Eliot G. Mears الصفحات ما بين ٤٧٦ - ٤٩٠

٦ (شعراء الحلة للخاقاني - ٢٢٣ - ٢٢٦ ج ٣ نجف ١٩٥٢ وله قصيدة اخرى
يمدح فيها الاتحاد والترقي ص ٢٠٩ ويراجع تفصيل طريف في الفصل
الثاني عشر من كتاب (عبد الحميد ظل الله على الارض)

أما الشاعر الآخر الذي تأخذه مثلاً لهذه الطبقة فهو الشيخ حسن العذاري فقد بدأ قصيدته بغزل متكلف ليس فيه روح وتأبى الروح أن تسري في أوصاله ثم يتخلص منه إلى مدح السلطان محمد رشاد ويراه بدر الخلافة ينير الدولة العثمانية ويبشر الأمة بأن عهده عهد العدالة ومحق الظلم وقد تساوى في زمنه الشعب أو الرعية ثم يطيل في قصيدته ويخلص إلى مدح حزب الاتحاد والترقي الحزب القوي الأمين الوطني المخلص الذي قضى على استبداد عبدالحميد وعلى أيامه فيقول :

ما الانتظار وما القعود ذوي النهى شرف (الترقى) بابه لا توقب
لا تقعدوا متكاسلين عن العـلا من شاء أن يصل الغزاة يتعب^(٧)

أما الاتجاه الشعري الثاني الذي ناصر الدستور فهو اتجاه العصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء ومن هؤلاء معروف الرصافي الذي نظم كثيراً^(٨) في الدستور وناصره مناصرة المؤمن به الحريص عليه فوصف يوم اعلانه وكيف استقبل الناس هذا الاعلان ووصف مشاعره وتطرق في شعره إلى مجلس المبعوثان وما يأمل على يد هذا المجلس من الخير للشعب ثم هاجم السلطان عبدالحميد ممثلاً للاستبداد والحكم المطلق والجور والطغيان ثم ناصر الجيش الذي عزل هذا السلطان وقضى على حركة الرجعية التي أرادت بالبلاد الشر والفساد وأرادت القضاء على الدستور . وعندما لم يطبق الاتحاديون نصوص الدستور ولم يرفعوا حقوقه شكوا إليه بحرقة وألم مما حاق به وبالبلاد من عدم تطبيق أحكامه ، ولما سقطت وزارة الاتحاديين سجل هذا بقصيدة . ويكاد الرصافي أن يكون المؤرخ العراقي لهذه الفترة من حياة الأمة . هذه الفترة الحافلة ، فترة نضال بين شعب يريد أن يسترد حريته وبين رجعية تريد أن تنقض عليه وتستعبده خادماً مطيعاً ذليلاً . . . لذلك كانت أفراح الرصافي أفراح شعب أو أفراح شعوب في الشرق أو في الغرب عندما فرح بالدستور . . . وغنت الدنيا طرباً به . . . عندما زف رجال الجيش هذا

(٧) شعراء الحلقة ٦١ - ٦٥

(٨) لاحظ ديوان الرصافي الصفحات ١١٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٣

الدستور للشعب .. فأقبل الشعب شاكرًا راضيا فقال :

سقتنا المعالي من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلا بما زفت وشكرا لمن زفا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرًا وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ورحنا نشاوى العز يهتف بعضنا ببعض هتافا يصعق الظلم والحيفا
ولاحت لنا حرية العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفا^(٩)

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي في مهجره بالأشادة بالدستور بقصيدة طويلة
جاوزت المئة بيت فقد رأى الدستور خفاق اللواء وان ذكره العاطر قد انتشر بين
المحافل ، وتبرز لنا اشواق الكاظمي للدستور شعور الناس وما انتابهم من غبطة
وسرور بهذا الاعلان وبذلك قد ثبت ان جميع أبناء الدولة العثمانية أو رعاياها
قد فرحوا بهذا الاعلان آمليين خيرهم وسعادتهم .. وقد رسم الكاظمي صورة
طريفة وصف فيها مشاعر الناس وحالهم بعد ما تخلصوا من العبودية .. وغدوا
جميعا اخوانا وصفهم وهم يتعاقون ويصافح بعضهم البعض .. شأن كل عمل
خير يعود على الأمة فيوحد بينها .. وتطغى على الشاعر الفرحة وموجة التفاؤل ..
فيوجب احياء الليل والنهار في هذا العيد الذي لا يدانيه عيد انه عيد الانسانية جمعاء
عيد الحرية وما أجمله من عيد فيقول :

هو العيد أحيوا ليله ونهاره وحيوه بالبشر الذي هو لائق
وما مثل هذا العيد عيد تجلّة جميع الورى أعداؤه والأصادق^(١٠)

فرح الكاظمي وهو في مصر وكانت مصر منقطعة الصلة السياسية بالعاصمة
الا بالاسم فراح يهتف باسم الشعب ويهتف للحرية التي ستم العثمانيين وغير
العثمانيين لان الأفلام ستكون طليقة حرة تكتب ما تريد وتعبّر عن الرغبات

٩ (ديوان الرصافي ص ١١٣)

١٠ (مجموعة شعر الكاظمي ج ٢ ص ١٢٦ مصر ١٩٤٨)

بصراحة وبأمانة لا تخاف من السلطان ولا من أعوانه وبذلك فقد دالت دولة
الظلم بعد أن قاسى الشعب من ارهاقها ما قاساه من الآلام وعانى ما عاناه من تحمل
الذل والهوان ثم يصف الثقة بالمصلحين وبما يحققه الدستور للشعب بقوله :

ولما تبدى للعيان تيقنوا	بأن يروق المصلحين صوادق
إذا ما دعوا للحق صمت وجلجلت	مسامع أخزاها الهوى ومناطق
أجابوا نداء الشعب رغم انوفهم	وقالوا سلاما والصدور حوانق ^(١١)

وقد سرت ثورة حزب الاتحاد والترقي على السلطان محمد رضا الشيبى
لأنه يرى ان الثورة تحقق مطالب الشعب باعلان الدستور ، لان الدستور كالنور
الذى ينبعث في الظلمة الحالكة فيحيلها علما واضحا مشرقا جميلا بعيدا عن الاشباح
والمخاوف . فتعم الفرحة الشعب بهذه الاشراق الحبية وتخطر النجوم فرحا
وابتهاجا بالدستور . . وكيف لا تضحك البحار وتبتسم النجوم وتشرق الدنيا
وقد تحرر العبد وانتشرت الحرية بين الشعب

طرقت وضاحية النهار دجنة	والحر عبيد ، والدنى أملاك
فأضاء عنها البرق ينبض عرقه	سلكا عليه حلى السنا أسلاك
ضحك المحيط لوقعها وتبسمت	عن نغر أنجمها لها الافلاك ^(١٢)

أما الزهاوي فيلقى خطبة طويلة بعد اعلان الدستور عندما تعقد جمعية
الاتحاد والترقي في بغداد اجتماعا ويرى ان الدستور العثماني قد حقق العدالة
ثم يصف هذه العدالة بالفتاة الجميلة وقد تجمع حولها الاحرار يحمونها من
المعتدين والمستبدين ثم يتطرق الى فضل الحرية على الامة التي تطلق الشعب من
أساره فلا يعرف الذل الدائم عندما تنشر ألويتها ويعرج على الظلم يندد به ويهاجم
الظالمين الذين يسوقون الشعب بالسوط ويحكمونه بقوة الحديد ويسخرونه دون
أن يراعوا له عاطفة او احساسا فيقول :

(١١) المصدر السابق ص ١٢٩

(١٢) ديوان الشيبى ص ٥٢ طبع مصر سنة ١٩٤٠

والظلم مفسدة ما حل في بلد
 قد أعلنت للمورى حرية فمضى
 الا وأزعج فيه أي ازعاج
 زمان سخرة ذي أمر وقرباج^(١٣)
 وأطلقت كل نفس من اسارتها
 هذا الذى كان يرجو نيله الراجي^(١٤)

وللزهاوي قصيدة اخرى بلغت خمسين بيتا نظمها بعد اعلان الدستور
 وموت صديقه وزير الحرية رجب باشا وفيها تطرق الى شعار الاتحاديين (الحرية
 والعدالة والمساواة) وأثر هذا الشعار في حالة الشعب ويقف عند العدل ويشبّهه
 بالغاية الجميلة التي تحلت بالاحجار الكريمة فبدت زاهية حالية^(١٥)

ومن الذين عقدوا الآمال الجسام وطربوا طربا شديدا عبدالرحمن البناء
 فقد رأى الحرية فتاة حلوة السمائل رقيقة السجيا لطيفة المزايا وانها ستغمر
 الشعب بهذه المحاسن وضمن شعره بكلمة مشروطة التي اخذها من المشروطة^(١٦)
 التي يرى العدل بها منتشرا والجور موليا الادبار ناجيا هاربا من العدل الساطع
 الانوار .

أما ابراهيم منيب الباجه جي فقد نظر من زاوية اخرى زاوية الاحزاب فقد
 رأى الدستور يهدم بناء المفسدين بعد أن شاد الاحرار مجدهم شامخ الذرى
 سامقا بين الشعوب وان دولة الاسلام ارتفع نجمها بين الامم لان يوم الدستور هو
 عيد الشعب ، وهل غير الحرية والدستور من أماني هذا الشعب حين قال :

يوم تهدم ركن المفسدين به
 وقد تشيد للاحرار صرح عالا
 يوم به خاب حزب المستبد وقد
 ولى ونال بنو الشورى به الاملا^(١٧)

هكذا كان حال الشعراء الذين عكسوا أفراح الشعب وأمانيه وأحلامه في
 الدستور وفرحوا بالانقلاب الجديد واصفين بشعرهم ما كان للدستور من أثر في

١٣) القرباج - السوط - تركية -

١٤) الكلم المنظوم بيروت ١٣٢٨ ص ١٨٣

١٥) الكلم المنظوم ص ١٨٥ وديوان الزهاوي ٢٧٤ و ٢٧٥

١٦) صدى بابل العدد ١/٥٥ شعبان ١٣٢٨ هـ

١٧) زنايق الحقل طبع بغداد ١٩٣٩ ص ١٢٠

جميع الشعوب من مختلف الأجناس ومتنوع الأديان والقوميات * لان الدستور معناه المساواة بين الناس دون النظر الى أي اعتبار الا كونهم مواطنين ، بيد أن عبد الحميد نكث بعهده الذي قطعه في المحافظة على الدستور وأغرى الصحف بمهاجمته وتلمس الاسباب المفتعلة للقضاء عليه معتمدا على بعض رجال الدين للقيام بحركة رجعية * مما دفع بالجيش الى أن يستعمل القوة ويدخل الاستانة ويحاصر قصر عبد الحميد (يلدز) ويشتبك مع رجال عبد الحميد ويحمل السلطان على التسليم ويقبض على أنصاره ويعدم عددا منهم * * * وتجتمع الجمعية العمومية فتعزل عبد الحميد وتولى السلطة السلطان محمد رشاد في ٢٧ من نيسان ١٩٠٩ (١٩) *

هذه السياسة الرجعية للقضاء على حقوق الشعب التي حصل عليها تبدو واضحة في شعر هذه الفترة ويبرز اسم الجيش واضحا وينظم الشعراء في تمجيده وتخليده ، ويهاجم الشعراء سياسة عبد الحميد التي انتهجها تلك السياسة الظالمة سياسة التفرد بالحكم وجر البلاد الى الانحطاط والتدهور والتأخر وكبت حريات الشعب ، والتعنن بملذات الحياة ويقف الرصافي على رأس هؤلاء الشعراء العرب فيصف زحف الجيش الذي قدم من سلاتيك الى الاستانة لقمع الحركة الرجعية التي تناصر حكم السلطان عبد الحميد وتؤيد سياسته (٢٠) * ويصف جنود هذا الجيش الذي وحد الهدف السامي بينهم رغم اختلاف اديانهم وقومياتهم وهل هناك هدف أسمى من الحرية والمساواة والعزة والكرامة ، يوحد الشعوب فتسير من اجله نحو المنية ؟ فيقول :

فكانوا الجيش ألف من جنود مجنودة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزما وما هم فيه متحدين ديننا

(١٩) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين ، مصر ١٩٥٤ ص ٣٠
(٢٠) في ديوان الرصافي وصف لاحد المشنوقين الرجعيين ص ٢١ ويلاحظ جريدة الرقيب العددين ١٥ و ١٧ من السنة الاولى سنة ١٣٢٧ هـ بصدد حركة بعض القبائل لمناصرة السلطان عبد الحميد وقمعها من قبل يوسف باشا * وفيها شعر لمحمد طاهر السماوي *

هي الاوطان تجعل من بنيتها اخاءا في محبتها رصينا
وتركهم اولى أنف كبارا يرون حياة ذي ذل جنونا
وان الموت خير من حياة يظل المرء فيها مستكينا

لقد رأى الرصافي ان ضياع الدستور وكبت الحريات ونجاح الحركة
الرجعية التي يقوم بها السلطان عبد الحميد ما هي الا العودة بالشعب الى عهد
الاستبداد وتحكم الفرد بالجماعة اثارا لذته وشهوته ورغبة في اعادة الظلم
والجور والظلم الى سابق عزه وضرأوته على ابناء الشعب فقال :

فقد هاجوا على الدستور شرا بدار الملك كي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاتوا في المواطن مفسديننا

ولكى يضرب مثلا حيا للطغاة ودرسا خالدا للظالمين استمر في وصفه
دخول الجيش الى قصر يلدز والقبض على السلطان عبد الحميد وارساله سجيناً
الى سلانيك لانه لم يرع حرمة الدستور واليمين التي حلفها من اجل صيأته فقال:

لقد نقض اليمين وخان فيها فذاق جزاء من نقض اليمين
وقد كانت به البلدان تشقى شقاء من تجبره مهينا
فكم اذكى بها نيران ظلم وكم من اهلها قتل المئينا^(٢١)

والرصافي شاعر الحرية لم يكتف بقصيدة واحدة للدفاع عن الشعب وعن
حقوقه انما كان مثلاً حياً ولساناً ناطقاً معبراً خير تعبير عن امانى الشعوب فقد
وقف نفسه في سبيل الذود عن الشعب وعن حريته ومحاربة الجور والحكم
الفردى وفي ديوانه الشعر الغزير ، نظمته في مناسبات كثيرة ومن هذه القصائد ما كان
منها قبل اعلان الدستور وبعده^(٢٢) وبذلك الدليل الواضح على ان الشعب كان له

(٢١) ديوان الرصافي القصيدة ص ٣٧٤ - ٣٧٧

(٢٢) لاحظ في ديوان الرصافي الصفحات ٤٥ و ٦٣ و ١١٦-١٢٢ و ١٦٢-١٦٤
و ٣٧٧-٣٨٠

من شعور واحساس بمرارة الظلم والاستبداد قبل ان يوقظ الدستور حماسة بعض الشعراء فيدفعها الى النظم ومن هذه القصائد تلك التي نظمها بعد سقوط عبدالحميد خاطب فيها القصر (يلدز) الذي كان يطفح بالغبطة والسرور والصفاء والى جانبه شعب يفيض بؤسا وشقاء وآلاما . فيخاطب ملوك العالم وطغاته جميعا ويجعل من عبدالحميد مثلا ودرسا يجب على الملوك اتخاذه عبرة حتى لاتسول لهم نفوسهم يوما بالاعتداء على حقوق الشعوب بخلق حرياتهما واهمال مصالحهما لان عاقبة الظلم والطغيان وخيمة تجر على صاحبها الويل ، وما تقييد الملوك لحريات الشعب الا لخوفهم من ثورته التي تركتهم يعيشون في رعب وجزع من هذه الحرية . . التي تجرهم الى مصيرهم المحتوم

يا ملوك الانام هلا اعتبرتم	بملوك تجور في الافعال
ليس عبدالحميد فردا ولكن	كم لعبدالحميد من امثال
فاتركوا الناس مطلقين والا	عشتم موثقين بالاوحال
هل جنيتم من التجبر الا	كل اثم عليكم ووبال (٢٣)

وقد كان لاعمال عبدالحميد اثر كبير في نفوس بعض الشعراء فقد لاحقوه حنى في سجنه وتصوره يلوم نفسه حسرة والمأ على ما قدمت يداه ، وما فرط في حقوق الشعوب التي كان يحكمها . . ذاكرنا تلك الايام العذاب لائما الدهر الذي انزله من عرشه بينما اصبح الذين كانوا رعايا اسياده وحكامه والمتصرفين في امره فيقول ابراهيم منيب الباجه جي

ارقت ومالي مؤنس غير وحشتي	وتسكاب دمع صاعد من حشاشتي
افكر في ماض سعيد قضيتيه	فاعقبه دهرى الخؤون بشقوتي (٢٤)
سقاك الحيا يامعهد الانس والمنسى	فبعدك شابت بالفراق شيبتي

ويخاطبه عبدالعزيز الجواهري بقوله :

(٢٣) ديوان الرصافي ٣٧٧-٣٨٠

(٢٤) زنا بق الحقل ص ١٣٧

اراك اسير احزان وقيد
وقد كنت الامير على السرايا
جزيت الشر يا شر الدهر
لقد اوغرت صدر الجند حتى
وكنت اراك ترسف في السرور
فكيف رسفت في قيد الاسير
اراك الله عاقبة الغرور^(٢٥)

وقد شارك عبدالمحسن الكاظمي اخوانه في العراق في لوم الاستبداد واعتبر عبدالحميد مثالا له وان عهده عهد المآسى والاحزان التي انصبت على كل الشعوب التي كان يحكمها .. وبعد ذلك يعرج في القصيدة الى نكت عبدالحميد للمعهد الذي اقصمه في حماية الدستور والمحافظة عليه ولا يكتفى بذلك انما يندد بعبدالحميد ويهجو هو واصحابه الذين شنقهم الجيش ويقول لهم ان المطاعم الشخصية هي التي سافت هؤلاء الى حتوفهم وكم سقطت من اجل تلك المطاعم رؤوس :

حسبت زمان السوء يخلد عمره
وفاتك ان الدهر يعطى وينتني
فيمرح عات او يتيه منافق
فيسلب والمغرور بالدهر واثق
الا قاتل الله المطاعم كم هوى
بها من عل شيخ وضل مراهق^(٢٦)

ليست العبرة بوضع الانظمة والخطط والدساتير انما العبرة في التطبيق وفي مدى استجابة الشعوب للنظم الجديدة .. ولكن المحتاج تطربه رؤية المال ، ويزيد من طربه ان يقال له ان هذا المال معد لك .. فيبنى الآمال العراض حتى يعتقد ان الامر اصبح حقيقة .. وهذا ماحدث في الدستور العثماني فقد كان الناس بحاجة الى الحرية والمساواة والعدالة وبحاجة الى مايشبع نفوسهم واجسامهم فعندما اعلن الدستور انبعثت هذه العواطف تهتف من اعماقها .. تحيي هذا المولود الحبيب الذي سيحقق لها ماتريده .. وقد شملت الفرحة كل فرد في اجزاء الامبراطورية العثمانية .. فكيف لايشمل النواب الذين سيكونون حراسا لهذا الدستور .. ان

(٢٥) الادب العصري ج٢ ص ١٦٦
(٢٦) ديوان الكاظمي ص ١٢٨ - ١٢٩ ج٢

الفرح الواسع والأمل العريض المخرج رسم للناس صوراً خيالية اعتقدوا بأنها هي الواقعية . لان أيام الطغيان والاستبداد والسخرية وطولها افقد الناس التمييز الذهني او التوازن العقلي وكانت نقلة الدستور وما اثير حوله من دعاية كافية لترسم للشعوب الخيال واقعا ذهبيا عذبا يفيض بالسعادة ويرفل بالهناء وكأنهم يعيشون في جنات عدن التي وعد بها المتقون .

وهاهم نواب العراق يرون الاصلاح وشيكاً وهاهم يتصورون العراق قطراً مزدهراً بالخصب والرخاء والزراعة في ظل العهد الجديد عهد الحرية والمساواة والعدالة ..

يخطب علي علاء الدين في حفل تكريمي لتوديعه قبل سفره الى الاستانة فيقول : « .. انا والثقة بعونه تعالى وتوفيقه في عزم اكيد على محافظة حقوق القطر العراقي خاصة .. والممالك العثمانية عامة وبذل الجهد فيما يعود على صلاح هذا الوطن العزيز الذي استحكمت فيه الرابطة بين اصناف جميع الرعية كائناً من كان ، فانهم على اختلاف مذاهبهم ، واديانهم ، وتشعب فرقهم ، وآرائهم يرمون الى غاية واحدة ، هي سلامة الوطن باستخلاصه من حضيض التلغ الى اوج السعادة والشرف » ولا يكتفى النائب بما ذهب اليه من تفاؤل يرفع به العراق من الحضيض الى الارجح وانما يشرح الاعمال التي يقوم بها فيقول (علينا التوصل بكل وسيلة الى ما يعود لسعادة الخطة العراقية التي لها من عظيم الاهمية فوق ما يعلمه اهلها . ونجهد كل الجهد في حصول الاسباب الكاملة بترقي زراعتها وتجارتها وامنتها وانتظام ادارتها من اعمارها وتسهيل طرقها والوسائط الثقيلة في انهارها وداخلها وخارجها) (٢٧) والرجل مخلص كل الاخلاص في قوله وصادق النية وهذا دليل واضح على مدى تفاؤل الناس بالعهد الدستوري الجديد ولكن هل فكر بكل شيء قاله هذا النائب وهل له علم بمقدار الاصلاحات التي يجب ان تقوم بها الدولة والمبالغ التي يجب ان تتوفر لانجازها ، والامبراطورية تركية من فساد وانحطاط واهمال في جميع المرافق .. ان ساعات الخيال حلوة ولا تريد ان تهبط الى الواقع .. ومتى

اصطدمت به ردت قوية مثل اصطدامها .. ولم يكن علي علاء الدين وحده فهذا معروف الرصافي تذهله الفرصة .. فيرى في المجلس النيابي الشمس اتسى تشرق لتبدد دياجير الظلمات الحالكة ويظن في اعلان الدستور ايذانا بزوال الظلم وسريان الحق في مجراه الطبيعي لان المجلس كالسمااء التي تظلل الشعوب العثمانية كلها .. ولانه نادى الحق والشورى والعدل .. ويظن ظهور الدستور في الدولة العثمانية بادرة خير سوف تعم الشرق كله فقال :

ياشرق بشارك ابدى شمسك الفلك وزال عنك وعن آفاقك الحلك
اضحى به القوم احرارا قد اعتصموا من النجاة بجبل ليس يتنبك
ناد به القول عن اهليه مستمع والحق متبع والامر مشترك (٢٨)

هذه الفرحة ، وتلك السعادة ، والامال العراض العذبة الجميلة التي عمت النفوس كان من الصعب ان تترك بسهولة . ان الخيال المجنح والامال الواسعة التي رسمتها الاخيلة الجائعة صدمتها الحقيقة وكانت الصدمة قوية لذلك استحالَت الفرحة الى ألم دفين ومزارة لاتطاق . لان الشعوب ارادت المستحيل من الدستور الجديد فتصوروا ان اعلان الدستور وحده سوف يحيل الافكار الى غسل ولبن فتغدو البلاد مزدهرة والنفوس متمدنة متعلمة وسوف تنتشر المصانع والمعامل في طول البلاد وعرضها وان جميع الاوضاع الفاسدة ستصلح ، وفاتهم اهم مقوم واساس كل اصلاح فاتهم ماتحتاجه هذه الاصلاحات من اموال ومن ايد فنية وخبرة طويلة .. بل فاتهم ما كان عليه القائمون على الانقلاب من اخلاق .. وانهم لن ينقلبوا ملائكة في ساعات معينة وانهم بشر لهم مطاعمهم الخاصة ورغباتهم الفردية وقد عاشوا في عهد كله فساد وانحطاط ولا بد من ان يؤثر الفساد في نفوسهم وعقولهم وتصرفاتهم - الا من عصم ربي - وهذا ماحدث في الدولة العثمانية عندما قامت جمعية الاتحاد والترقي بعملها وعزلت عبد الحميد .. فوجدت الخزينة قد انصرفت على الافلاس .. واجدبت الاراضي نتيجة لاهمال الري المتوالى . وانتشرت الامراض لعدم وجود اطباء وعشعش الجهل لعدم الالتفات الى العلم واحتل النظام

لحرمان الدولة من ايد حازمة نظيفة امينة وتفشت الفوضى . . (٢٩) كل هذا مم
عوامل كثيرة سيطرت على الدولة العثمانية والشعوب العثمانية جعل من المستحيل ان
تم الاصلاحات في فترة قصيرة والدستور وحده لافائدة منه اذا لم تعد له
اسباب التقدم وما لم يكن الشعب نفسه مستعدا للسير في الحياة الدستورية
وممارستها ، ولقد كان الصدى عميقا في نفس الرصافي الشاعر النائب الذي ردد
اناشيد الغبطة والسرور بالامس فقال اليوم :

شكاية قلب بالاسى نابض العرق الى قائم الدستور والعدل والحق
اي شكاية اشد ايلاما من قلب ينبض بالاسى والاحزان وما اشد وقع الالم
على غير استعداد له وما اصعب الانتقال من السرور الى الحزن لذلك فهو لا يرى
لغير الدستور والعدل والحق اي سلطان وبذلك يطلب المستحيل في هذا العصر
الذي ضاع فيه الدستور واهين العدل وهدرت كرامة الحق فيجار شاكيا من كبد
محترق قائلا في تعجب غير مصدق بما يراه :

فهل ايها الدستور تسمع شاكيا	بك اليوم يرجو ان يرى نهضة الشرق
لقد جئت من افق الصواري طالعا	علينا طلوع الشمس من منتهى الافق
فصادفت منامة قد تعشقت	لقائك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وانما	هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا	ولكن تراخي الامر متسع الخرق
بك اليوم اشقانا الالى انت مسعد	لديهم فيا لله للمسعد المشقي

(٢٩) هناك كثير من الكتب التي تبحث في العصر العثماني التركي منها —
The Camps, Last Heritage — ١

وقد ألفه سر مارك سايكس النائب في مجلس النواب البريطاني صاحب
المعاهدة المشهورة عن سياحة قام بها باحثا فيه حياة الاسلام منذ تكوينه
حتى العهد الذي ساح فيه . ومركز الخلافة العثمانية . طبع في لندن
سنة ١٩١٥ .

٢ — تركيا وقد ألفه Kirk Wood, Toynbee

طبع في لندن سنة ١٩٢٦

وبعد هذه الاستغاثة الواضحة بما حصل له في قوله (يا لله للمسعد) يظهر
 ماحاق بالشعب من جراء تحكم الاتحاديين في تأليف الوزارات حسب ما تشتهي
 مطامعهم واغراضهم فيقول : هم الذين استأثروا بالخيرات ولم يتركوا للامة
 شيئاً عندما جعلوا الدستور الذي ارادته الامة بكل قواها اداة للرزق والانسراء
 وغدا آلة لمصالحهم على حساب الشعب :

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدوا على من حولهم طرق الرزق
 كأننا لهم شاء فهم يحلبوننا وكم مخضوا اوطاننا مخضه الزق
 وهم يأخذون الزبد من بعدمخضها ولم يتركوا للمساكين سوق المذق^(٣٠)

ويقف « علي الشرقي » وقفة الحائر في امر العراق . اذ انه رأى اعلان
 الدستور لم يغير شيئاً من حالة العراق العامة وكان هذا الحدث الذي كان مقدراً له
 ان يدر على العراق الخير الوفير لم ينله بشيء والعراق متأخر وقد عبر عن حيرته
 بشعر غير واضح الهدف ولجأ الى اللف والدوران ولم يقدر الا ان يقول :

نطقت بحاجتها الشعوب وافصحت وارى عراقى واجماً لا ينطق
 وكان هذا الشرق سفر غرائب اضفى عليه الدارجون وعلقوا
 ختمت صحائفه وجئنا بعدهما حتى كأننا فيه فصل ملحق
 ماذا تغير والبلاد بأهلها بغداد بغداد وجلق جلج^(٣١)

اما « البناء » فقد كان اوضح قصدا وافصح مرادا من علي الشرقي فقد

(٣٠) ديوان الرصافي ص ٣٨٩ و ٣٩٠ وله قصيدة لم تنشر في الديوان وقد
 نشرت في جريدة الرقيب العدد ١٥٦-١ سنة ١٣٢٧ مطلعها :
 « ارى بغداد تسبح بالملامى » وقد اخبرني سيادة الاستاذ مصطفى
 علي ان الرصافي لم يلحقها في ديوانه عندما كان حياً . وللزهاوي
 قصيدة مطلعها

لا تنتظر لعصابة رشدا فيها تساوى الرأس والذنب
 هاجم فيها جمعية الاتحاد والترقي مهاجمة عنيفة ويبدو لي انها نظمت بعد
 الحرب العالمية الاولى : راجع الباب ص ٥٩ طبع بغداد ١٩٢٨

(٣١) عواطف وعواصف ص ١٩٨ بغداد ١٩٥٣

طالب بالاصلاح ولام نواب العراق الذين ذهبوا ليمثلوه في مجلس الامة دون
هوادة فقال مغنا :

فقولوا لنواب العراق أما لكم تفاغلتمو عنا باعلى المراتب
يشق علينا جنبكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطاب

ويحث النواب على الدفاع عن حقوق الشعب والمطالبة بالاصلاح فيقول:

فليس انتخبناكم لاصلاح حالكم فنحن انتخبناكم لدفع النوائب
فلا تجعلوا للصمت فيكم سجية فرب كلام فاق سيف المحارب

ويضع حالة الامة المتأخرة بين ايديهم وما حاق بها من انحطاط حتى
لا يبقى لهم عذرا بقوله :

فما عذرکم في امة قد تتهقرت ولم يبق فيها غير حسرة خائب^(٣٢)

ومما زاد في هذا التشاؤم العنصرية التي انتهجها رجال الاتحاد والترقي
وكان الالم ممضا اذ وجدت الشعوب فراغا في حياتها وكان هذا الفراغ واضحا
فقد كان يربطهم بالدولة الدافع الاسلامي ولم يكن هناك ما يركنون اليه بعد
دهاب هذا الرابط وفقدان شيء تعود عليه المرء يضاعف في نفسه الالم والحزن... اذ
اضمحلت الروح العثمانية التي كانت تميز بالاسلامية ورعايتها للاسلام واخذ
يهدد العرب تيار التريك الجديد الذي اخذ يهدد العرب في لغتهم وقوميتهم وحياتهم
لذلك اندفع العرب نحو جهة جديدة ليسدوا هذا الفراغ • وليحافظوا
على كياناتهم العربي ولغتهم • فظهرت بوادر القومية ونمت واخذ العرب ينظرون
الى انفسهم عنصريا واحدا له ماللأتراك من حق في الحياة وله قوميته كما ان للأتراك
قوميتهم، بل ان للعرب تاريخا مجيدا حافلا بالفخر لا يدانيه تاريخ الأتراك ولهذا طالبوا
بالانفصال عن الأتراك وتأسيس دولة توحدهم وتجمع شتاتهم وتدافع عن
مصالحهم المشتركة •

(٣١) ديوان الشرقي ص ١٩٩

(٣٢) صدى بابل ٢/٧٥ سنة ١٩١١ • ويراجع ديوان الزهاوي ص ٨٠ وله
قصيدة في الاتجاهات الادبية) يهاجم فيها قادة الاتحاد والترقي ص ٦٦

حروب الدولة واثرها في الشعر

— ٤ —

كان لحروب الدولة العثمانية اثر كبير في اثارة حماسة الشعراء فقد ايدها الشعراء تأييدا مطلقا يدفعهم الشعور الديني لانهم كانوا يرون في حروب الدولة العثمانية دفاعا عن الكيان العثماني الذي هم جزء منه ، ضد اطماع اوربا (الكافرة) التي تريد القضاء على الدولة (المسلمة) وبذلك قضاء على العرب والشرق^(١) فلا تعجب ان نرى اجماع الشعراء على الذود عن الدولة العثمانية ضد اى عدوان عليها وقد كان من جراء هذا الشعور ان تطوزت اساليب الشعر وتقدمت عما كانت عليه في اوائل القرن التاسع عشر والثامن عشر فقد احس الشاعر انه جزء من هذا الكيان العام وان مصالحه الفردية غدت مهددة ورأى انه مسؤول عن كل شئ في هذه الدولة . فقد هزته الحروب العامة كما هزته من قبل الحياة الدستورية ورأى شيئا جديدا يسمى المساواة مع الامم الاخرى . فلم يعد يتمنى ان يقبل اذبال الوالى ويتوسل ان يقبل يديه^(٢) كما تمنى التيمى ، كما انه لم يسف في شعره

(١) بلغ من تعصب احد كتاب فرنسا ان اقترح حلا للمسألة الاسلامية التى دوختهم القضاء على المسلمين ونبش قبر الرسول الكريم ونقل عظامه الى متحف اللوفر ببائيس (الاتجاهات الوطنية ص ٢ من تاريخ الاستاذ الامام ص ٨٠١ لمحمد رشيد رضا القاهرة ١٩٣١)

(٢) ديوان التيمى ص ١٠٢ و ٤٠

ويهدر كرامته ليكون اداة تسلية واضحاك للموالى^(٣) فقد ظهرت على شعره سمة من الاعتزاز بالنفس وبالكرامة الانسانية ورأينا الشعر يرتفع في موضوعه واهدافه عن اهداف من سبقه يتعد رويدا رويدا عن المبالغات وانسابت في الشعر روح في طياتها عاطفة الشعر واحساس الشاعر ولم يكثر كثيرا برصف الالفاظ ، وانتقاء العبارات وبذل جهد كبير في المحسنات اللفظية * وأخذ الشاعر ينافح صادقا عن امته ووطنه .

وقد نسي الشعراء جميع مساوىء الدولة العثمانية وتناسوا آلام الماضي الذي هيمن على العراق حتى يؤازروا الدولة صفا واحدا ملتفين حول راية واحدة هي راية المسلمين خوفا من تفريق الشمل وبعثرة القوى يدفعهم الدافع الديني العميق والدافع الذاتي الحساس وقد كانت كل الحروب التي يشنها الغرب ذات أثر واضح في عواطف المسلمين والعرب ومن هذه الحروب التي ظهر أثرها في الشعر العراقي في هذه الفترة ، حرب اليونان ، سنة ١٨٩٧ وحرب طرابلس سنة ١٩١١ وحرب البلقان سنة ١٩١٢ والحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤^(٤) .

حرب طرابلس

وهي أول حرب تصادفنا في القرن العشرين^(٥) أثرت في اتجاهات الشعر

٣ (الترياق الفاروقى في ص ٢٨٣

٤ (يراجع بشأن هذه الفترة Turkey المؤلفه Toynbee ص ٥٤ و ٥٨ و ٩٢ - ١٠٠ . طبع لندن ١٩٢٦ والاتجاهات الوطنية ص ٣٩ عن مذكراتي في نصف قرن ٢ : ب ٢٨٨ وما بعدها ومذكرات العسكري عن الثورة العربية ١٨ - ٢٦

٥ (هاجمت إيطاليا طرابلس عندما سحبت الدولة العثمانية جل قواتها لمحاربة امام اليمن والادريسي في عسير فدخلت إيطاليا طرابلس وقد حاولت الدولة العثمانية اعادة ما استولى عليه الطليان لذلك اعدت حملة اشترك فيها عزيز المصري القائد المعروف ومصطفى كمال باشا الذى أصبح زعيم تركيا الجديدة ولكن لعدم وجود وسائل نقل ولعدم تنظيم مسيرة هذه الحملة طال أمد الحرب وعند اعلان دول البلقان ، مثل الصرب وبلغاريا والجبل الاسود ، الحرب على الدولة العثمانية في تشرين الاول ١٩١٢

العربي عامة وفي العراق بصورة خاصة فقد شنت إيطاليا الحرب على طرابلس العرب تريد امتلاكها واستعمارها ومتى كانت الشعوب ترضى بالاستعمار بدلا عن الحرية ، والذل بدلا عن الاستقلال لذلك أخذ أبناء البلاد بقيادة السنوسيين يدافعون عن أوطانهم بكل ما يملكون من قوة مضحين بالغالي والرخيص للمحافظة على الاستقلال بعد أن بادت الدولة بالفشل في المحافظة على بلدهم وقد كان يدفع الشاعر العراقي دوافع كثيرة لمؤازرة طرابلس منها حق الحياة والحرية وما له من صلات وتقى بينه وبين أبناء طرابلس من دين وعروبة وبغض الاستعمار فنارت كل هذه العوامل في نفوس الشعراء ودفعتهم نحو الانتصار لهذا القطر العربي المناضل في سبيل حريته وكرامته وحياته فنار على أوروبا المستعمرة وتطوع الكثيرون من جميع الأقطار وخاصة أبناء مصر^(٦) لكي يدافعوا عن طرابلس الغرب ولكي يقفوا أمام المحتلين المعتدين وللدفاع عن الدين الاسلامي وقد الفت كثير من اللجان لجمع التبرعات^(٧) وإثارة الناس بأقامة الحفلات ومن تلك الحفلات حفلة النادى العربي في الاستانة^(٨) التي ألقى فيها محمد حبيب العبيدي خطبة حث الناس فيها على مساعدة الاسلام في طرابلس ، ثم أعقبها بقصيدة تطفح

اضطرت الاخيرة الى طلب الهدنة من إيطاليا اذ أن الخطر غدا يهددها في عقردارها وقد تم بعد الهدنة التنازل عن طرابلس لكن العرب لم يرضوا بالاستسلام فقد قاومت القوات الوطنية ثمانية عشر عاما حتى نفذت جميع الذخائر والعتاد ولعل من الطريف ان نذكر ان من المتطوعين كان ضابط نمساوي وآخر بريطاني .

(٦) قال تحسين العسكري وقد كان من ضباط الجيش العثماني السدين ارسلتهم الدولة لمحاربة الطليان : ان جمعية الهلال الاحمر ارشدتهم على الطريق المؤدي الى طرابلس ثم زود بأربعة آلاف ليرة انكليزية ذهبية اعانة من الشعب المصري لمجاهدي طرابلس الغرب ٠٠ وقال ان الحرب ضمت كثيرا من أبناء الاقطار العربية من سوريين وعراقيين ٠٠ (مذكراتي عن الثورة العربية ص ١٦ ، ١٤)

(٧) الاتجاهات الوطنية ص ٣٥ لاحظ مصدره

(٨) الادب المصري ص ١٤٨ (مصر ٩٢٣) وقد جاوزت القصيدة ال ٥٠٠ بيت

بالحماسة الدينية والوطنية ورأى ان الشرق مسؤول كله عن الذود عن حياض
طرابلس لان الغرب هو الذى يهاجم الشرق في مهاجمته لطرابلس ولا يقل
الشرق قدرة وكفاية عن الغرب غير ان أبناء الشرق كسالى خاملون ركنوا الى
الدعة والهدوء فلذلك اتخذ طريق شحذ هذه الهمم الخامدة والنفوس النائمة
سبيلا له فقال :

كيف ترضى يا شرق ان يكسب الغر ب فخارا من دونك العلياء
كيف ترضى يا شرق ان يمشى الغر ب أماما وانت تمشى وراء

ويبرهن على ما للشرق من مكانة وقدرة بضرب الامثلة من التاريخ القديم
الذى نشر النور فيه الشرق وكان مهدا للمدنية والعلم وان ربوعه كانت منبع
العرفان والرقى والمفاخر فيقول :

من حمانا نور العلوم بدا فيها وعمت اقطارها الاضواء
نحن أحيينا ما أمات زمان الجهل مما قد أسس القدماء

ثم يجول الشاعر جولة طويلة في التاريخ الاسلامي والعربي مذكرا
الشعوب الاسلامية والعربية بما كانت عليه من عزة وكرامة وسؤدد ويخرج
بعدها من تلك الجولة الى حرب الطليان واستعمارهم لقطر عربي مسلم ويقف
متسائلا كيف يرضى هؤلاء الاحرار أن يكون أذلة وكيف يرضون للاستعمار
الحكم والسيطرة وهم الذين ما عرفوا الاستعمار الذى هو مرادف للموت فيقول :

أنسام الهوان دون المنايا انما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحضر دارا انما الحر داره الجـوزاء
يا بنى الضاد ان للضاد حقا ناطحت دون هضمه الآباء
ليت شعرى ما ينقم القوم منا ام على ابصارهم هناك غشاء
ليت شعرى ما ينقم العمى منا رب قوم ارض ونحن سماء^(٩)

ولم يتخلف الكاظمى عن المشاركة في تأييد احرار طرابلس - في وطنه

الثاني مصر - فقد هزه الاعتداء على طرابلس فنشر قصيدة في جريدة المؤيد
 بحث فيها الشعب على انجاد طرابلس بالاموال والارواح والمسارة في هذه النجدة
 اذ لم يعد الوقت كافيا للتأخير والتأجيل . وقد صور الكاظمي حال اخوانه العرب
 وهم صرعى على الثرى يتخبطون في دمائهم وقد وقفت النسوة خائفات في العراء
 وليس لهن من معين على هذه البلوى غير الدموع الغزيرة والزفرات الحرار
 والوحدة والحزن والهموم .. وقصيدة الكاظمي من روائع الادب العربي ففيها
 طفحت العاطفة الكريمة المبدعة .. وحدث من الشعور الانساني النبيل ، يرفعها
 الى مصاف الادب العالمي

وفي القصيدة وصف لطيف لجبن الطليان الذين اعتدوا على الآمنين والعزل
 فانهم حين خافوا أن يحاربوا في حومة الوعي رجال الحرب هاجموا هؤلاء العزل
 للانتقام من الاقوياء الذين دحروهم وأردوهم الى درك الهوان ..
 وفي هذه القصيدة يدافع الكاظمي عن الدين الاسلامي الذين يصفه الغربيون
 بأنه دين متأخر دين الوحشية والعبودية .. ويضرب لهم مثلا ويتساءل فيقول :
 أبعد هذا التناهي في تعصبهم يعزى التعصب للإسلام والتهم ؟

ويرد عليهم ردا مقنعا بأنهم دعاة حرب لا دعاة سلام والالما هاجموا قطرا
 أمنا واحتلوا أراضيهم بالحديد والنار والدماء فيقول :

ابن السلام الذي شادوا جوانبه زعما خلوبا فلا شادوا ولا زعموا
 قالوا « السلام » فنمنا واقين به ابن السلام واركان السلام دم
 أبعد ما شنت الطليان غارتها وقام (مخدوعنا) بالسلم يعتصم
 قالوا الحياد فقلنا ليس ذا عجبا عن نصرة الحق كم حادوا وكم وجموا
 ويصف لنا أخلاق الاوربيين من نكت العهود ، وحنث اليمين والوعود ،
 واهتضام حقوق الشعوب الضعيفة فيقول :

ان عاهدوا نكثوا أو أقسموا حنثوا أو عاملوا عبثوا بالحق واهتضموا

ولم يهاجم « المحسن » الدين المسيحي كما هاجم الغربيون الاسلام ولم
 يعتد على قدسيته كما اعتدى الاوربيون على الاسلام انما قال ان الدين المسيحي

هو دين الحق الذي يدعو الى السلام والمحبة وانه يضم بين جوانحه الفضيلة
والمعروف والبر والرحم وانما الطليان المستعمرون هم الذين ضربوا بتعاليم الدين
المسيحي جانبا ولم يمتثلوا تعاليمه السمحة فاعتدوا على الشعوب الضعيفة الآمنة
واقترفوا الآثام باسمه وهو برىء مما يدعون •

وتبدو انسانية الشاعر العربي بالدعاء لهم أن يأخذ الله بيدهم نحو الخير
والسداد لانهم قوم جاهلون يفعلون ذلك جهلا وحمقا فقال :

رحمك يادين عيسى لاتؤاخذهم	اذا جنوا باسمك الفياح او ظلموا
اهلوك قد جهلوا الدين الذي اتبعوا	فحملوك خطاياهم وما علموا
حاشاك انت برىء من خلائقهم	ورب ذى كرم اتباعه لؤموا
وانت يا اكمل الاديان معذرة	مما عزاء لك الباغون واتهموا
انت الفضيلة والمعروف اجمعه	انت التقى والهدى والبر والرحم ^(١٠)

والقصيدة جاوزت المئة بيت كلها على هذا النسق • ولم يكتف الكاظمي
بهذه القصيدة انما عرج على ذكر طرابلس عندما نظم قصيدة اخرى في حروب
البلقان •

واذا تصفحنا ديوان الرصافي نجده قد نظم ثلاث^(١١) قصائد حث فيها
المسلمين على الحرب والدفاع عن طرابلس وقد نظر الرصافي الى هذه الحرب
نظرة اخرى لم يرها حربا بين ايطاليا والدولة العثمانية للاستيلاء على طرابلس
انما هي حرب الاستعمار الغربي الذي يريد أن يسيطر على الشرق لكي يستغله
ويعبث بمقدراته والاستعمار ضارى ويبيد كل ما يقف أمام مصالحه فيجب أن
يحارب الاستعمار نفسه الممثل في ايطاليا الطامعة لذلك كان اندفاع الرصافي رائعا
في الذود عن طرابلس ومثلا حيا للحماس الديني • ومع هذه الروح فقد ابتعد
عن مدح رجال الدولة العثمانية في شعره وكأننى به يلقي التبعة على هؤلاء الرجال

(١٠) ديوان الكاظمي ج ١ دمشق ٩٩-١٠٩ ويلاحظ ص ١١٠ بصدد قصيدة
البلقان

(١١) ديوان الرصافي ص ٤٧٠ و ٤٧٤ و ٤٨٤

الذين تخاذلوا عن نصره طرابلس وتركوها ضحية الاستعمار لذلك فقد صب كل شعره على الاشادة بالسنوسى وشجعه بكل قواه لانه كان وحده المصطفى بسيران الحرب وبلاياها • ويؤيد رأي الرصافي في الاستعمار وضراوته ورغبته في السيطرة على الشرق ما حل في مصر وتونس وكيف استباح الغربيون حمى هذه الاقطار المسلمة ... لذلك فهو يخاطب أهل بنغازي والسنوسى مشيدا بشجاعتهم آملا أن يسير المسلمون جميعا الى نصره طرابلس • ولكنه يعرف سلفا ان آماله بعيدة عن أن يحققها مسلمون ضعفاء متناحرون متأخرون • فيشكو الى الله ويقول مخاطبا السنوسى :

ومن مبلغ عنا السنوسى انه	يمد لهذا الصدع منه يد الرأب
فانا لنترجو ان يقود الى الوغى	طلائع من خيل ومن ابل نجيب
فيحمي بلاد المسلمين من العدا	وينهض كشافا لهم غمة الخطب
فان حشا الاسلام اصبح داميا	الى الله يشكو قلبه شدة الكرب
فقم ايها الشيخ السنوسى مدركا	جنود بنى عثمان في الجبل الغربى

ومع ذلك فان قلب الرصافي مملوء بالامل والفوز وانه يأمل أن يؤازر المسلمون طرابلس في حربها وأن يفتكوا بالجموع المتعدية ويبيدوا جيوش الاستعمار وليس من السهل على الغرب استعمار المسلمين وسوف يرد الاستعمار خاسرا حسيرا لان المستعمر كاذب خداع يفتصب دون حق وسيسيطر بالباطل على أرض المسلمين • فالتفت الرصافي ساخرا الى هؤلاء فيقول لهم :

أيا زعماء الغرب هل من دلالة	لديكم على غير الخديعة والكذب
تقولون ان العصر عصر تمدن	امن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب ؟
ألم تبصروا القتل تمج دماءها	على الارض والجرحى يشون في الحرب
أفي الحق ام في العلم الا يسوءكم	ويخجلكم شن الاغارة للغصب ^(١٢)

ويؤكد سخريته في قصيدة اخرى من التمدن الذى يدعيه الغرب وتكذبه

وقائعهم وأعمالهم العدوانية وما ينشرونه على الشعوب الآمنة من الولايات والمصائب
معددا مصائب الشرق التي جاءت من الفرنسيين في تونس ومراكش وما جنته يد
الظليان في طرابلس وعبث الانكليز بحقوق مصر واحتلالها فيقول :

يقولون ان العصر عصر تمدن فما باله امسى عن الحق مزورا
الى الله اشكو في الورى جاهلية يعدون فيها من تمدنهم عصرا
اتنا بشوب العلم تمشى تبخترا الى الخير ، لكن قد تأبطت الشرا

ودليل الرصافي واضح في قوله :

لقد ملك الافرنج ارض مراكش وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا
ففاجأنا الظليان من بعد ملكهم لكى يسلبونا من طرابلس الامرا
وقالوا ألم تأت الفرنجة تونسنا وهذى جيوش الانكليز انت مصرنا (١٣)

وقد كانت حرب طرابلس - شأن كل الحروب في هذا العصر - سببا
عاطفيا هز المسلمين جميعا ولم يتخلف عن مساعدتها شاعر فقد اشترك الجميع
مخلصين في الدفاع عن حقوق طرابلس الغرب العربية المسلمة ، وكانت هذه
القصائد صدى عميق الاثر عكس وعي الرأي العام في الشرق العربي المسلم ..
اذ كانت هذه العواطف صادقة بعيدة عن التزلف والمداجاة والنفاق فهم زادوا
بشعرهم عن طرابلس وسواها آملين بالثواب الآجل لا راغبين في الاجر العاجل
من أمير او سلطان فهم زاهدون في عطف الوالى ورضاء الحاكم ، ويسمو الشاعر
بعواطفه الكريمة يدفعه دافعان : الدافع الديني العميق الذي يربطه بهؤلاء
العرب الذين تطحنهم رحى الاستعمار بدون رحمة ، والدافع الانساني الذي
يرى أخاه الانسان يفقد حريته واستقلاله غير ان الدافع الديني كان أمتن وأقوى
من غيره من روابط الشعر بطرابلس .. لذلك فقد أكثر الشعراء من النظم في هذا
المضمار . غير ان بعض الشعراء لم يكونوا واضحي القصد صريحين صراحة
الرصافي ... فلم يكونوا يبني القصد والغاية في شعرهم كالشبيبي (محمد رضا)

فقد تحدث بصورة عامة عن الحروب وعن الغربيين دون أن يتطرق الى الحادث نفسه فالقصيدة بحد ذاتها لا تنطبق على حادثة طرابلس انما هي تنطبق على كل الحروب التي يشنها الغربيون ولولا ذكر (برقة) ووجود المقدمة الايضاحية للقصيدة لما عرفنا انها نظمت في حرب طرابلس .. فهي قصيدة شاعر عربي أثارت حروب الاجنبي على بلده فسقط منهم صرعى في سبيل الوطن فثار عندما رأى اخوانه العرب صرعى .. وهزته الروح العربية والنخوة القومية لتأييدهم .. والفخر بجهادهم وحروبهم فقال :

عرب على قسما ت وجه وليدهم	متين عنوان طيب المولى
لا يطر قون الماء شيب نميره	وغدا مخاضة رائح او معتدى
واذا الذئاب وردد ماء حرمت	اسد الثرى غشيان ذاك المورد
واذا اعتدى الباغي على اوطانهم	بطشوا به واروه عقبى المعتدى
اوما اتاك ببرقة نأ التسي	رمت البلاد بمبرق وبمرعد ^(١٤)

وتطفح القصيدة بالتهديد والوعيد وتفيض بالالم . أما أسلوبه الجزل فانه يعيدك الى العصور العربية ، عصور العناية بالسبك الجيد الرصين وبالرغم من أن اسلوب القصيدة جزل قوي فقد بدأت صرخات الالم تن في أبياته . وقد تطرق الشبيبي الى الموضوع الذى يتمشدد به الغربيون بأنهم أصحاب حضارة ومدنية وانهم أصحاب التجديد والابداع فيرد عليهم متهمكما بقوله :

انا دعونا العصر عصر تقهقر	فليدع عصر تقدم وتجدد
فماذا يرجى من وراء حضارة	عمى البصير بها وضل المهتدى
وجدت فاعدمت النفوس فضائلا	خلقت لها فكانها لم توجد ^(١٥)

وهذه الروح العربية أثارت شاعرا آخر هو علي الشرقى وقصيدته تصلح أن تكون لاي موضوع عام في الحرب التي تثار بين العرب وبين أي فريق آخر

(١٤) الديوان ص ١٩

(١٥) الديوان ص ٢٠

من أعدائهم ، فلو حذفنا بيتين اثنين منها ضاع علينا المطلوب من القصيدة هذا الى انه ليس في القصيدة دعوة صريحة للمقاتل لمساعدة أهل طرابلس ولم يخص الشاعر الحادث الذي حاق بطرابلس الا بخمسة ابيات ختم بها قصيدته ، شبه فيها روما بالكلبة ثم جعل الكلبة حيوانا ناطحا له قرون فقال :

ما لروما فلا استوى عرش روما	قتلت ذيلها وعجت نباحا
جنبت عن نضال كل قسوي	فاغارت على الزوايا اكتساحا
نطحت برق و برق واحات	من التخل ما عرفن النطاحا
ابني العرب لابراح عن الحرب	والا عن الفخار براحا ^(١٦)

وكان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أوضح أسلوبا واسطع قصدا من الشيبسي والشرقي فقد تجلت في قصيدته روح العالم القائد الذي يشعـر بالمسؤولية الملقاة على كاهله وتجلت روح اسلامية اصيلة عميقة تطالب بالكفاح والنضال والمساعدة السريعة للمسلمين ، وصور الحادث تصويرا يدفع كل مسلم الى المشاركة العاجلة لما فيها من تأنيب واستفزاز ونداء لاغاة الاسلام الذي صم المسلمون آذانهم عن سماعه فقال :

أيها المسلمون هبوا فليس الـ	موت الى حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التماذي	واتاكم سيل فماذا التواني
جاءكم جارف من الغرب تيا	ر يهد البنا واس اليـانـي
يستغيث الاسلام فيكم فيلقـي	عنه منكم تصامـم الآذان
صارخا فيكم فهل من سميع	صرخات الاسلام والتقرآن

ولا يكتفى كاشف الغطاء بهذا بل يحرج المسلمين احراجا ليتشبر همتهـم وصمتهم ونخوتهم في سبيل مساعدة اخوانهم حينما يمعن بقوله :

ان بيض الوجوه سود اذا لم تغدوا خمرا من النجيع القاني
 ان لبس الثياب خزي اذا لم تجعلوها لكم من الاكفان
 انكم والنساء - ما لم تذودوا عن حماها عدوكم - سيان

ولا يختلف الشعراء في ان هذه الحرب الغريبة انما هي لتهديم الدين
 وابداء المسلمين في الشرق وتقويض دعائمه في كل مكان • لانهم يرون الجامعة
 الاسلامية صخرة قوية تقف امام مطاعمهم وغاياتهم فما على الغرب الا ان يحطم
 هذه العقبة ليتمكن من استعمار الشرق •• وقد بدا في حرب طرابلس والحروب
 الاخرى التي شنها هذا المطمع الاستعماري واضحا •

اظهر الغرب ما أجن من الغد ر وأبدى كوامن الاضغان
 واحاطت بالمسلمين علوج ال بغى من كل جانب ومكان
 يتشكى (المراكشي) اعتصاما وكشكواه يشتكى (العثماني)
 واذا ولولت (طرابلس) في الغر ب اتاها العويل من (ايران)

وقد بذل قصارى الجهد في التأثير في نفوس المسلمين واراد ان يحفزهم
 للقتال فتفنن في صوره ثم التجأ الى الصور الانسانية النبيلة ليهز هذه المشاعر صور
 الايامى المشرذات والاطفال اليتامى الباكين حسرة على اباائهم فقال :

كم نساء أضحت أيامى تعاني من يتامى فقيدها ما تعاني
 تعقد الراحتين بالقلب مهمما نثرت بالدموع عقود جمان
 كم نكول تشجى الحمايم بالنو ح فتبدى غرائب الالحان
 ولكم ام واحد ذات رزء ما لها عن عويلها من ثنائي

ويسخر سخرية لاذعة من مدعي السلام الذين يسلبون دماء الضعاف
 على الارض باسم المحافظة على السلام وباسم المدينة والحضارة فيقول :

أفهدا وضع السلام على الار ض وهذا تمدن الانسان

ولا بد من الاشارة هنا الى ما حوت عليه القصيدة من سخط واضح المعالم على
 السلطان وعلى حاشية السلطان فقد قال صراحة ان الملوك يجب أن يحموا البلاد

لا أن يحموا عروشهم وتيجانهم بقوله :

ان عز الملوك في حفظها الاملاك لا في العروش والتيجان

وصور هؤلاء الحاشية الذين غرتهم نعومة العيش وركنوا الى الدعة ناسين
السبب الذي يعيش في الفقر والفاقة ، لانهم غلف القلوب الا عن ترفعهم وملذاتهم
عمي العيون الا عن مصالحهم الشخصية والا فأن الضمير الحي الذي يدفعهم الى
أن يدرؤوا الضيم عن أوطانهم :

يصرع البغي اهله مستثيراً	وعلى نفسه سيجنى الجاني
غير ان « الاسلام » ضلوا عن الحز	م وناموا على غرور الاماني
انذرتهم وقائع الدهر فيهم	ناطقات لهم بكل لسان
فتعاموا عن العظائم وهاموا	بزخايف نعمة وليان
استلنوا نعومة الغرب حتى	راعهم منه نهشة الافعوان
تركوا دينهم لدنيا سواهم	رب ربح يكون من خسران
واذا القلب كان أعمى عن الر	شد فماذا تفيده العينان
واذا ما اليدان لاتدفع الضيم	فاولى بالقطع تلك اليدان
ليت من لا يكون ذا حر دين	في البرايا يكون ذا وجدان ^(١٧)

ولم تكن هذه الروح الدينية مختصة ببلدة عراقية دون بلدة ، ففي بغداد
وجدنا الرصافي والزهاوي ومن النجف كاشف الغطاء وها هوذا شاعر آخر من
الحلة هو السيد عبدالمطلب الحلبي وقد كان الحلبي من الداعين الى العروبة والقومية
العربية والداعين الى الانفصال عن الدولة^(١٨) ولكن الروح الاسلامية العربية استأثرت
بجانب كبير من قصيدة له نظمها في مناسبة الاعتداء على طرابلس واحتلالها
والقصيدة سفر من التاريخ مما لم نجده في شعر غيره من الشعراء المعاصرين
فقد تتبع نزول قوات ايطاليا في الساحل وذكر بعض وقائع هذه القوات مع السكان

(١٧) الادب العصري ج ٢ ص ٨٨

(١٨) شعراء الحلة ج ٣ ص ١٩٦ والقصيدة ص ٢٣٠ ولم يتخلف البناء عن هذا
المضمار فنظم في (ديوان البناء بغداد ١٣٣١ هـ) في أثر الحروب لاحظ
الصفحات ٩٨ - ١١٥ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٤١

قل لعمانوئيل لاصلح حـــــــبى	ترجعوا عن بلادنا خاسيــــا
قل لعمانوئيل لاصلح حـــــــبى	تذعنوا تحت أمرنا طائعيــــا
قل لعمانوئيل لاصلح حـــــــبى	تقتضيكـم بالمرهفات الديونــــا
قل لعمانوئيل لاصلح حـــــــبى	من دماكم ظما القنا يرتوينــــا
قل لعمانوئيل لاصلح حـــــــبى	تصبـحوا عن افريقيا مختلينا

هذا التأكيد الخطابى فى الشطر الاول يدل دلالة واضحة على عزم الشاعر عن رغبة صادقة على القتال لغسل العار الذى لحق بالمسلمين ولم يملك نفسه حتى ينادى بأعلى صوته :

يارسولى للمسلمين تحمــــل	صرخة تملأ الوجود رنينــــا
وتعـمد بطحاء مكة واهتــــف	ببني فاطم ركينا ركينــــا

ويحز فى قلبه الرقيق ذى المشاعر المرهفة هجود العرب والمسلمين فيصرخ بهم :

فالحراك الحراك يا فئة الله الى الحرب لا السكون السكونا

ولما كان الصلح عارا وان السلطان العثماني قد قبله مضطرا مكرها فجاء وفي انره الهوان لم يصدق هذا القول فأخذ يتساءل عن حقيقة هذا الامر :

ابلغا عنى الخليفة قــــولا	غثه فى المقال كان سمينــــا
أبجد بالصلح ترضى اقتسارا	هل كذا شأن امرة المسلمينا
كيف ترضى بالصلح والصلح عار	ذاك يأباه سيد المرسلينا

وكانت للشاعر جرأة لم نجدها الا لدى قليل من شعراء هذا العصر ، ودافع هذه الجرأة الاخلاص والحب والتفانى فى سبيل الامة والشعب ، والا لما كان الشاعر بقادر ان يقول (هل كذا شأن امرة المسلمينا) ، والشاعر موزع العاطفة الصادقة تارة بين العرب وطورا بين المسلمين فقد رأى الذين تربطهم روابط الدين والقربى يستعمرون • ولا بد من الاشارة هنا بان « الحلى » من الشعراء الذين

جددوا كثيرا في اسلوب الشعر واخرجه من قيود القرن التاسع عشر متخلصا من جميع الاستعارات الجامدة والصيغ المتكلسة التي كان يستعملها شعراء القرن التاسع عشر فقد اعتنى بالمعاني اكثر من غنائه بالالفاظ في قصيدته هذه (١٩)

حرب البلقان

والحرب الثانية التي هزت مشاعر الشعراء الاسلامية كانت حرب البلقان ففي عام ١٩١٢ عم الاضطراب البلقان وطالبت بلغاريا والصرب والجبل الأسود بالاستقلال الادارى عن الدولة العثمانية وكان عزيزا على الدولة وعلى انشاء الامبراطورية ان تسليخ منها بعض اجزائها ومعنى هذا ضعف في كيــــــــــــان الامبراطورية الاسلامية • وزاد الطين بلة ان تقف اليونان مطالبة بجزر الارخبيل ورغم التسويات السلمية التي ارادتها الدولة العثمانية فقد باءت بالفشل فالشعوب بدأت تحس بان حريتها واستقلالها ائمن من اية تسوية فاعلنت الحرب وعقد مؤتمر لندن لتسوية هذه المشكلة خوفا من جر البلاد الى حرب عالمية فيضطر المؤتمر العثمانيين على التخلي عن ادرنة والارخبيل وجزره لكن ما كادت الوزارة توافق على هذا القرار حتى ثار حزب الاتحاد والترقي عليها واسقط الوزارة واستأنف القتال (٢٠) وقد كسبت الحكومة العثمانية بادية الامر نصرا على هذه الدول ، فعمت الفرح والسرور جميع سكان البلاد الاسلامية لانهم شاعرون بان دول الغرب وراء هذه المطالب تريد ان يوهن من قوى دولتهم بيد ان هذا النصر بدا يتحول الى خسارة فتتهجر الجيوش العثمانية وتسقط ادرنة ثم اخذت جيوش البلقان تقدم نحو الاستانة عاصمة الدولة العثمانية وفي الطريق ترتكب جرائم انتقامية من المسلمين مما يزيد في الاسى والحسرة عليهم (٢١)

وقد واكب الرصافي هذا الحادث منذ بدايته عندما اراد السلطان رشاد ان يهدأ الخواطر بزيارته الى مقدونيا وبلاد الالبان راجيا ان تستقر الامور العامة ،

(١٩) يمكن ملاحظة قصيدة باقر الشبيبي في شعراء الغري ج١ ص ٤٣٠

وقصيدة عبدالعزيز الجواهرى في الادب العصري ج٢ ص ١٧١ و ١٧٢

(٢٠) مذكراتي في نصف قرن ٢-ب ٢٨٨ ومابعدها

(٢١) الاتجاهات الوطنية ص ٣٩ و ٤٠ . يلاحظ المصادر

وحبيب الرصافي ان زيارة السلطان رشاد تكفى لكى ينسى الشعب مطالبه لذلك
خاطب حكومات البلقان قائلا :

قل للحكومات في البلقان هل علقت	آمالكم من مواعيد بانجاز
ان الذى تضمرون اليوم من طمع	أمنى لاشعب يعزرو مثله العازي
لم تعرفوا منذ لستم عرق نخوتنا	اذ قد لستم بكف ذات قفاز
انا لنعرف لغزا في سياستكم	وما السياسة الا بيت الغاز

ووصف زيارة السلطان بانها زيارة عفو واحسان لان العفو اقرب للتقوى
والى جلب القلوب المتنافرة . وقد كان الرصافي حريصا كل الحرص على الوحدة
العثمانية وقوتها مهما تباينت هذه الاقوام والامم التى يحكمها ، فقال :

يا أيها الملك السامي بحكمته	والمبدل الناس من ذل باعزاز
قد عي في وصف ماوتيت من حكم	كلا كلامي اطناب وايجاز
غزوت غزو سلام دون غايته	غزو الحروب فانت الفاتح الغازي
ملكك بالعفو والاحسان أفدة	كانت الى السيف فيها بعض اعواز
وانت لو شئت ارهابا لجثتهم	بصارم لنواصي القوم جزاز
لكنما جثتهم بالعفو تأخذهم	والعفو أفضل مايجزى به الجازي
فاعمد سيوفك ان العفو منصلت	واهنا بشعب محب غير منحاز
بالترك بالروم بالالبان قاطبة	بالارمنيين بالبلغار بالالاز
أما بنو العرب فالاخلاص يرفعهم	الى مقام على الاقوام ممتاز ^(٢٢)

وعندما يستعد الجانبان للحرب ينظم الرصافي قصيدة يهدد فيها الصرب
والبلغار ويهجوهم هجاءا مرا لانه لايراهم اهلا للقتال وان جيش المسلمين سوف
يبدد شملهم ويبعث قواهم . وبعد ذلك يمدح الجيش العثماني وانه جيش خلق
للقتال والنضال وجبل على البطولة والفداء ويهجو الصرب والبلغار فيقول :

ياعلوج الصرب والبلد	غفار أولاد الزواني
لم يكن ايعادكم بال	سحرب غير الهذيان

انما الحرب لدينا من تمام الحيوان
فاتركوا الاعداد يا ابن -حرب من شأن الجبان
ودعوا الحرب فليس ال -حرب من شأن الجبان
وتزيوا يا مخايي ث بأزياء الغواني (٢٣)

ثم يتوعدهم بالذلة والانكسار والخسران في الحرب • وليست هذه القصيدة من عيون الشعر العربي فلم يأت الرصافي بشيء جديد في هجائه يخلد هذا الهجاء سوى الكلمات القاسية اللاذعة التي لاتليق به •• ولكن الرصافي يسف دائما في هجائه وينزل الى مستوى لايتناسب وما عرف عن شعره من رصانة وقوة سبك واسلوب ضخمة •• ويبدو هذا واضحا عندما تترد انكسارات الجيش التركي ويصاب الرصافي بهزة عنيفة من خيبة الامل فينظم قصيدتين يندب فيهما ماضع من الدولة العثمانية من اجزاء فيعود الى اسلوبه المحكم الرصين ويجمع شتات ذهنه وكانى بالحزن يسبغ عليه وقارا وهيبة ففي القصيدة التي نظمها بعد هزيمة (لولابوغاز) وقد كان القائد ناظم باشا (٢٤) يصرف امور الجيش اثر الهم العميق والحزن الدفين فقد خسر الجيش وخسارة الجيش كانت من خيانة القائد نفسه لذلك كان الالم يصرخ في نفسه عندما أقسم :

تالله لم ينكسر في الحرب عسكرينا من أجل قلته أو من جباته
وكيف وهو تفوق الطيس كثرته وتستعير الرواسي من رزاقته (٢٥)
لكن قائده ما كان يمانه ولا يبالي بأمر من معانته (٢٦)
حتى لقد نفدت في الحرب عيته بحيث لم يبق سـهم من كنانته

كان الرصافي شديد التفاؤل والامل في انتصار الجيش ورد الاعداء الى دورهم وانه سوف يكسب فخرا ونصرا وطنيا ولكنه انكسر فجاءنا بتعليل جميل

(٢٣) الديوان ٤٨٧

(٢٤) قتله الاتحاديون في الاستانة

(٢٥) الطيس الشيء الكثير من رمل وتراب وأراد الشاعر التكثير

(٢٦) يمان مأن اذا تحمل مؤنتهم وقوتهم ، والمعانة - المعونة المساعدة

فقال :

فظل يرسف في النيران مرتبكا
حتى غدا جله للنار مأكلة
ولا استكان لهول الحرب من فرق
فخاض غمر المنايا صابرا وأبى
ليس الفرار لجند المسلمين ألا
وكيف يغلب جيش كان قائده
فالجيش تلتهم النيران أنفسه
أقام في القصف والاجناد طاوية
مستفرغا كل جهد من متاته
وما ترحزح شبرا عن مكاتته
بل كان يفرق من هول استكانته
على الفرار انغمارا في مهاتته
ان الفرار لكفر في دياتته
يحفه بجيوش من خياتته
وقائد الجيش لاه في مجاتته
معاقرا بهناء بنت حانتته (٢٧)

وتبدو آثار اليأس والالام الجريح في القصيدة الثانية فقد استولى البلغار على
ادرنة فابدى التوجع والاستغاثة اذ لم يجد غير السلوى والعزاء في بعث الامل في
نفسه ولكن هذا الامل كان مظهرًا لحسرة تفيض باللوعة والا لما ودعها وداعا
يائسا وودع الجامع الذي لن يرتفع لصوت المؤذن فيه نداء .. ولو كان له
بعض الامل في عودة ادرنة لما رثاها للنبي واصحاب النبي فقال :

أدرنة مهـلا فان الظبي
وداعا لمغناك زاهي الربا
سترعى لك العهد والموقعا
وداعا ولكن الى الملتقى

♦ ♦ ♦

عزاء لمسجدك الجامع
وهل في مصلاه من راكم
فيالسقوطك من فاجع
وقبر النبوة في شـربا
ومن في البقيع ومن في قبا
أفارق محرابه المنبرا
يجيب المؤذن ان كبرا
به فجع الدهر ام القرى
ومشوى ضجيجيه مشوى التقى
ومن شهدوا الفتح والخندقا

ويحيل الالم الشاعر الى حكيم يردد الحكمة فيصير حال المسلمين المتأخر
عن ركب الحضارة والعدو يوالى الضربات وهم لا يحركون ساكناء انه شاعر يريد

لقومه ويريد لابناء دينه ويريد للشرق كله ان يثور على الاستعباد وعلى الهوان ولكنه لا يجد من يلبي هذا النداء ومن يبلغه الاماني فالقوم متخاذلون يفعل الغرب بهم ما يريد فهو يصب عليهم الكروب ويجر عليهم الالام والحسرات كل ذلك لانهم متفرقون يعبت بهم الجهل فيهب بهم قائلا :

لقد آن يا قوم ترك الونى	وترك الشقاق وترك الدد ^(٢٨)
الى كم نكابد هذا العنا	ونخط في جهلنا الاسود
وبالعلم من قبل نلنا المني	وفزنا من العيش بالارغد
ولكنما العلم قد غربا	فلا عيش الا اذا شـرقا
فهبوا اليه هبوب الصبا	عسى أن يسح ويغدودقا ^(٢٩)

ومع ماحق بالدولة من تأخر واضمحلال فان الشعراء كانوا يأملون ان ترفع الدولة العثمانية من مستوى الشعب وتنظر اليه بما يستحق من عناية ورعاية خاصة والاوربيون يهددونهم في املاكهم بل يهددونهم في العاصمة نفسها وكانوا يرون ما يصيب الدولة جزءا مما يصيب الشرق اجمعه ولذلك كان الشعراء يثيرون النخوة الاسلامية والشرقية ويحاولون استنهاض الهمم الراكدة في نفوس الضعاف لذلك وجدنا الروح الشرقية تسير مع الروح الاسلامية او الروح القومية العربية في كثير من قريض شعراء هذه الفترة .

وقد كانت الحروب المتتالية التي تشن على الدولة سببا قويا وباعثا من بواعث استفزازهم الى طلب النجدة لانقاذ الدولة من التأخر والانحطاط الذي يهدد كيانها فقال الكاظمي معاتباً اولي الامر في الدولة العثمانية خلال حروب البلقان :

حماة العلى ! ضاق الزمان بحلمكم	الا غضبة تأتي بعذر الحوالم ؟
سكتم فغر الطامعين سكوتكم	الا كلمة من ذي هزاهز كالـم
وداويتم بالحلم داء غرورهم	ورب جروح افسدت بالمراهـم

(٢٨) الدد - اللعب العبت

(٢٩) الديوان ص ٤٧٩

تحوم على طيب الورود قلوبكم وعند الطيبي رى القلوب الحوائم (٣٠)
 اراد الشاعر ان يثير الحمية في نفوس العرب والنخوة الاسلامية في قلوب
 المسلمين بذكر ماحق بالنساء من انتهاك لحرماتهن ، ووصفهن يستصرخن ولامن
 مغيث لهن من سطو المعتدين على حرماتهن فيقول :

ومستصرخات بالحمى تستفزكم لصون الحمى من عاديات المظالم
 مخافة أن يسطى على حرماتهن وهتك الهوادي دون هتك المحازم
 اذا ما تشكت قلت في الخدر نائح يشاركه في الدوح نوح الحمام

اراد الكاظمي ان يثير النخوة الاسلامية في هذه النفوس الناقمة نفوس
 ابناء دينه وقومه وهددهم بما سوف يكون مصيرهم من استعباد وما سيكون عليه
 مصير النسوة وهن بناتهن وزوجاتهم واخواتهم . والكاظمي طويل النفس جال
 جولة تناسب وما عرف عنه من الاكثار ذهب فيه الى حال العالم العربي كله .
 وقد كان الشاعر مخلصا كل الاخلاص في روحه الاسلامية والخوف الشديد
 من الفريقين وما يحملون معهم . . وقد كان شديد الرغبة في ان يرى الشرق
 كله زاهرا زاهي المعالم لاسيما وقد رأى الحكومات التي انفصلت عن جسم الدولة
 العثمانية قد ازدهرت وكونت حكومات لانقل عمرانا ونهضة وتقدما عن الامم
 الاوربية التي تقدمتها في الاستقلال . . فكيف لاتتقدم الدولة التي انفصلت عنها
 هذه الدول . . وصور لنا شعر الكاظمي الرائع في اسلوبه المخلص في النداء هذا
 التأخر الذي هيمن على الشرق فما على الشرق الا ان يهب من هذا الرقاد والسكون

حماة العلى ! طال السكوت فعاذر اذا انطلقت أسيافكم في الجماجم
 خصومكم ضلوا وطاشت سهامهم وما وسموا الا بشر المياسم

الى ان يقول :

أرى دول البلقان طالت انوفها على دولة اثارها في المخاطم
 بايمانها جاءت لثل عروشها ودك مباني عزها والمعالم

وكل قصيدة من قصائد الكاظمي تصلح لان تكون سجلا حافلا بالقديم والحديث من مصر فهو يخاطب آل عثمان وكيف اصبحت رعاياهم ملوك بنى قلبوا لهم ظهر المجن ويمتدح اعمال آل عثمان وكيف شادوا المجد بالقتال وهدموا تيجان المتجبرين الفاشمين ، كل ذلك لان اعمالهم كانت جهادا في سبيل الله والحق والمكارم ويخلص من ذلك الى نداء عثمان الذى اصبحت ملكه بيد المغيرين ويريده ان يتقطن من رقادته ليرد الباغين والظالمين من دول البلقان • والكاظمي يعكس لنا ما كان عصره يفكر فيه فيجب الا نتهم الكاظمي بانه كان لا يريد الحرية والاستقلال وانما كان يحشى على قومه وعلى امته من ان تستولى عليها جموع الكـافـرين

ويعتبر خصوم الدولة العثمانية خصوم المسلمين جميعا بقوله :

حماة حمى الاسلام ان خصومكم خصوم جميع المسلمين الاكارم
فلم يعدهم صدق الاحاديث عنكم بافك وشايات العدى والنمائ

ويخاطب دول البلقان ان ترعوي عن غيها وغدرها من ان تشنها حربا

صليبية ضد المسلمين فقال :

أفي أي حق غدركم بجواركم وفي أي دين حربكم للمسلم ؟
جنايته احسانه لجواره وآثامه رعى البغاة الاوائم
فما أنتم الا جناة تعودوا ركوب الدنيا وارتكاب الجرائم
تخيفوننا بالحرب ، والحرب عندنا لمن ألف العدوان أشهى المطاعم

ويتهدهم قائلا :

صليبية تدعونها ، ونعدها هلالية والسيف أعدل حاكم
وسوف ترى سوى القلانس ما الذى ستلقاه من كرات بيض العمام

ويخاطب ابناء الشرق الذين عليهم الموعول في الحروب ويحذرهم بقوله :

بنى الشرق هبوا ان في الغرب هبة تعد عليكم كل بار وحاطم
تسير الى ايمانكم بغلائل وتمشى الى أفواهكم بكمائم
اعدت عليكم منكم كل غافل وعدت لها أوطانكم غنم غانم
فهل وثبة ضارية بعد وثبة تقاوم دون المجد كل مقاوم !

أيا أمم البلقان فيثوا لرشدكم ولا تتراموا في حضون الجواحم (٣١)

وقد اتخذ خيرى الهنداوي صورة جديدة في تأنيب العثمانيين فقد تصور
حادثة مجين كانا يعيشان في سعادة وهناءة وقد خيم الحب عليهما وسقاها من
كوؤوس اللقاء مترعة في نشوة وجدل اذ هاجمت قوات البلغار المعتدية الدولة
التركية فما كان من الشاب (نجيب) الا ان يلبي داعي الجهاد للذود عن حمى
دولته والدفاع عنها وفي سلايك يلاقى مصيره المحتوم .. فتنبك عليه حبيته
(اسماء) هلعنة جزعة فقد اختطف العدو حبيبها الغالى واحاطوا بها من كل جانب
ويس لها من معين غير حشرات حرار ودموع غزار والاسر الذى يوصلها ذليلة
حسرى الى امير جيش الاعداء فتصرخ الفتاة مستغيثة تطلب النجدة والعون ..
فيجيب الهنداوى الحسناء بقوله :

يا هذه كفي الدعاء فقومنا	أو تعلمين عن الدعاء نيام
ما القوم الا سحب سيف أرعدت	ثم انجلت بالريح وهي جهام
لا تستغيثي ليس معتصم بنا	كلا ولا فينا يعد همام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا	فجميعنا بمماتها أيتام (٣٢)

هذ هو العهد العثماني واثره في الشعر العراقي حتى نشوب الحرب العظمى
الاولى وقد رأينا ما كان عليه العراق من تأخر شامل لجميع نواحي حياته الاقتصادية
والسياسة . ورغم ان الدستور أحيى موات الامال في نفوس العراقيين الا انهم لم
يروا ظلا للاصلاح الذى انتظروه طويلا ، فقد تعذر الاصلاح وبقي الدستور حبرا
على ورق وما فائدة الدستور وان ضم خير المواد التى تعود على ابناء الشعب
بالسعادة ، اذ لم تخرج هذه المواد الى حيز العمل .

لم يكن في طاقة الدولة القيام بالاصلاحات المنشودة لظروف أحاطت
بالاتحاديين انفسهم ولم تكن هناك أسس يتفق عليها الحكام لذلك ضاعت الدولة
باجمعها .

(٣١) الديوان ج ٢ ص ١١٠ - ١٢١

(٣٢) الادب العصرى ج ١ ص ١٧١ - ١٧٣

وقد كان الشعراء يؤازرون الدولة ويسرون في ركابها عندما كان الشعور
الاسلامي هو المسيطر والخوف من الاستعمار الاجنبى يرعب المسلمين • ولكن
هذا الشعور ضعف عندما نادى الاتحاديون بالطورانية •

وقد ارجأت البحث في الحرب العالمية الى فصل قائم بذاته لانها اشتملت
على معارك واحداث متنوعة وقد كان لاثر الحرب العظمى نصيب كبير في حياة
العراق السياسية والاجتماعية واقتصادية •

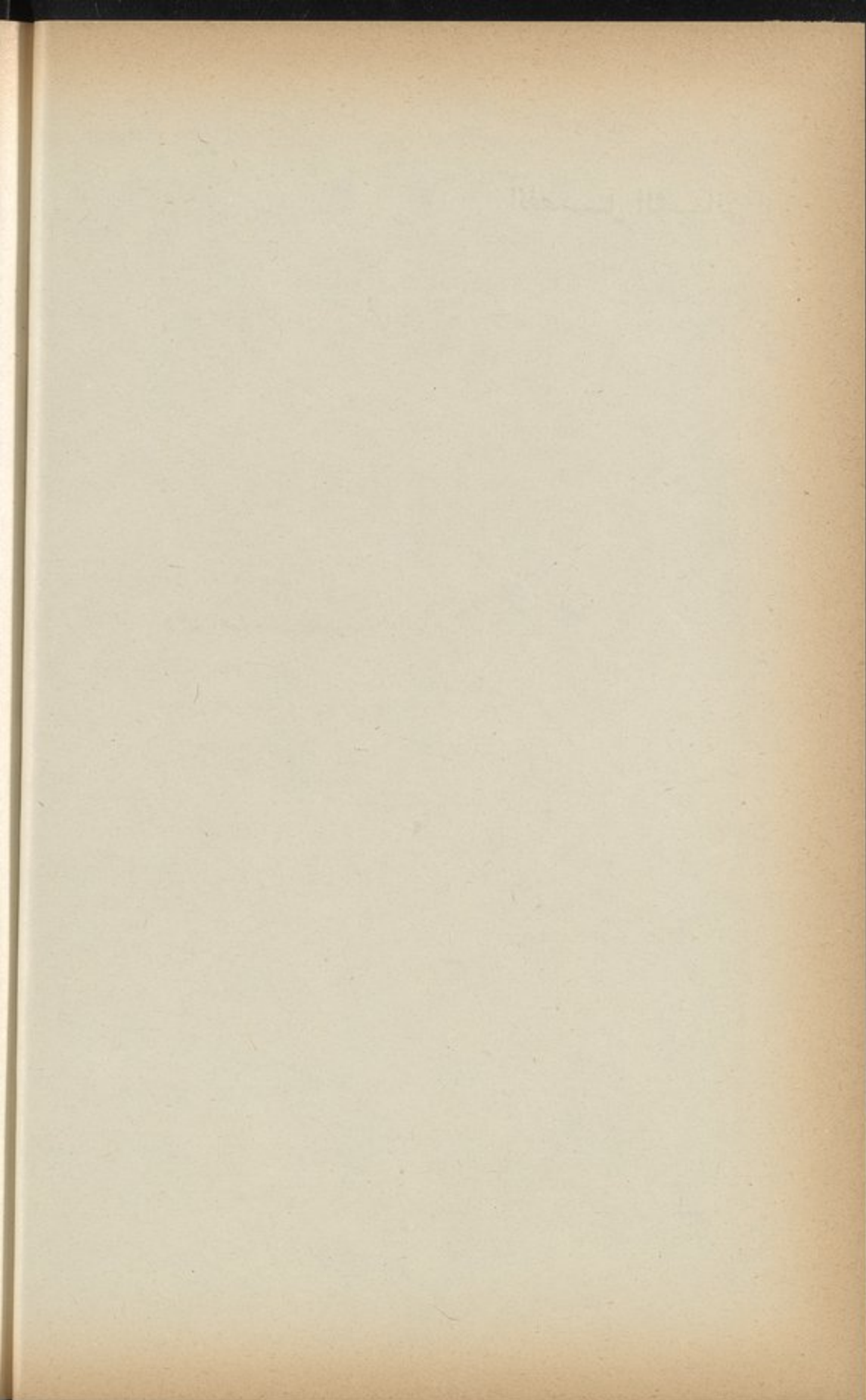
ولا بد من الاشارة هنا بان العثور على شعر هذه الفترة كان صعبا ولم يتسن
لى العثور على اكثر ما قيل فيه لاسباب منها :

١ - زوال العهد الذى نظم فيه هذا الشعر ، وحلول عهد آخر مناقض له
هو العهد الذى حكم فيه الانكليز وكانوا اعداء للاتراك •

٢ - ان النظم في بعض المناسبات او في بعض فترات من العمر تغير رأى الشاعر
في المناسبة وفي شعر الشباب لذلك اتلف عدد من الشعراء هذا الشعر لتقدمهم
في معارج الحياة الاجتماعية والفوز بالمكانة السياسية التى لا تلائم مع
مانظموه •

٣ - اهمل بعض الشعراء تدوين الشعر والاهمال طبيعة في كثير من الشعراء •
فضاع نتيجة الاهمال الشئ الكثير • ومع كل ذلك فالشئ
الباقى يعد قليلا وما نشر في الجرائد يعطى فكرة واضحة عن هذا العصر
وان لم يعط فكرة عن اجواء بعض الشعراء انفسهم • ونحن نؤرخ العصر
ونعنى به اكثر من عنايتنا بالافراد •

الفصل الثاني



أثر الحرب العظمى الاولى

١ - أهم معارك الحرب العظمى

٢ - معارك العراق

٣ - الاحتلال البريطاني

٤ - الحرب والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا في ضلال

عن هذا الهدى

والحمد لله

اهم معارك الحرب العظمى

- ١ -

كان للحرب العظمى اثر ظاهر في حياة العراق ، فقد غيرت مجرى حياته السياسية والاجتماعية ، فقد دبت فيه حياة جديدة ايقظته من سباته العميق الذي كان يعيش فيه في عهد الدولة العثمانية ، اذ هزت الحرب بحوادثها وأجوائها العراقيين هزا عنيفا ، واستيقظت الازهان على صيحات القومية ، وشعارات الوطنية ، ورغبات الشعب في الحرية ، والاستقلال ، فأخذ بعض الشعراء يفكرون تفكيرا جديدا يخالف التفكير الاسلامي الذي ساد العراق طويلا والذي كانت اهم اسسه الجامعة الاسلامية ، فقد بدأت المطالبة بالكيان الذاتي ، والحكم المنفصل عن الدولة الحاكمة ، واهم حافز دعاهم الى ذلك ، هو الاحتلال البريطاني المباشر ، وتقسيم البلاد العربية الى اجزاء متباعدة .. وشدد هذه الرغبة في النفوس رؤية الجنود البريطانيين والهنود يحكمون بلادهم حكما مباشرا ، وغدت قضاياهم تدار من المندوب السامي والحكام السياسيين الذين لا تربطهم صلة بالعراقيين غير صلة القوة والاستعمار .. والقوانين التي فرضتها قوات الاحتلال^(١) والتشدد في تطبيق نصوصها بواسطة قوات الشرطة المحلية التي اطلقت عليها لفظ (الشبانة)^(٢)

(١) لاحظ بشأن عناية القوات المحتلة الاولى بالجيش والشرطة

Loyalties Mesopotamia by A. T. Wilson, P. 66 London, 1936.

بقيت الادارة حتى تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ عسكرية بالرغم من تسميتها الادارة المدنية فقد فرضت من قبل السلطات العسكرية لظروف الحرب .

(٢) الشبانة : كلمة فارسية معناها حراس الليل

ولو قورن هذا العهد مع العهد العثماني فلن يجد العراقي مظاهر الاحتلال المادية التي يراها اليوم ، فقد كانت قوات الدرك محلية وكان بعض ضباط الجيش من ابناء العراق ولم تكن لمظاهر الحكم العثماني غير وجود حفنة من الموظفين الذين يوفدون من الاستانة ، تربطهم مع الشعب رابطة الدين ، والجوار والتاريخ * * مع ان الوالى والقائد وبقية الموظفين كانوا يعينون من الاستانة ، الا انهم لم يكونوا دائما من دم تركي ، وقد شارك بعض اعراب من السوريين وبعض الاكراد في مسؤولية الحكم في ادارة اقليم العراق ، يضاف الى ذلك ان هناك طبقة من الموظفين العرب ، كانوا قد تلقوا دروسهم في المدارس التركية جنبا الى جنب مع الاتراك ، وكانوا يرسلون معا الى المانيا لدراسة الاركان فلم يكن التمييز واضحا ، وغالبا ماحدث التزاوج بينهم * وعندما اندلعت الحرب كان العراقيون يحاربون في صفوف الاتراك في كثير من ساحات المعارك بينما كان الانكليز يختلفون اختلافا ظاهرا ويتعدون عن العراقيين في كثير من هذه الصلات^(٣) وشعر هذه الفترة السياسي كان متأثرا بعاملين مهمين :

الاول : العامل الديني : وهو الشعور الذي كان قد تربى عليه الشعراء فقد كان يهز مشاعرهم ويربطهم بالدولة العثمانية ، كما تجلى ذلك في الفصل الماضي وهذا الشعور دفعهم الى مساعدة الدولة والمبادرة الى انجازها متى ألم بها خطب ، او اعتراها امر ، وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص العميق الاخلاص في اعتقاده ، وكان شعره يصدر بدافع ذاتي محض ، ومنهم الشاعر المجمل الذي لاقدرة له على الوقوف امام الوازع الديني الذي كان يسيطر على الشعر آنذاك ، فيضطر لظروف متنوعة للنظم ، مجارة او حب المشاركة والظهور *

(٣) النظام السياسي في العراق : محمد عزيز ص ٥١ قال جمال السفاح الذي شنع احرار العرب « اما العرب الذين تألفت منهم الفرقة الخامسة والعشرون فقد ادوا واجبههم - فرقة دمشق - بمنتهى الشجاعة والاخلاص » لاحظ الثورة العربية الكبرى لامين سعيد ج١ ص ٩٧ مصر ١٩٣٤ بصدد اخلاص اخلاص العرب *

الثاني : العامل الخارجى ، وهو الرغبة في المنفعة الذاتية ، بغية التقرب من الحكومة ، وطمعا بما لها من قوة ، ودافعه الخوف من السيطرة والحكم . فقد كانت تركيا تحارب الحلفاء مع الالمان ، اى انها متفقة مع جماعة غير مسلمة ، بل انها أسلمت لها القيادة في العراق ، فقد كان قائد الجيش التركي السادس المانيا^(٤) وقف بجيشه للدفاع عن العراق ضد الانكليز فكيف يلائم الشاعر المسلم بين شعوره مسلما وبين شعوره مواليا لدولة يعدها كافرة ، ان المصلحة هي العامل الخارجى الجديد الذي ألجأ الشاعر لمسيرة ركب الدولة العثمانية المسلمة .

وعندما أعلنت الحرب العظمى ، بعد مقتل ولي عهد النمسا من قبل الصرب كانت هذه الطلقة عود الكبريت الذى اشعل البارود في العالم ، والطريف ان يتنازع شاعران عراقيان في صدى هذه الطلقة فقد رأها احدهما^(٥) قد اثار الفوضى والاضطراب ، في انحاء العالم ، وقلبت السلام رأسا على عقب ، والصربى رجل فوضى يستحق كل عقاب ولعنة ، بانازته الحرب حتى فسد النظام فقال :

وما هي لو امعنت الا رصاصة	فكم خربت ملكا وكم اهلكت رهطا
اشاط بها الرامي ولو خال انها	ستحترق الارض العريضة ما اشتطا
رمى الطلقة الاولى فكان مجربا	وعاد الى الاخرى فا حكمها ضبطا
رماها وما ادراك اى رماية	اصاب بها قلب النظام وما أخطا
فوسطها قلباً ، شظاياها ، لو درى	من الدول الكبرى هي الدول الوسطى
رصاصة ذاك الفوضوي هي التي	أرتك النظام الاجتماعى منحطاً ^(٦)

(٤) كان القائد الالماني الفلد مارشال فون دركولتز

Feild Marschall Von der Goltz: My Compaiyn In Mesopotamia: Sir Ch. O. F. Townshend P. 11, London 1920.

(٥) لم يذكر الشاعر اسمه وانما وقع (شاعر)

(٦) دار السلام ١٥-١-١٩١٨

وأما عبدالرحمن البناء ، فقد انبرى له قائلا : ان هذه الرصاصة ستكون
السبب في استتباب الامن والنظام وعودة الامور الى مجاريها .. هذه الظاهرة تدل
دلالة واضحة على ان الموضوعات العامة لم تكن تعالج معالجة جدية منبعثة من نفس
الشاعر ومشكلات المجتمع ، وكان الشعر وسيلة من وسائل ازجاء الوقت كما كان
في القرن التاسع عشر .. والا فهذا موضوع جديد طريف يتيح للشعراء ولم
يستفيدوا منه في بحث مشكلات الحرب وما تجره الحرب على الناس من
ويلات فلم يتناول هذان الشعراء المصائب الانسانية التي تجرّها الحرب وكل ما
كان من أمرهما أن يتنازعا في الصربي الذي قتل ولي عهد النمسا أهو فوضوي
ام انه اراد الخير ! وهذا ما يقوله الشاعر عبدالرحمن البناء :

لقد اكبرت نفس الابي رصاصة	قد استعرت ملكا وقد حررت حرا
رمى كبد الفوضى بها واصابها	فأصمت وفي حسن النظام لها مجرى
والهمها روح العلاء - وقد درى -	من الدول الوسطى ستنتقم الكبرى
رصاصة ذلك الاجتماعي منذ دوت	أرتك انحطاط الفوضوي سما قدرا
درى ان في قتل الخصيم حياته	فاقصد منه قبل اطلاقها الصدرا ^(٧)

والحقيقة التي لامناص منها ان الدول ، كانت تبحث عن سبب لاشعال الحرب
لأنها كانت على اهبة القتال ، ولم يكن مقتل ولي العهد الا سببا تافها ، اتخذته هؤلاء
لايقادها وقد عالج هذا الامر محمد رضا الشيباني بقصيدة قال فيها :

وما حربنا المشبوبة ابنة أنها	ولا نشأت عن قتل من ولي العهدا
وما حمل الدولات ان تلج الوغى	تعاهدها بل انها اختلفت قصدا
فناشدة نأرا لتدرك نارها	وطالبة فتحا وحارسة مجدا ^(٨)

(٧) نشرت في دار السلام العدد ١٧ السنة الاولى ١٩١٨ بتوقيع « شاعر »
وقد نشرت في النور العدد ١٢٧ سنة ١٩٢٩ بتوقيع البناء الصريح وهي
كاغلب شعر البناء ضعيفة البناء والتركيب .

(٨) الديوان ص ١٧

واقعة الدردنيل :

لعل اول معركة حربية ، اثرت في الشعر العراقي خلال الحرب العالمية الاولى كانت معركة الدردنيل ، فلما اعلنت تركيا الحرب في الخامس من تشرين سنة ١٩١٤ ، ضد الحلفاء ، تلك الحرب التي لم تكن تريدها ، لما اصاب جميع مرافقها العامة ، من وهن ، سواء العسكرية منها او الاقتصادية . ارادت من اعلانها ان تتعلق بسبيل لخلاصها ، فقد رأى القادة ، انور ، وطلعت ، وجمال ، ان انتصار الحلفاء معناه استيلاء روسيا على الاستانة والمضائق ، فيجب مساعدة المانيا للمحافظة على تركيا نفسها ، وابعاد فرنسا عن سوريا وانكلترا عن العراق^(٩) فارادوا محاربة الحلفاء بغلق المضائق بوجه سفنهم الحربية لموازرة المانيا التي خسرت احدى المواقع الحربية^(١٠) خاصة ان جرجل اراد ان يهاجم المضائق ومحالفة اليونان ، ويوضح قصده ، الاستعدادات التي أقامها في مصر وقبرص ثم الانزال الذي أنزله الحلفاء لفتح طريق المواصلات بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود ، لمساعدة روسيا وقد بدأ الانزال في شباط ١٩١٥ كتدبير حربي ، ولكن القائد هاملتون ، لم يقدر على اتمام عملياته الحربية ، فقد حصن الاتراك المواقع الحربية في المضائق^(١١) وفشل الانزال وكان لفشل الانزال اثر كبير ، ورنه فرح ، في نفوس الشعراء ، فقد نشرت مجلة العالم الاسلامي ، التي تصدر في الاستانة قصيدة باللغة التركية ترجمها معروف الرصافي شعرا سجل فيها انتصار الاتراك وردهم المعتدين على اعقابهم منها :

(٩) على طريق الهند بغداد ١٩٣٥ ص ٢٣٢

(١٠)

W. Churchill, The World Cirisis (1910 - 1915) P. 229 - 235.

وعلى طريق الهند ص ٢٣٣

(١١) للتفصيل عن واقعة الدردنيل يقرأ المقال المنشور في ص ٥٢ وما بعدها في Incyclopeadia Britanica Vol. 7. London.

وقد كتب العسكري شيئا عن هذه المعركة في مذكراته ص ٤٦ ، ٤٧ .

تقحم ثغر الدردنيل مهاجما عدوان للإسلام ، في البر والبحر (١٢)
ولكن امد الله - بالنصر - جيشنا فكان - من الفولاذ - حصنا على الثغر (١٣)

وقد هاجم كاظم آل نوح هاتين الدولتين ، وقال : ان حصن الدردنيل حصن
مكين قوي تحرسه الاسود ، وعندما انزل العدو جيوشه ، كانت قوى الجيش
تقف لهم بالمرصاد فاذهلتهم وادهشتهم بعددها وعديدها :

حصن الله حوزة الدردنيل بكماة غلب ، وآساد غيل
طهر الله ، ان تنجس منها - باحتلال الاعداء - بعض الطلول
يوم سالت - انكلترا وفرنسا بالاساطيل - مثل جرى السيول
وجموع ضاقت رحاب القيافي فيهمو ، والرغيل اثر الرغيل
جهلت للإسلام ، حصنا منيعا عنه عادت ، بدهشة المذهول (١٤)

وقد بلغ من اعجاب البناء بالمحاربين ، ان تمنى ان يفديهم بنفسه لانهم حافظوا
الاستانة نفسها ، من عدوان الحلفاء وكبدوا الحلفاء الكثير فقال :

يا بنفسي من حافظوا الدردنيل وعلى الائتلاف ، سدوا السيل
حافظوا مركز الخلافة ، حتى عاد ما حاول العدى المستحيل
حصنوا ثغر بحرهم بدفاع كم وكم أغرقوا به اسطولا (١٥)

اما موقف محمد علي يعقوبي فكان موقف المتهم ، على هذه القوات
التي هاجمت البسفور ، ولكنها لم تل منه شيئا ، انما اكسبت الجيش العثماني
فخرا جديدا ، وعزا مجيدا . ولم ينس يعقوبي ما للامان من يد ، في مساعدة
الجيش التركي ، في طرد المهاجمين ، الذين ارادوا احتلال الدردنيل عنوة فقال :

(١٢) العدوان : فرنسا وانكلترا

(١٣) مجلة العالم الاسلامي ، الاستانة ، ٩ نوفمبر ١٩١٦

(١٤) صدى الاسلام العدد ١٥٨ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ

(١٥) صدى الاسلام العدد ٢١٥ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ

سلبها غداة ازدلفت للبوغاز اذ خاب من خاب ، وفاز من فاز
 نلنا بها مكرمة واعزاز والفوز أحرزناه ، أي احراز
 وانكسأت اعداؤنا بالجرمان
 قد أقبلت تطفو بها الاساطيل فنازلتها صيدنا البهاليل
 نحسبها - يوم سطت - أبابيل ترمي العدى حجارة من سجيل
 حتى انجلي النصر لآل عثمان^(١٦)

وقد نشرت جل القصائد في جريدة صدى الاسلام ، في بغداد ومن هذه
 القصائد قصيدة لمحمد مهدي البصير ، عنوانها الى بطل العثمانيين أنور باشا ، يحيي
 فيها الوزير العثماني ، ثم يصف مشهد الحرب ، فيقول :

ولئن أتت للدردنيل فحاولت امرا ، به عنه ثقل وتصفّر
 فلقد درى الاسطول كيف تذوده عنه ، المدافع بالصواعق تمطر
 فكانها كانت بأعلى جوها سحبا ، عليه بالعذاب تسخر
 ما ان تقابله برمي شواظها الا ورد مخافة يتقهقر
 ومنها :

فعلى ضفاف البحر تلك تذوده ووراء لجته الفناء المضر
 خبأت له الامواج نار وغى سوى ما فيه افواه المدافع تفتقر
 فهناك قر الى قرارة لجة والنار في حافته تسعر^(١٧)

وأطرف قصيدة نشرت في هذا الحادث ، قصيدة محمد حسن أبي المحاسن ،
 الذي أصبح فيما بعد وزيرا للمعارف .. فقد جمع فيها بين الغزل ، والتهكم ، على
 قوات الحلفاء التي هاجمت المضائق فقد قال :

(١٦) صدى الاسلام ١٧٢ السنة الاولى ١٣٣٤ هـ وقد نشرت القصيدة باسم محمد
 علي يعقوب التبريزي .
 (١٧) صدى الاسلام العدد ١٨٣ السنة الاولى ١٩٢٥ وقد تطرق الزهاوى الى
 بحرب الدردنيل في قصيدة له في صدى الاسلام العدد ٢٦٤ .

وشادن اورثني جبه
 عز علي الوصل ، منه كما
 والكل منا لم ينل قصده
 قد همت بالشعر وهاموا به
 وفتحته كان لهم منية
 أشكو ويشكوني الهدى ، والوعى
 يا دولا فرت أساطيلها
 كانت غاليولى لهم مصرعا
 دماؤهم مثل دموع النوى
 قد صادني الظبي ولكنما
 أودت بهم بيض حداد ، كما
 ضيقت قلبي يوم ترحاله
 ولست مسؤولا بشرع الهوى
 قد رجعوا بالعار ، لكنني
 وجدت للحب بنفسى ، وهم
 ان ندموا اليوم على ما مضى
 قد نزلوا بالحرب أوطانها

كالأثلافين ، حزنا طويل
 عز عليهم موقف الدردنيل
 وهكذا من طلب المستحيل
 والشغراء ما اليه سبيل
 ومنيتي أن أرد السلسيل
 فكلنا يصلى بنار العليل
 فرار سلواني وصبري الجميل
 ومصرعي خد المليح الأسيل
 على الظبا والخذ سالت مسيل
 صادتهم من تركيا اسد غيل
 بالصب أودى سيف لحظ كليل
 وضعوا الشوكة يوم الرجيل
 ان سألوا (كجنر) أو (جورجيل)
 رجعت في العشق بمجد اثيل
 قد آثروا جبا حياة الذليل
 فلا أقبلت عثرة المستقيل
 ونحن عجلنا القرى للنزيل^(١٨)

﴿١٨﴾ صدى الاسلام العدد ٢١١ السنة الثانية ١٣٣٤ هـ وقد اثبت القصيدة كلها لطرافتها .

معارك العراق

- ٢ -

كان دخول العراق ، احدى الخطط التي أعدها الحلفاء للقضاء على تركيا ومبادرة العمل فيه . فقد علم الانكليز بعزم تركيا ، دخول الحرب ضدهم فبادروا الى انزال قواتهم في البصرة ، واحتلوها في ٢٣ من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥^(١) فهز انزال القوات الانكليزية مشاعر العراقيين اذ اخذ المستعمر يهددهم في ديارهم فقد وطىء أرض الوطن ، يريد أن يكسح العراق ويحتلها ، فتنادى أبناء الشعب للجهاد ، وقتال المغير المعتدى . وقد ساهم رجال الدين مساهمة كبيرة ، فقد أصدروا فتاوى تحث الشعب على الجهاد والقتال في سبيل صيانة أرض الوطن . غير ان قوات المستعمر الحديثة ، واستعداده المتواصل ، اثر اثرا كبيرا في انتصاره وكان أثر اعلان الجهاد في الاقطار الاسلامية محدودا فلم يأت بالثمرة التي كان يرجوها الالمان - حلفاء تركيا - والذي اخاف الحلفاء طويلا^(٢) فبعد ان تسربت

(١) كانت انكلترة تعلم بعزم تركيا على دخول الحرب ضدها وقوى هذا الامر ان ابن السعود كان قد اخبرهم بذلك بعد ان انذره انور باشا بلزوم الاستعداد لمهاجمة الانكليز ، فقد سلم للمقيم السياسي نسخا من البرقيات المرسلة اليه ويضاف الى ذلك ما وصل اليهم من البصرة من ان الضباط الالمان في طريقهم الى البصرة . يمكن مراجعة ج ١ من كتاب
A. T. Wilson
بصد احتلال البصرة

(٢)

R. Muir, Political Consequences of Great War, London, 1932.
P. 139.

الروح القومية بين أبناء الشرق^(٣) وأصبح الخوف من الاستعمار الغربي يروعهم ويدفعهم القتال أكثر من الفتاوى المحدودة الأثر ببناء القرى والعشائر ، فوعي ابن المدينة ، والرغبة في الحرية والاستقلال لم يتسرب بين العشائر فقد ظهر أثر هذا الوعي في الشعر بارزا واضحا . فقد نظم الزهاوى قصيدة طويلة هاجم فيها الانكليز المعتدين مهاجمة عنيفة نشرها في اعداد متسلسلة من جريدة (صدى الاسلام) خاطب فيها الجيش العثماني الذي ذهب لقتال الانكليز والقادم من قفقاسيا قائلا :

ألا أيها الجيش اللهم المعسكر تقدم ، فأنت المستطيع المظفر
ويحيي فيها القائد أنور باشا ، ويذكر بلاءه في الحروب ثم يمتدح الجيش
الذي يفدي نفسه في سبيل الدين والوطن ، ثم يهاجم الانكليز فيقول :

وما هذه في السـدهر أول مرة رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بغوا مرة ، من بعد اخرى ، فنالهم أذى البغي ، والتأريخ أمر مكرر

ويصف اعماله في جبهات مختلفة ويمتدح الالمان واعمالهم وانتصاراتهم
بقوله :

بل الالمان اليوم من كل دولة اشد مراسا للحروب واقـدر
فكم غاص في ارض الفرنسيين جيشهم كما غاص في صدر طوى الحقـد خنجر

وينظر الى الشرق وما حاق به من تهديد الاجنبى فيثير الغرائم بذكر امجاد
العرب ودفاعهم عن ديارهم واطنانهم . وبعد ان يعدد اعمال الانكليز يعرج على

(٣) لما زحف الانكليز داخل العراق ، اخذ العلماء يستنهضون الناس للجهاد
ومضى بعضهم مع العشائر الى القرنة فأرسل عبدالمطلب الحلي برقية فيها
بيتان للشاعر باقر حيدر هما :

نحن بني العرب ليوث الوغى دين الهدى فينا قوي عزيز
لا بد ان نـزحف في جحفل نترك نهبا - فيلق الانكليـز
لاحظ (المهرجان الخالد لذكرى آل حيدر) قامت بنشره لجنة الاحتفال
طبع في النجف ١٩٥٣ ، المقدمة .

مهاجمتهم أرض العراق فيقول : ان مهاجمة العراق عار يصيب العرب أجمع ،
فيجب أن يقاتلوا حتى يخرجوهم من أرض الوطن ، والا فسوف يتواري قحطان
خجلا وما يذهب الخجل عنه الا القتال :

اذا داس رجل الانكليز ربوعها فلا (خندف) ترضى ولا (الوس) تعذر
ليخجل قحطانا - وينكس رأسه -
اعيدوا-بني عمي-الى العرب صيتهم
ومجدا قديما ذكره يتكرر

وفي القصيدة تصميم على مهاجمة العدو والاستماتة في الذود عن الوطن
المستباح منها :

سأغسل عني العار بالسيف ، انه ليصدق عند الضرب ، أو يتكسر
فوالله لأئننى جوادى عن العدى غداة غد ، حتى يولوا ويدبروا

ويرى أن الحرب لن تضع أوزارها الا باعتراف الانكليز بأخطائهم ، وان
السلم لن يظهر ما داموا مصممين على الحرب :

نحارب حتى نأمن الغدر ، انهم متى يبصروا وهنا من الشعب يغدروا
الى ان يقول الانكليز بنفسهم نعم ، نحن اخطأنا السياسة ، فاعذروا
هناك فأمل أن يزول دجى الوغى وينشق فجر الصلح ، والسلم ينشر^(٤)

وللشبيبي قصيدة نظمها في واقعة سلمان باك بعد أن فقد المحاربون كثيرا من
القتلى ، قال فيها :

ايستبيح الحمى قوم أمامهم - ومن وراء الحمى غلب مساعير
يامن احبوا على الدنيا شهادتهم تزينت لكم الولدان والخور^(٥)

وله قصيدة اخرى نظمها بعد واقعة (الشعبية) استنفر فيها العراقيين ،
والشعبية من المواقع المهمة الاولى في حياة الحرب فقد جاء القائد سليمان العسكري

(٤) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، من سنة ١٣٣٢ وله

قصيدة اخرى في ديوانه المطبوع سنة ١٩٣٤ ص ١١٤

(٥) ديوان الشبيبي ص ٣٢

بك ، ومعه فريق من الجنود الاتراك ، متجهين نحو البصرة وهناك حدثت معركة كبيرة جرح فيها القائد التركي سليمان ، وبالرغم من انه اعيد الى بغداد وقضى شهرين في المستشفى الا انه ابى الا مواصلة القتال ، فقاد الجيش التركي بنفسه ومازالت الجراح لم تندمل فاعدت له محفة تحمله وهاجم الانكليز هجوما عنيفا استمر يومين لم يصب فيه القائد اي نصر ، ثم انتصر الجيش الانكليزي في موقعة حاسمة واندحر الجيش التركي بين اسير وقيل فما كان من القائد الا الانتحار ألما وحسرة بعد أن أبدى من الاخلاص والوفاء ، والاباء ما يستحق به أن يخلد مع الابطال ، وقد نظم محمد رضا الشيباني في هذه الموقعة وأتى على كثير من تفاصيلها ، ثم وصف القائد التركي بقوله :

وقائد حملوه في محفته	الى (الشيعية) من زوراء (بغداد)
أفانك بالعدى جيش مدبره	معطل الجسم ، ملقى فوق أعواد ؟
جرى (سليمان) في استعجال مصرعه	مجرى كفاة بأمر الحرب قواد
قاد الالوف فأرداها وأتبعها	في الحال نفس أبي غير منقاد
مخاطرا عاش أعمارا لان له	في اثر كل نجاة يوم ميلاد ^(٦)

اما عبدالرحمن البنا ، فقد دعا الناس الى القتال وترك الكسل والتخاذل ، لان العدو ، قادم من مكان بعيد ، واي ذل اكبر من هذا الذل . واي جبن احط من هذا الجبن وهذه معاول الشرك الانكليزية تهدم صرح المجد الاسلامي في الشرق فقال :

بني العراقيين لا تحط همتمكم	فرب بارقة تجلي بها الظلم
بني العراقيين ! حلّ الخصم ساحتكم	وفي حماكم له مرعى ومغتـم
قد جاءكم من وراء البحر معتزما	وذاك عار عليكم ليس ينحسـم
أجدادكم تحت طي التراب تندبكم	أين الجلالة أين البأس والهمـم
فكيف يهنا لكم عيش بأرضكم	والانكليز بها يرسى لهم قدم

(٦) الديوان ص ٤٩ للشيباني غير هذه القصيدة في الحرب العظمى قصائد في ديوانه لاحظ ص ١٢ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٤٧ .

لمن تشاد مبايكم ومجدكم بمعول البغي والاثسراك منهم
أتم بنو الشرف الاعلى وعترته تمسكوا بعري الايمان واعتصموا^(٧)

وقد تهكم البناء من ابناء العراق ، الذين يتركون العدو المغرور يحتل بلادهم ، ويتحكم في مصائرهم ، ومستقبلهم ، وحياتهم ، ولن يعيش الانسان الا مرة واحدة ، فيجب ان يعيش كريما عزيزا ، كما عاش اسلافه العرب ، سادة الدنيا والا فللوقت خير من حياة الذل والهوان . وللبناء قصيدتان اخريان ، الاولى عنوانها (العيد والحرب) وفيها رسم صورة النسوة وقد ارتدين الحداد ، ولكن في اعيادهن السالفة يرفلن بملابس زاهية لطيفة . . رسم هذه الصورة ليثير نخوة المسلمين ، لمهاجمة الجيش الفاتح بلادهم ، ثم تصور فتاة حرة ابية ، وقد غدت سبية بيد العدو ، وقد استاقها العليج أمامه ، وهي تصرخ وتولول نادبة أهلها وحمايتها وقد حملت ولدها الصغير . . رسم هذه الصورة الحزينة ليستنفر هذه الهمم الميتة وليثير الشعب على المهاجمين ولتترك القارىء يتتبع هذه الصورة :

رب ، في الروع ، حرة قد سباها	عليج كفر ، فلا يخاف الوعيدا
ساقها عنوة بسوط وجيع	غل منها سواعدا وزنودا
وهي تبكي أهلا ، وتندب بعلا	وتكنى آباءها والجودودا
وعلى صدرها هنالك طفل	قلدته من الدموع عقودا
فاجاته رصاصه بحشاه	فهوى صارخا يكد الصعيدا

ولو عولجت هذه الصورة بشعر شاعر ذي اسلوب متين ، لخلد هذه الصورة ومع ذلك فقد كانت الفكرة بحد ذاتها فكرة رائعة ، ويستمر البناء في اتمام رسم هذه الصورة باضافة صورة الام التي قتل ولدها وهي تحمله والدماء تسيل على جسمها وقد ذهبت منه حرارة الحياة وبقيت برودة الموت ، وحيرة الام بين ترك ولدها الذي كان حيا يملأ قلبها املا وبين تركه على الارض بعد ان مات فيه رجاء الحياة ، وصف الام الولهى الحيرى المستاقفة عنوة بقوله :

(٧) صدى الاسلام ، العدد ١١ سنة ١٣٣٣

تركتـه رـغـما عـلـيـهـا وسـيـقت وهـي تـلـوي اليـه عـيـنا وجـيـدا
تـتـقي سـتر وجـهـهـا ويـداهـا فـي قـيـود ، مـن ذـا يـفـك القـيـودا ؟!

وبعد ان اطمأن الى رسم هذه الصورة المثيرة المفزعة ، التي اثارَت الغضب والالـم ، والانتقام في النفوس ، دعا الى محاربة الاعداء واجلائهم عن السـديـار والمواطن ليتم فخر المسلمين باخراج الكافرين .

أيـهـا المـسـلـمـون ! لا فـخـر الا نجـعـل الخـصـم فـي القـفـار طـرـيـدا

ثم يصرح بوجه المسلمين داعيا الى الحرب مادام الموت نهاية كل انسان فخير له ان يموت شهيدا :

فـهـلـمـوا الى النـفـير سـراعا لا تـهـابـوا مـدافـعا وجـودا
كـل نـفـس مـصـيرها المـوت ، لـكـن مـن يـمـت بـالـدفاع مـات شـهـيدا^(٨)

وفي القصيدة الثانية ، ظهرت الروح الاسلامية جلية ، فقد صور احتلال الانكليز للعراق الذي سيحول الجوامع الى كنائس فيرسم الصليب على كل محراب ، وقد عد المسيحيين من اهل الكفر ، الذين تجب محاربتهم ، وهذا انعكاس لصدى افكار العصر البعيدة عن روح الاسلام ، فقد كانوا يعتبرون غير المسلمين كفارا مع ان الاسلام صريح في عدوهم من اهل الكتاب وانهم اقرب مودة للمسلمين . غير ان الروح السياسية هي التي فرضت على الشاعر هذا الرأي ، ولعل مرد هذا الحروب الصليبية ، لان العراقيين لا يسمون المسيحي بالكافر ، وان العرب الاقدمين كانوا يسمونهم باهل الذمة او اهل الكتاب ، ولقطة كافر كانت تطلق على الاوربيين بصورة عامة وقد يكون للحروب التي كانت تشنها الدولة اثر في اطلاق لقطة كافر على اعدائها فقد وجدت هذا النعت يطلق على الاوربيين فقال البناء :

جـوامـعـكم غـدت يـبـعا ، وفـيـهـا سـما فـخـرا ، عـلى الحـق الضـلال
أـيـرـسـم فـوق مـحـراب صـليب وفـي افـق الـهـدى يـزـهـو الـهـلال

(٨) صدى الاسلام ، العدد ٢٢ سنة ١٣٣٣

ويؤكد ذلك قوله :

كأنني بالديوث الصيد صالت على الكفار فانفرج المجال^(٩)

وقد قيل الكثير عن الشعر في هذه الفترة ، ويمكن مراجعة دواوين بعض الشعراء الذين أثبتوا هذا الشعر في دواوينهم وفي جريدة (صدى الاسلام) كفاية للمباحثين فمن ذلك قول رشيد الهاشمي :

الى الوغى هبوا وحمل السلاح واسترجعوا ما فات قبل الصباح
من نام عن أوطانه غافلا يصبح في عرض ومال مباح^(١٠)

وقد كانت الحرب مستعرة الاتون لصالح الالمان اكثر من فائدتها للاتراك فقد اجبروا تركيا على خوضها^(١١) وقد ظهر ذلك في شعر بعض الشعراء ، واتجاهاتهم ولم تكن الفكرة صريحة فقد عرضت بتحفظ زائد فقد ابدى شكرى الفضلي رأيه فقال : اننا في حربنا هذه ندافع عن الالمان ، وفاء منا للصدقة ، وحفظا للموداد ، مع ما في الحروب من احوال :

لندفع عن خلين من آل جرمن على حين قد خان الخليل خليل

وكان الرصافي وقت اعلان الحرب ودخول الانكليز العراق في الاستانة فدعا المسلمين الى الجهاد والذود عن الوطن الاسلامي ، في مختلف اقطاره ، وقد اعتمد في الدعوة الى الحرب على الناحية الدينية ، ولم يكن مندفا متهورا يرسل القول على عواهنه ، انما نظم القصيدة بروح المتحمس العاقل الرزين فلم يقل ان الانكليز كفار ، يجب ان يحاربوا لكفرهم ، ولم يهاجم الصليب او يتطرق الى الهلال ومكاتهما ، فشأنه شأن المسلم المثقف ، الذي يعرف ما له وما عليه من امور الدين ، هاجم الانكليز لانهم شعب يريدون ان يستعمروا اوطانه ، ويهدموا الدولة العثمانية ، التي يدين لها بالولاء والابى الكريم لا يرضيه اذلال بلاده وامتهان

(٩) صدى الاسلام ، العدد ٤٨ سنة ١٣٣٣

(١٠) صدى الاسلام العدد ٤٧

(١١) على طريق الهند ص ٢٣٢

حرماتها فهو يحارب لان العدو قد دخل بلاده ، وعليه ان يحفظ بلاده ويحمي شعبه ، فهو يستنفر المسلمين قاطبة ويدعو كل قادر على حمل السلاح ان يذود عن هذا الوطن ، لان الواجب الوطني والديني يحتم عليه ذلك فقال :

يا قوم ان العدى قد هاجم الوطن	فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
واستنفروا لعدو الله كل فتى	ممن نأى في اقاصى ارضكم ودنا
واستهضوا من بني الاسلام قاطبة	من يسكن البدو والارياف والمدنا
وامتقتلوا في سبيل الذود عن وطن	به تقيمون دين الله والسنا

ولم يكن الرصافي بمهاجمة الانكليز ، وحدهم انما تطرق الى موضوع آخر ، هو مهاجمة الذين ساعدوا الانكليز من العرب ، وشايعوهم في الصداقة فاصلاهم حربا شعواء من الهجاء ، لانه يرى مساعدة الانكليز الخيانة المتجسمة . . وسخر من الذين شايعوا الانكليز سخرية لاذعة ، فهاجم حسين كامل خديوي مصر ووزيره حسين رشدي قائلا :

قل للحسينين في مصر رويدا كما	قد ختتما الله والاسلام والوطنا
شايعتما الانكليز اليوم عن سفه	تالله ما كان هذا منكما حسنا
قد بعتما الدين بالدنيا مجازفة	فكنتما في البرايا شر من غبا

ويتطرق الى مزايا الدين الاسلامي ويفخر بانه لا بد ان يسود وترتفع كلمة التوحيد ، ويخلق الرصافي في مدح الدين الاسلامي ، ويذكر ما فيه من شرف ومجد وان الرصافي يفديه بالارواح ، ومن ثم يتطرق الى ما حدث لوطنه العراق من احتلال فيقول :

ان العراق لعمر الله مسبعة	تواب الاسد فيه من هنا وهنا
دون الوصول اليه كل مشعلة	شعواء تترك وجه الشمس مكنتما
فان فيه رجالا من بني مضر	اذا تحارب لا تستشفع الهدنا ^(١٢)

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٨١ ، المشعلة : غارة متفرقة تتأجج من كل جانب ، مكتمن : مختف .

وله قصيدة أخرى نظمها عندما دخلت إيطاليا الحرب ، وفيها فكرة خيالية
اذ رأى الطليان جماعة اقترفوا العار ، وزلوا زلة شنعاء ، فهاجمهم هجوما اخرجه
من طورهِ الهاديء الوقور الرزين^(١٣) وقد اشترك بعض الشعراء في التضال
والحرب ، كالشبيبي ، ومحمد سعيد الجبوبي ، وعبدالمطلب الحلبي ، فقد استنهض
الجبوبي فيه القبائل للمقتال والجهاد ، ويمتاز الجبوبي بالمكانة الدينية السامية
المرموقة ، ومن المؤسف انني لم اعثر له على قصيدة في هذه المناسبة ولعله انشغل
بكل جوارحه وبكل مايملك من قوة في اتون المعركة الفعلية عن نظم الشعر
والجهاد بالنفس أغلى وأثمن من الجهاد بالشعر^(١٤) .

وقد شارك علماء الدين بالفتاوى التي حثت المسلمين على الحرب^(١٥) ووزعت
بين القبائل لموازرة الدولة العثمانية التي تدافع عن الدين الاسلامي ، وقد لبي
الكثير نداء الفتاوى على اختلاف مذاهبهم وقومياتهم مفضلين اهون العدوين
الذي تربطهم به الرابطة الاسلامية . ولم يكتف العلماء بالفتاوى وانما شاركوا
مشاركة فعالة في الحرب فقد حارب قسم منهم مع العشائر فقد ذهب صالح الحلبي
من النجف الى بغداد لكي يحرض الناس على الجهاد بخطبه وبيانه ، وقد بقي
الحلبي في بغداد حتى سقوطها بيد الانكليز ، لا يكل ولا يهدأ^(١٦) وقد كان
عبدالمطلب الحلبي يزور^(١٧) جهات القتال ، ويستفز القبائل وزعماءها لمناصرة
الأتراك ، يدفعه الشعور الديني المخلص^(١٨) ولم يكتف بالزيارة وتحريض
القبائل ، انما نظم قصيدة ، دعا فيها اخوانه العرب الى مشاركة الأتراك في القتال ،

(١٣) الديوان ص ٤٨٩

(١٤) ترجمته في الحقائق الناصعة بغداد ١٩٥٣ لاحظ ح ١ ص ٣٦

(١٥) تراجع جريدة صدى بابل بصدد الفتاوى والتبرعات والاحتفالات بشأن
مشاركة رجال الدين في القتال .

(١٦) شعراء الحلة ج ٣ ص ١٦٣

(١٧) للسيد عبدالمطلب الحلبي دعوة للجهاد نشرت في العدد ١٣٦ ، ١٤٠ من
صدى الاسلام .

(١٨) شعراء الحلة ج ٣ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٤

لا لانهم يقاتلون عن بلادهم ، وانما لانهم اخوانهم ، ويجب حبهم ومودتهم ،
واخذ يبرر الاعمال التي اقترفها الاتراك في العراق من قبل بقوله :

رفقا باخوانكم يا عرب انهم لم يغصبوا قلبها حقاً لكم وجبا

ويؤنب العرب ، لانهم لم يسارعوا في ضرب الانكليز ، ويدافعوا عن العراق
عندما دخل الانكليز البصرة ، وقد سره أن يستمر خيون العبيد في حرب
الانكليز فقد اعطى مثلاً حياً للمواطنين ، ونموذجاً ناطقاً للبطولة والكرامة ، فقال :

بنى العرب العرباء من نومكم هبوا	ونفضا الى الجلى ، فقد عظم الخطب
نكصتم وحرب الانكليز لحربكم	تقدم لا يثنيه طعن ولا ضرب
وارسى على الثغر العراقي بغة	بعادية ، أضحى يضيق بها الرحب
فما صمدت منكم لدى العز كره	تعود لجيش الكفر وهو لكم نهب
فمن مبلغ العرب الكرام رسالة	وان كان لا تجدي المراسيل والكتب
أبثهم من مؤلم العتب نفثة	بها ضاق رحب الصدر واعتلج الكرب
سأندبكم عربا ، أقاموا بخطلة	من الضيم لا يرضى بها الرجل الندب
يسومهم الغدار خطلة نازل	على حكمه قسرا لها ذلت النجب

هذا عتاب مؤنب عميق اثره في نفس الشاعر ، سجل فيه الشاعر انهزام
القبائل ، وتفرق جموعهم بعد موقعة حربية ، غير ان خيون العبيد وقبائله ، ابدوا
من ضروب البسالة والاقدام ، ما اثار في قلب الشاعر المشاعر بالفخر والمباهاة
فقال :

ولولا رجال قد نماهم الى العلا	نزار ، لغنى في هجائنكم الركب
فوارس من عليا ربيعة أحرزوا	حديث علا ، في نشره ازدانت الكتب
جزى الله (عبد القيس) أفضل ماجزى	به عاملا عن فعله رضى الرب
لقد فعلوا فعلا حوى المجد كله	وفازوا بأجر ليس يحبطه ذنب

وبعد ذلك يذكر المواقع الحربية التي انتصر فيها العرب على الجيش
البريطاني فيقول :

همو منعوا يوم (السويج) حريمهم
وفي يوم (ام الملح) أبقوا ما ترا
غداة البريطاني قد قاد جحفلا
فردوه للاعقاب خزيان ناكصا
بيض القلب من أن يراع لهم سرب
من المجد فيها لم تزل تفخر العرب
لهاماً ، به نار المدافع لا تخبو
فولى وفيه القتل والاسر والسلب

ويبدو اعجابه الشديد بالشيخ خيون العبيد ، الذي حمى الاسلام من
الاعداء واعاد للعرب كرامتهم ، وعزتهم ، ويصف هجماته ، على العدو الزاحف
دون أن تخيفه الاهوال ، أو ترعبه المعامع ، والمعارك ، لانه كالسيف عزيمة
ومضاء وقوة ويشير همته بما فكر فيه العرب من ترك دينهم والدفاع عن وطنهم
فقال :

أخيون ان العرب قد ألق العسا
وهان عليها دينها وديارها
فشمر الى الحرب العوان بهمة
وبانت على رأي هو السلم لا الحرب
وليس فتى الاك تعلقو به العرب
اذا صممت أمرا لها سهل الصعب (١٩)

وقد سارع محمد حبيب العبيدي ، فالف كتابين ، الاول اسماء (جبل
الاعتصام) (٢٠) والثاني (جنائيات الانكليز) (٢١) وفي الكتابين يحرض الناس على
حرب بريطانيا فقد قال : ما كان عرش بريطانيا لتكلمه الحشمة وتظلمه العظمة
لولا أن دعائمه هم المسلمون فمن صالح بريطانيا أن لا يكون على وجه البسيطة دولة
اسلامية ، ذات حول وطول ، تستطيع ان تكون سندا للذين يحملون عرشها
ويتخبطون في اغلال اسرها من اولئك البائسين . ولا ريب ان مناط تعزيز الدولة
وكونها قوية الشكيمة ، ذات حول وطول ، انما هو اتحاد الكلمة ، وجمع الشتات
والخلافة هي كعبة السياسة للمسلمين ، تتوجه شطرها وجوههم اينما كانوا ،
وتتهوى اليها افئدتهم في كل مكان . وهي الرابطة الكبرى للشعوب الاسلامية ،

(١٩) شعراء الحلة ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، راجع العدد ١٦٤ من جريدة صدى
الاسلام السنة الاولى ، لاحظ قصيدة اخرى له .

(٢٠) جبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام ، طبع في بيروت سنة ١٩١٦

(٢١) جنائيات الانكليز على البشر وعلى المسلمين خاصة طبع في بيروت سنة ١٩١٦

والوسيلة العقلية للم شعث ، وجمع الشمل ، فهي اجدر من ان تكون تلك الدولة التي لاتستطيع ان تكون سندا للمؤساء الذين يثنون تحت اقبال الحكم البريطاني من اخواننا مسلمين .»

ثم يصل الى قوله :

« من اجل ذلك كان الانكليز اكثر الامم ضررا للمسلمين ، واشد الاقوام عداوة لهم ولخلافتهم المقدسة . ولدينهم المبين ، ثم لهالهم الممثل لعظمة هاتيك المقدسات^(٢٢) . فالعبيدى يرى الانكليز اشد الناس عداوة للاسلام واكثرهم ضررا وبذلك يحذر المسلمين من الاستسلام لهم ، اما الكتاب الثانى ، فقد رأى ان جنائيات الانكليز عمت البشر كلهم ، ثم يعدد مثالب الانكليز الذين يريدون ان يصيبوا كبد الهلال العثماني والقرآن المجيد وان الانكليز ليسوا اعداء المسلمين فقط ، انما هم اعداء الشرقيين عامة ، والانكليز يكرهون الدولة العثمانية ، لانها السبب في حياة المسلمين ، ومن القى نظرة على عناوين الكتاب يتضح له مقدار هذه الكراهية ، ومن هذه العناوين : عاصمة الانكليز وهيكل الظلم المشؤوم ص ١٢ ، كيف يسعد الانكليز بشقاء من تحت يدهم من الامم والشعوب ، ص ٣٤ ، ان الانكليز اكبر الجناة على المسلمين ص ٦٠ ، الجنائيات المتسلسلة والجرائم المركبة من الانكليز ازاء المسلمين ص ١٠٨ ، ويضرب امثلة على جور الانكليز في اسيا وافريقيا ثم يلخص هدفه في بيتين كتبهما على غلاف كتابه هما :

يا اسارى الهوان قوما فقوما قد عرفتم جرائم الانكليز
فمتى تحطمون للذل قيـدا مستعينين بالقـوي العزيز ؟؟

(٢٢) جبل الاعتصام ص ١٢٠

معركة الكوت :

والحادثة الثانية التي اثرت في الشعر العراقي كانت معركة الكوت . وهي المعركة التي حصل فيها الاتراك على نصر ساحق . فبعد ان اخذ الجيش الانكليزي في احتلال أجزاء العراق الجنوبية سار بقيادة ناوونزند لايقف أمامه شيء باتجاه بغداد . ولكن الجيش التركي صمد له قبل ان يصلها واضطره على الانسحاب . وعقبه حتى وصل مدينة الكوت فتحصن فيها فأسرع الجيش التركي وحاصر المدينة . وقد طال امد الحصار الى خمسة اشهر حاول قائد الانكليز بكل ماله من قوة الخروج من هذا الحصار ولكنه لم يفلح . كما حاولت السلطات البريطانية امداد الجيش بالمؤن والذخائر لرفع معنوية هذا الجيش المحاصر . لكن المحاولات ذهبت ادراج الرياح . فقد نفدت الميرة التي بين ايديهم حتى اضطر المحاصرون على اكل لحوم البغال والحمير والخيول وبدأت معنويات المحاصرين تنحط يوما بعد يوم . حتى اضطر القائد الانكليزي على مفاوضة القائد التركي خليل باشا ، ولما لم يقدر على النجاة بشيء حطم معداته الحربية ومدافعه واستسلم للجيش التركي (٢٣)

كلف هذا الاستسلام الانكليز حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل ما بين ضابط وجندي (٢٤) وقد جاء هذا الاستسلام عقب انكسارات متوالية مني بها الاتراك وقوات العشائر التي ساندتهم وبعد ان هدد الانكليز بغداد نفسها . لذلك كان

(٢٣) للتفصيل يراجع الفصل السابع ص ٩١ - ١٠٠ من كتاب ولسن ومذكرات طاوونزند

My Capaign in Mesopotania, by: Ch V. F. Townshend.

كما كتبت مجلة (العالم الاسلامي) التي تصدر في الاستانة مقالا عن تاريخ حملة العراق بعنوان (النصر المبين في العراق) في عدد مايو ١٩١٦

(٢٤) يذكر ولسن تفاصيل عن الجنود والضباط ص ٩٩ ويمكن ملاحظة الصفحات ١٥٧ - ١٨٣ ج ٢ من كتاب

The Compaign In Mesopotamia 1914 - 1918, by: F. T. Moberly, London 1930.

أثر هذا الانتصار عميقا أخرج النفوس من طورها أخرجها من الفخر والمباهاة
بالنصر والتغنى بالموقعة الى الزهو والغرور • وزاد معنويات الشعب والدولة
العثمانية فسرت موجة الغبطة والسرور في كل مكان

ان دوي المدافع الذي كان يفزعهم ابتعد عن اسماعهم فبعد معركة سلمان باك
او المدائن^(٢٥) التي دامت اربعة ايام بلياليها واستعمل فيها السلاح الابيض تفهقر
الانكليز أمام ضغط القوات التركية الجديدة بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك •
وقد أجيح هذا النصر في قلوبهم الحماسة فسارعوا الى تخليد هذا النصر
الذي حازه المسلمون على المستعمرين فقال ابو المحاسن :

سرت نفحة الظفر العاطرة بارجاء اوطاننا الزاهرة

ثم ذكر معركة سلمان باك التي أقرت عيون المسلمين ، الذين أخذوا حقهم
من الاعداء وادركوا ثأرهم منهم فقال :

فيا يوم سلمان انت الذي جعلت وجوه الهدى ناضرة
وقد ادركت ثأرها المسلمون فيك من الفئة الدائرة

ويتحدث عن اعمال القائد التركي الذي نظم خطة الانسحاب من امام
الجيش الانكليزي ليضربه ويفقده المبادأة التي اضطرتهم الى الالتجاء الى الكوت :
وخادعت انكلترا في القتال فانخدعت وهي الساحرة

ويسائل الانكليز علام جاؤا الى العراق ؟ الم يعرفوا المصير الذي ينتظرهم
فيه !! وخاطب لندن قائلا :

اتيت العراق لنيل المنى وعدت على خيبة صاغرة^(٢٦)

وقد وصف محمد رضا الشيباني المعركة فقال :

(٢٥) كان قائد الجيش العثماني في واقعة سلمان باك « او تل السور »
نور الدين باشا ثم بقيادة خليل باشا ومحمد علي بك •

(٢٦) صدى الاسلام ، ١٣١ - ١٣٥ ، وفي العدد ١٣٢ مقال نور الدين باشا
وبسألته وما أحرزه من انتصار في واقعة سلمان باك •

تجاه ايوان كسرى مازق ضحك
كادت تميز ذبا عن حقائقها
شاو تعاطت سباقا دون غايتها
ان كان للخيول مضمار ومضطرب
قتلى « بدجلة » منها « دجلة » امتلأت
اودى الرجال به والخيول والعير
فيه النفوس وتستقرى التصاوير
جرد البصائر والجرد المحاضير
فكم خلت ثم للرأى المضامير
و « النهر وانان » والانقاض والدور

ثم يصف خاتمة هذا النصر الذي حققه الجيش بقوله :

يوم أغتر من الايام منبليج وموقف في سبيل الحق مأثور (٢٧)

كان سيد الموقف في المعركة خليل باشا لذلك اتجه الشعراء اليه يزوجون عبارات الحمد والثناء وكيف لا يكون سيد الموقف وها هو قد أسر جيشا بكامله ورفع معنويات الحكومة التركية بأسرها ، ومن هؤلاء كاظم آل نوح : فقد قال يحيى القائد خليل باشا الذي كان يحاصر الانكليز الذين يلاقون ما لا يقوم في حرب الدردنيل ويدعو الله أن يتم النصر للجيش المسلم على الجيش الكافر المحاصر (٢٨) وفي قصيدة اخرى يحفز الجيش على الهجوم ويخوف الانكليز من بلايا وقعاته ثم يخاطب القائد قائلا :

يا ايها القائد المحفوف في اسد تغدو لها الاسد اما تلقها بهما
لا تهدأ العين منا او تراك بسسه قد رحت من جاحدى الاسلام منتقما
شدد عليهم ولا ترعى (٢٩) هم ذمما فهم لنا لم يراعوا في الوغى ذمما (٣٠)

ثم يدعو للمسلمين بالنصر ولخليل بالفوز وللمخليفة بظول العمر . وفي

(٢٧) الديوان ص ٣٠ ويلاحظ قصيدة حسن النقي الدورى في جريدة صدى الاسلام العدد ١٤٦ يحيى فيها انتصار الجيش ، وقصيدة لليعقوبي في العدد ١٧١ يتطرق الى واقعة سلمان ، وقصيدة الزهاوى العدد ٢٦٢ صدى الاسلام والعدد ٢٦٣ يخاطب سلمان باك .

(٢٨) جريدة صدى الاسلام العدد ١٥٧

(٢٩) كذا ٠٠ بالاصل

(٣٠) صدى الاسلام ١٦٤ السنة الاولى

قصيدة اخرى يرى العدو قد دنس ارض العراق فيجب أن تطهر منه بالجلاء العاجل ولا تطهر الا بالدماء لان الجيش التركي لايد ان يفوز في الحرب وكيف لا ينصر وهذا قائده خليل باشا الذي يسيطر على جيش الانكليز وغدا تحت رحمته :

أسبيل الى الفرار لمن	أمسى محاطا بجحفل جرار
هو تحت الحصار مثل بغاث	ترمق الصقر وهي في الاوكار
افينجو من المنيّة من قد	بات تحت الاهوال والاختار
ان نجا من جيوشنا كيف ينجو	من شبا عزم فحلها الهذار
صاحب الحزم والثبات « خليل »	يوم حرب والفارس المغوار

ومادام الجيش الانكليزي في الحصار لايقدر على ان يفك نفسه رغم قوته وعديده وقد اسلم نفسه للمحصار ولم يقاتل في الصحراء فقد لطح نفسه بالذل والعار لان معارك الرجال تكون في خارج المدن لا داخلها فقال :

ما لجيش العدو في الكوت اضحى	فرقا جائسا خلال الديار
ان يكن مصحرا فما من عار	انما العار وهو تحت الحصار (٣١)

واخيرا استسلم الجيش الانكليزي بعد ان فقد امله وبعد ان انتظر طويلا مؤملا النجاة ، وبعد الاستسلام اخذ الاسرى سيرا على الاقدام الى الاناضول فمات في الطريق من مات مرضا او جوعا (٣٢)

وعندما استسلم الجيش الانكليزي بعد حصاره الطويل اقيمت الاحتفالات في كل مكان في المدارس والسرايات والشوارع وكانت مجالا لالقاء القصائد والمقالات والخطب وقد سجلت بعضها جريدة (صدى الاسلام) ومن هذه القصائد قصيدة لعبدالرحمن البناء يقول فيها : ان استسلام الانكليز هو غاية كل مسلم لان الملك لا يكون الا للمسلمين وللخليفة وقد رفع خليل باشا رأس أهل العراق بهذا النصر

(٣١) صدى الاسلام ١٧٣ السنة الاولى

(٣٢) ويلسن ص ١٠٠

وخاطب القائد فقال عنه انه (مقدس القدر) له (رأس كالبدر لا يرقى اليه)
وان الانكليز جاءوا لاستعمار العراق ولكنهم باؤا بالخيبة والخذلان فهذا قائدهم
اصبح طائعا ذليلا صاغرا هصره الالم والهم وهاضت جناحه الذلة والمسكنة

اطاعك جيش الانكليز وهذه	هي الغاية العظمى الى كل مسلم
أتى طائعا بعد الحصار مسلما	اليك بوجه حالك اللون مظلم
يقاسى الاسى بل كاد يخنقه الاسى	ويغضى على انف من الذل مرغم
لقد ظن ان الكوت يحمي جنوده	وينجيه من باس الخميس العرمم (٣٣)

وظهرت في شعر عطاء الله الخطيب بادرة جديدة يجدر بنا التنويه بها هي
الاعتداد بالعرب وبالشعور القومي فرأى ان للعرب حقا في هذا النصر لانهم
شاركوا الاتراك في هذا الحصار وكان لهم دور فعال ، ولم يخص العرب بمثل هذه
الالتفاتة غيره فبعد ان افتخر بانتصار الهلال قال ان حزب محمد هو الذى انتصر
وان الهلال كالخنجر الذى طعن الخصم ، ثم غير الانكليز بخسران معركتهم في
الدرديل والكوت فقال :

اسود من الاتراك والعرب مالهم	سوى السيف من خل وفي مواصل
فكم طوقوا جيد الزمان بعزمهم	وكم اطلقوا كفا ببذل ونائل
كما اذا استافوا الطلا فشرابهم	عصير نفوس الشوس لآخمر بابل

ان قوله « اسود من الاتراك والعرب » شئ جديد بالنسبة للشعراء الذين
يذكرون أبناء عثمان ، وآل عثمان والدولة العثمانية والدين الاسلامي في شعرهم
وهذا دليل على تسرب بوادر الروح القومية في النفوس وان العرب بدأوا يفكرون
تفكيراً خاصاً بهم ، ويوضح ذلك قوله :

أتونا وقد ظنوا العراق واهله رقادا كما الاموات رقدة غافل (٣٤)

ولم يكتف الشعراء بمهاجمة الجيش الانكليزي الذى دخل العراق وانما

(٣٣) صدى الاسلام العدد ٢٤١ السنة الاولى

(٣٤) صدى الاسلام العدد ٢٤٥ السنة الاولى

نطرقوا شأن الشعر العربي عامة الى مواضيع مختلفة ، منها مدح القادة الذين تولوا هذه الحروب وقد مدحوا السلطان رشاد بهذه المناسبة لانه القائد الاعلى ولانه حامي المسلمين ، متخذين من الروح الاسلامية سبيلا لهذا المديح ، ولعل القائد خليل باشا الذي كان رجل الساعة قد ظفر اكثر من غيره بالثناء لانه كان قرب سمعهم وبصرهم فمن هؤلاء الشعراء كاظم آل نوح ، فبعد ان هاجم الانكليز الكافرين الذين جاءوا لمهاجمة المسلمين مدح السلطان الذي ارسل خليل الى العراق قال :

دام سلطاننا الذي فيه تحمى بيضة الدين صاحب الاكليل
دام للمسلمين حصنا منيعا اذ به اصبحوا بقل ظليل^(٣٥)

اما السيد عبدالمطلب الحلي فقد كان في ساحة القتال ، فاخذ يستفز شعور المجاهدين ضد الانكليز الذين وطئوا ارض العراق وقد ظهرت اثار الفرحة واضحة على شعره فقد ارسل البشري الى جميع ابناء الشرق دون تفريق ، وثم هنا خليل باشا بفتح الكوت واخذ يذكر المجاهدين بالانتصارات التي حازها الجيش العثماني فقال :

بني الشرق طرا من سباتكمو هبوا هفت لكم البشري فقد فشل الغرب
بفتح به قوت من الدين عينه وسرت به الاتراك والعجم والعرب

وامتدح خليل باشا قائلا :

«خليل» العلى ترب الظبا بل اخو الحجي وحلف الوغى ان احجم البطل الندب
له راحة يوم الوغى تسطر الدما ويوم لقاء الركب نائلها سكب
هو الاسد العادى اذا صرت الوغى بانباها والضرب يتبعه الضرب

ثم تحدث عن القائد الانكليزي الذي اجبره القائد التركي على الاستسلام جوعا وان حرب الجوع اقوى من حرب السيوف ، وبالرغم من انني لا اتفق

(٣٥) صدى الاسلام ١٥٧ السنة الاولى .

معه على هذه الفكرة فانا لا ناقشنا لانها فكرة آنية اضطر الى تبريرها الشاعر
يقوله :

فحاربهم بالجوع حتى نساقطوا الا ان حرب الجوع حقا هي الحرب (٣٦)

ومن رجال الدين الشعراء الذين هاجموا الجيش الانكليزي محمد علي
اليعقوبي فقد كانت دولة انكلترة دولة عظمى كبيرة العدد والعتاد والاستيلاء على
جيشها وحصاره كان شيئا كبيرا مهما لذلك كان الانتصار عليها انتصارا يتمشى مع
هذه العظمة ، فلاعجب ان يخلد حصار الكوت فقال من موشح له :

لله جيش المسلمين المتعسوت كل حجي قد عاد منه مبهوت
صال على انكلترا وهي الحوت ولم يزل يطردها حتى الكوت
من بعد ما جاسست خلال سلمان

ويسخر من بريطانيا التي رامت فتح العراق وكان الاولى بها حماية عاصمتها
لندن التي هاجمها الالمان بالمنطاد زبلن وقذفها بالقنابل واليران فاحرقها ! ولا اظن
ان لهذا الخبر من صحة لان المنطاد سريع العطب اذا ما اصيب بطلقة فكيف يقذف
اليران والقنابل ولكن الشاعر اراد أن يأتي بكلمة زبلن لضرورة القافية وأراد
الطيارة والمعنى يكاد يكون مبهما في البيت الاول :

قد عز يا انكلترا ما تبغين وراءك اليوم عن المعصومين
ليس العراق مثلما تظنين فلندن حام عليها زبلين
يقذفها قنابلا ونيران (٣٧)

وقد نظم علي البناء قصيدة يمتدح بها خليل باشا وفيها مدح السلطان

- (٣٦) شعراء الحلقة ج ٣ ص ٢٠٦ ، وله قصيدة اخرى في العدد ١٨٠ وقصيدة
اخرى لكاظم آل نوح يمتدح خليل باشا ، صدى الاسلام العدد ١٦٤ ،
وله أيضا في العدد ١٧٥ مؤرخا ، وله قصيدة يخاطب الجيش العدد ١٩٠ .
(٣٧) صدى الاسلام ١٧١ السنة الاولى . لعله اراد من (وراءك) ارجعي عن
المعصومين بعناية الله ، وللبناء قصيدة يهنئه برتب اللواء العدد ٢١٥
وقصيدة لاسماعيل رئيس بلدية البغيلة العدد ٢٦٩

رشاد ذاكرا اعمال خليل باشا في سلمان باك وفي الكوت ومن ثم يقدم التهاني
للمسلمين جميعا منها :

لتهنأ بهذا ملة الدين الله سرور بني الاسلام في كل ذى قطر
وتكسى فخارا آل عثمان سرمدنا بما فيهم قد شد للدين من ازر
وسلطانها الغازى (رشاد) عمادها وفخر بني الاسلام لابل مفخر الفخر (٣٨)

وقد امتدح محمد مهدي البصير وزير الدفاع انور باشا بقصيدة بعد معركة
الدردنيل قال فيها انه صان تاج الخلافة وأمن الخائف من ابناء الامة وبذل جهده
في سبيل الاصلاح ورفع الظلم عن ابناء الشعب فقال :

عقد الاله لواءك فهو مظفر بالتصر ما بين الممالك ينشـر
واطال عنق الدين سيفك اذ غدا في حده باع العدو يقصر
يا صائنا تاج الخلافة والذي فيه اقيم سريرهـا والمنبر
مثل الخليفة من يكون محكما بين العباد ومثلك المستـور
مهدي هذا الشعب ملتصا له اصلاحه فيما تسر وتجهـر
آمنت خائفة ورعت مخيفة تنهى به عما تشاء وتأمـر
كم من يد اسديتها لك او جبت شكر الانام ونعمة لا تكفر
كم ظلمة للظلم انت جلوتها وبنور عدلك اشرفت يا (انور)
كم وقفة لك دون ملة احمد فيها برأيك بل بسيفك تنصر

وتطرق الى سهره على راحة الشعب وامنه فقال :

كم ليلة ليلاء أنت سهرتها لتنام حولك اعين لاسهر (٣٩)

ولما وصل انور باشا بغداد وامتدحه ذاكرا نصر المسلمين ومعتبرا زيارته

(٣٨) صدى الاسلام العدد ٢٦٦ السنة الاولى

(٣٩) صدى الاسلام العدد ١٨٣ وذكرت صدى الاسلام في عددها ٢٢١ السنة

الاولى ان العرب في أمريكا اكتتبوا بمبلغ كبير لشراء سيف ثمين يقدم
هدية لانور باشا .

جهادا في سبيل الله والمسلمين ، واشرق بقدومه النصر الذي يرافقه اين ارتحل
فأصاب الانكليز الخزي واضر بهم الحصار والاسر وغدت وجوه المسلمين مشرقة
المحيا ناضرة غبطة وسرورا فقال :

أنار حمى بغداد مذ جاء (أنور) بوجه عن الاقمار أبهى وأنور
أتى وهلال النصر وسط لوائه يهلل بالبشرى له ويكبر

ووصف حال الانكليز وحال المسلمين بقوله :

أتيت وعيش الانكليز مكدور وعيش بني الاسلام ريان أخضر

ثم قال له : انك جئت الى بغداد لكي تروع الانكليز والروس ولكن
الجيش الانكليزي جاءك اسيرا ذليلا طائعا :

أتيت لردع الانكليز وروسها فوافاك جند الانكليز يؤسر^(٤٠)

اما جميل صدقي الزهاوي فقد نظم قصيدة طويلة لم تتمكن الجريدة من
نشرها الا في اعداد متتالية^(٤١) خاطب بها الجيش العثماني ثم قال ان انور باشا ما
اhtar خليل باشا الا بعد أن عجم عيدان قواده فوجده أشدهم قوة ومراسا ثم خاطب
انور باشا قائلا :

أنور أنت اليوم درع لامة يحاربها ثلثا الانام وأكثر
وانك سيف الله يمحو به العدى ويخذلهم حتى يموت التجبر
قدمت على رجب لبغداد انها لفضلك في هذي الزيارة تشكر
ليهنك ان الفوز في الكوت شامل وان فريق البغي أصبح يؤسر

ويقدم التهاني للجيش الذي فدى نفسه في سبيل الوطن ثم يهجو الانكليز
بقوله :

(٤٠) صدى الاسلام ، العدد ٢٥٥ ، السنة الاولى
(٤١) صدى الاسلام ، الاعداد ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وقد سبق
الاشارة الى هذه القصيدة في معركة الدردنيل .

وما هذه في السـدهر أول مرة رأى الحق فيها الانكليز فأنكروا
بغوا مرة من بعد أخرى فأنهـم أذى البغي والتاريخ أمر مكرر

ويعدد اعمال الانكليز في كل مكان ويمتدح الجيش الالماني ويحيى الموتى
من المسلمين ويتطرق الى واقعة سلمان باك وكيف تم النصر للمسلمين بعد معركة
حامية ، والطريف منها وصفه للطائرة في قوله :

وقالوا : بدت طيارة ستصـبها قدائف من صـهواتها تنفجر
أقلب طرفي في السماء فلا أرى سوى نقطة سوداء تخفى وتظهر
دنت فاذاها كالعقاب تـقلـبها محرقة بالنـبار تغلى وتزفر
نصبنا اليها مدفعا فأصابها وخرت على آلتها تنكسر (٤٢)

ومن الطريف ان نختم هذا الفصل بقصيدة نظمت على لسان انور باشا
بعد ان خسرت الدولة العثمانية الحرب واحتل الانكليز العراق ، يتهمك الشاعر
ويسخر بها من انور باشا والقصيدة صورت نفس انور بأسلوب لطيف صورت
جشعه ورغبته في جمع المال على حساب الامة التركية ليرضى قيصر المانيا دون
الاهتمام بجوع الامة واوجاعها ويزيد الموضوع طرافة ان ناظمها هو محمد
مهدي البصير الذي مدح انور باشا ابان الحكم التركي قال فيها :

رجوت بموقفي فوزا مينا فسقت لك العذاب به مهينا
ربحت بك المواهب والعطايا فبت مع الشعوب الاخيرينا
اذا الدينار اسمعني رينا فديت لصوته منك الانينا
اصبت رضاء قيصري المفدى فأهون بالرجال الساخطينا (٤٣)

(٤٢) صدى الاسلام عدد ٢٦٢

(٤٣) دار السلام العدد (١٨) السنة الاولى ١٩٢٨ وقد قالت المجلة في عددها
العاشر المجلد الرابع سنة ١٩٢١ ان أنور باشا كان راكبا طيارة تشق به
عباب الفضاء في ديار رومية فسقطت به الطيارة فمات . ولاحظ العدد
الرابع من المجلد الثالث سنة ١٩٢٠ بأن طلعت وجمال ذهباً راكبين بطيارة
اثر انور فسقطت بهما الطيارة واسرا في بولونيا .

ويعصف ما اصاب غليوم من الرعب غداة الانكسار فقال ان تركيا قد بيعت
لالمان ولكن بارخص الامان • وان الخطة التي اتبعها كانت خطة خاسرة
كاسدة (٤٤)

والويل للمغلوب ، اذ تنقلب جميع اعماله الى سيئات ولا تظهر حسناته
التي ابرزها الشعراء انفسهم في حياته • وقد تكررت ظاهرة مدح البارزين وهجائهم
في الشعر العراقي الحديث • ولا لوم على الشعراء في ذلك فهذه طبيعة الشاعر
التي تهزه الاحداث فيندفع معها خاصة اذا كان الحديث يمس مصالحه الفردية •
كالخوف من اذى السلطان او الرغبة في الجاه والمال • ويظهر ابداع الشاعر متى
انصلت القضايا العامة بمصلحته الشخصية ، ويشجع الشعراء على التغلب التخلخل
العام في المثل الاخلاقية ، ومتى جاءت رغبة الشاعر متسقة مع رغبات الجمهور
معبرة عن اكثرية ساحقة اشتهر الشاعر وارتفع صيته •

فتح بغداد :

بعد ان حاصر الاتراك الانكليز في الكوت وبعد استسلام القوات الانكليزية
للعيش العثماني تبدلت معنويات الجيش العثماني ، وارتفعت ارتفاعا خرج عن
حدده ، وخاصة القائد التركي (خليل باشا) ، فبالرغم من وجوده في ساحة
القتال ، وكانت قوات العدو تحتل جزءا من العراق لم يتابع القتال لاجراجهم
نهائيا منه وانما ملأت الغبطة اعطافه واخرجته الى الغرور فرفض كل المساعدات
التي كانت تريد ان تقدمها له الجهات العليا في الاستانة معتقدا انه سوف يدحر
كل القوات الانكليزية الجديدة التي تحاول التقدم الى داخل العراق ، ولم يكن
انور باشا (القائد الاعلى) يطمئن الى هذا القرار ، لذلك اكد له وجوب
المساعدة الا انه سخر من الانكليز واستخف بهم ، وترك الامور تجري دون
استعداد • اما الجيش الانكليزي فكان يعزز قواته خلال ثلاثة اشهر بالمدد والذخيرة

(٤٤) للبصير قصيدة عن حياة غليوم في العدد الخامس المجلد الثالث من دار
السلام سنة ١٩٢٠ تطرق فيها الى اعمال غليوم واحتلاله للدول المختلفة •

مستفيدا من الاغلاط التي ارتكبها في حصار الكوت حاسبا حسابا دقيقا لكل المفاجئات ، وعندما استكملت القوات الانكليزية عدتها بدأت بالزحف فاندحرت القوات التركية امامها متكبدة الخسائر الفادحة حتى اضطر خليل باشا الى ترك بغداد ، لانه لم يستطع الدفاع عنها فدخلها (مود) دون مقاومة في ١١ مارت سنة ١٩١١ . ثم اخذت القوات الانكليزية تتبع فلول الجيش التركي لانتمام احتلال العراق كله . ولم تجد المحاولات التي بذلها خليل باشا لاييقاف الجيش الانكليزي كما ان القوات التركية لم تتمكن من الوصول^(٤٥) الى العراق لانجاده^(٤٦) وبعد احتلال بغداد توفي الجنرال مود^(٤٧) فاخذ القيادة القائد مارشال واخذ يتقدم حتى اعلنت الهدنة ، وكانت الموصل تحت سيطرة الجيش التركي .

هذا موجز سريع لحركات الجيش الانكليزي في العراق وسرى اثرها واصحا في الشعر العراقي الحديث ، فمن اهم آثارها بعد حصار الكوت ، كان فتح بغداد ، فقد وقف الشعراء من احتلال بغداد مواقف مختلفة ، فمنهم من ندب الاتراك ، وبكى امامهم ، وآلمه فراقهم ، مدفوعين بدافع الدين والوفاء العربي الاسلامي ، وقسم آخر من الشعراء أذهله هذا الفتح فحار في امره ، فلم ينظم شيئا من الشعر ، اى انه وقف موقف المحايد ، ولعله خشى عودة الاتراك ، او ان

(٤٥) ألف الاتراك جيشا أسموه جيش الصاعقة لاسترجاع بغداد . وكان يؤمل أن يكون أحد قواده مصطفى كمال باشا وأن تكون القيادة لجنرال ألماني اعطيت له رتبة (مشير) مذكرات العسكري ص ١٦٨ كما يلاحظ ١٥٤ - ١٥٧ ولاحظ بهذا الشأن الفصل ٣٧ مجلد ٤ ص ٩ من The Campaign In Mesopotamia 1914 - 1918.

(٤٦)

Loyalties Mesopotamia P. 228 Vol. 1

ويلاحظ الجزء ١٥ من المعلمة البريطانية ص (١٠١) ولعل خير مرجع للحرب في العراق

Mesopotamia Campaign 1914 - 1918 P. P. 212 - 250 Vol. 3

(٤٧) يلاحظ ويلسون ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ويلاحظ ٢٧٥ ما أشار اليه المؤلف .

الاحتلال الانكليزي ، لم يكن مرغوبا فيه لانه احتلال اجنبي ولانه مستعمر لا تربطه اية رابطة بالعراقيين ، دخل البلاد بالحديد والنار والدم وقلب الحياة العامة رأسا على عقب ، وقد وصف بعض هؤلاء الشعراء العراق وما حاق به ، وبغداد وسقوطها بصورة خاصة ، ومنهم من هاجم الاتراك مهاجمة عنيفة وسخر من قواتهم ومن هزيمتهم من بغداد وتبعثر جيوشهم •

ومما يؤسف له ان كثيرا من شعر هذه الفترة قد ضاع او اتلف عمدا ، ولكن الاثر الباقي يعطينا صورة واضحة عن حالة الاضطراب والحيرة والقلق النفسى لشعراء هذه الفترة كما عكست لنا النفسية البشرية ، في وفائها وتملقها ونفاقها وخضوعها للقوة ومداهنتها للمستعمر البغيض ، متناسبة كيف كانت بالامس تسبح بحمد الاتراك ، وتلعن الانكليز على محاولتهم احتلال العراق •

وقد مثل الرصافي الوفاء الاسلامي نحو اخوانه العثمانيين المسلمين ولم يتلف قصيدته او يحذفها من الديوان مع انه لم يسمح بنشر قصائده له في الديوان سبق ان نشرت او نظمت في مناسبات مختلفة ورجا الاستاذ مصطفى علي ان يدونها في الديوان الذي طبع في بيروت ، فاعطانا الرصافي مثلا في الوفاء والشجاعة ، فلم يجبن عن نشر قصيدته في ديوانه خشية ان يعاقب من الحاكمين او انه كان يطمع في عمل يتزلف به لهم •

وقصيدة الرصافي ، نظمها يرد بها على سليمان نظيف الذي كان واليا في العراق وقد احبه العراق لانه قضى جزءا من حياته فيه وقد لام العراقيين لانهم لم يساعدوا الجيش العثماني في الدفاع عن العراق ، فاجابه الرصافي على لسان دجلة قائلا :

هي عيني ودعها نضاح	كل حزن لماثها يمتـ
كيف لا اذرف الدموع وعزي	يد الذل هالك ممتـ

وقد القى تبعة ترك بغداد على الاتراك الذين تركوها بيد العدو وخرجوا بسرعة ، وفي هذا اشارة لطيفة مؤدبة من الشاعر الرصافي ، على عدم استئصال الاتراك في الدفاع عن العراق فقال :

ابن اهل الحفاظ هل تركوني نهبة ، في يد العدو وراحوا
 يرحوا وادي السلام عجـالا افجد براهم او مزاح
 مالم يبعدون عني انتزاحا وعزيز منهم على انتزاح

ثم يصور الرصافي ألم دجلة لفراق الدولة العثمانية وكيف يشهد هذا النهر
 ألما وحسرة لهذا الفراق ، وكيف تنساب دموعه غزارا فقال :

فماهي هي انسكاب دموعي وخريري هو البكا والنواح
 او ما تبصر اضطرابي اذا ما خفقت في جوانبي الارواح
 ليس ذا الموج في موجا ولكن هو مني تهد وصياح

ويختتم قصيدته بيتين جميلين فيهما النجوى والحنين الى الاثراك بقوله :

انا باق على الوفاء وان كا نت بقلبي ممن احب جراح
 فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغهم شكائتي يا رياح^(٤٨)

اما المواليون للسلطات المحتلة ، فلم يكن ليجراً احدهم على نشر اسمه
 الصريح في الجريدة التي انشئت في بغداد لنشر الدعوة لهم والتغني بامجادهم، ففي
 عددها الاول زعمت ان انكلترا محررة العرب^(٤٩) بل كانوا ينشرون قصائدهم
 بتواضع مستعارة ليتستروا على السير في ركب الاستعمار الجديد خوفا من القول
 بانهم مواليون للمستعمرين ، وانهم خونة يمجدون الاستعمار ، والاحتلال الاجنبي
 وقد تجرأ الزهاوي وحده على نشر اسمه صريحا ، اذ اراد ان يرد الامن لقلبه ،
 والطمأنينة الى روحه ، بعد ان هجاهم بقصيدة زمن العثمانيين فاراد ان يكفر عن
 سيئته لكنه امعن في اذلال نفسه في امتداحهم والتقرب اليهم .

وقد نشرت قصيدة بتوقيع « ابن ماء السماء » نظمت اثر سقوط بغداد بيد
 الانكليز حاول الشاعر ان يكون مؤرخا ومصورا فقد وصف ساعات الاضطراب
 والفوضى التي حلت ببغداد بعد انسحاب الاثراك ناعيا عليهم ايام حكمهم فقال :

(٤٨) الديوان ص ٤١٠

(٤٩) عددها الاول الصادر في ٤ تموز ١٩١٧

مابال بغداد قد ضاقت بها الحال
بالامس كانت بقايا الجند رابضة
وكان للترك فوضى من تجبرهم
كانت بها غرفات الظلم شامخة
وخف بالاهل منها اليوم ترحال
فيها للناس اشغال واعمال
واليوم للترك لا قيل ولا قال
ما أصبح الصبح الا وهي اطلال

وقد وصف الشاعر ليلة سقوط بغداد وما اعتري الناس من خوف وهلع
ومشاركة الطبيعة في زيادة هذا الخوف بهبوب عاصفة ترابية ووصف اللصوص وهم
ينهبون ويسلبون ، وقد تفردت القصيدة بناحية طريفة هي تصويرها النفسى لمشاعر
الناس الخائفين واضطرابهم . بعد ان فقد الامن والنظام في البلدة ، ورسم الحيرة
التي كانت تملو وجوه الناس في هذه الليلة . فهم لا يعرفون اين يذهبون واين
سيكون الملجأ ، بعد ان خرج الاتراك من بغداد واعتمز الانكليز دخولها . وهم
كافرون مستعمرون أسيأمنون على ازواحهم واعراضهم واولادهم واموالهم ؟! .
هل سيفتك بهم هذا الجيش الداخل بلدهم ؟ . فالهروب من الموت والخوف على
الاطفال والجزع من الفضيحة ، كلها امور اخذت تنتاب هذا الشعب الذي ابتلي
بالاستعمار . وساعد على هذا الهلع جماعة من ابنائه الذين اغتسموا هذه الفرص
لاشباع رغباتهم في السلب والنهب فقال :

ليل السقوط بدا بالنحس طالعه
ريح ورعد وبرق واصطدام وغى
للسلب والنهب بين الناس معترك
من فوقهم صاعقات الحرب نازلة
وللمدافع رعد في سمائهم
وللرصاص صفير في مسامعهم
وللرجال من الارهاب زمجرة
تصادمت فيه بالاهوال اهوال
كأنما ازدحمت في الافق آجال
لكن قتالهم في السوق اموال
وهد بنيانهم من تحت زلزال
تكاد منه عقود النجم تنثال
وللخيالات في الافكار اشغال
وللنساء ابتهالات واعوال

وقد ظهرت الصور الانسانية والعواطف المضطربة ، في وصف الشاعر
لسيدة تقود طفلها وهي تركض في الشوارع حيرى ، تبحث عن ملجأ تقر فيه ،
وتسكن اليه ، وهي وحيدة ليس لها من تلوذ به ، فاخذ يواسيها في محتتها وبلواها

لان الجميع مشغولون بانفسهم يريدون الفرار بانفسهم ، وبارواحهم راكضين
 ذاهلين بلا وعي ولا شعور ولا ارادة . لان نيران الحرائق التي تلتهم الابنية
 والبيوت تزيد في الهلع والخوف فقال :

لاحت لي امرأة في السوق ماشية	ودمعتها فوق صحن الخد هطال
تقود طفلا صغيرا وهي صارخة	رحمك رباه قد ضاقت بي الحال
وقد غدوت عن الدنيا مجردة	لا والد لي ولا عم ولا خال
ولا شقيق ولا زوج ولا صلة	ترجى ولا لي بها دار ولا مال

ثم يحدثها الشاعر ويسليها ويعزيها ويبشرها بتحرر العرب من الاسر
 التركي ونبلمهم مطالبهم ، لان الانكليز يعرفون للعرب حقوقهم لانهم يحترمون
 اصدقاءهم .. ويبدو اثر الافتعال على القصيدة والتظاهر بالقوة والرجولة ، فبعد
 ان وصف البناء ليلة سقوط بغداد وشغل الناس بانفسهم . اراد اثارة العاطفة
 الانسانية في النفوس فوفق الى هذا لكنه هبط هبوطا واضحا عندما ادعى انه وقف
 واخذ يحدثها ويبعث الثقة في نفسها ولو قال انه اخذ يركض معها لينقذها من
 النيران ومن القنابل ومن ارجل الهاربين لكان في ذلك بعض الصدق وكان
 تمثيلا للمواقع اذ ان موقف الرعب الذي وصفه في مطلع قصيدته لا يتفق وهذا
 المشهد لان الانسان عند اندلاع النيران ومهاجمة الموت لا يقف ويتحدث وانما يتبع
 عقله اللاواعي فيركض لينجو بنفسه من الموت . بيد ان البناء جانبه الواقع ولم يقدر
 ان يلائم بين اجزاء القصيدة وقد جره الى ذلك رغبته في التخلص الى مدح الانكليز
 حينما سارع الى التزلف اليهم واسباغ الثناء عليهم قبل ان يثق بهم ويجربهم .
 فقد نشر قصيدته في جريدتهم بتوقيع مستعار واراد ان يمدح العرب فاساء اليهم
 لانه قال ان اسارهم فك بعد الاتراك عن العراق وان العرب قد حصلوا على مطالبهم
 بفضل الانكليز ومساعدتهم للعرب ، كما شوه الصورة الانسانية التي رسمها
 لنسيده ووطنها لانه حشر مدح الانكليز حشرا فقال :

ألست من امة العرب الاولى نجحوا	وفك عنهم بعد الترك اغلال
فاستشروا انهم نالوا مطالبهم	بفضل قوم لهم فضل وافضال
الانكليز هم ما خاب صاحبهم	ولا هم بحقوق العرب جهال

ثم يصف الشاعر هزيمة الاتراك الى جبل حميرين وفضل هذا الجيل عليهم اذ لولاه لافنى الانكليز جمعهم وابادوهم .. ثم يهاجم الاتراك الذين جحدوا النعمة وابتعدوا عن الهدى راكبين الى الظلام مبتعدين عن الحق فقال :

الترك قد تركوا بغداد وانهزموا من بعد حرب لها قد شيب اطفال

ثم يقول :

لولا الموانع من «حميرين» تمنعهم	لم يبق منهم بهذا القطر خيال
أهلهم موقف ضاق الزمان به	ذرعا وليس له في الدهر امثال
لانهم جحدوا النعمى وما شكروا	وعن طريق الهدى في غيهم مالوا
عالوا على العرب في تبعيدهم فعدوا	كانهم فوق رعن الطود اوعال

اسلوب الشاعر ليس من الاساليب العالية ولا شعره من المثانة ما يصل به الى الشعر المقبول ، وانما نستشها به لانه سجل لنا هذه الفترة تسجيلا واضحا^(٥٠) وقد تطرق في القصيدة الى حوادث معينة مثل نسف باب الطلسم - احد ابواب بغداد القديمة - اذ اتخذ مخزنا للبارود فلما اراد الانكليز دخول بغداد نسفه الاتراك قبل الانسحاب منها . وتحدث عن تاريخ بناء الباب الذى كان جزءا من سور بغداد فهاجم الاتراك الذين نسفوا هذا البناء التاريخي .

ومن القصائد التي نشرت في جريدة العزب قصيدة ابن الفراتين التي وصف فيها رحى المعركة التي دارت بين الاتراك والانكليز والتي ادت الى استعمال السلاح الابيض . والقصيدة بعيدة عن روح الحقيقة ولم تدر مثل هذه المعركة بين الانكليز والاتراك انما اخلاها الاتراك دون مقاومة^(٥١) ولكنه شاء ان يحلق

(٥٠) جريدة العرب الاعداد ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، من شهر ايلول ١٩١٧ م

وقد نشرتها الجريدة في الصفحات الاولى واعيد نشرها مع بعض التغيير

في (ذكرى استقلال العراق) ص ٦٣ - ص ٦٨ المطبوع في بغداد ١٩٢٧ م

(٥١) العبد ، في مذكراته ص ١٥٠-١٥١

في خياله الشعرى فاختلق هذه المعركة ، وتصح القصيدة ان تكون لمعركة من معارك الحرب العظمى ، فقد حدثت مثل هذه الالتحامات بين الجيوش ، ولعله اراد رسم صورة لاحدى هذه المعارك او انه وصف معركة رآها بنفسه وبقي اثرها في اللاشعور وظهرت بهذه المناسبة مع اضافة شئ يناسب الحادثة التى حدثت في بغداد او انه نظم القصيدة قبل سقوط بغداد فليس في القصيدة من حادث معين يشير الى سقوط بغداد سوى العنوان وهى تصلح ان تكون لاي معركة قال :

تقلصت شوكة الانراك في افق	دامي الذبول صريع الرجم ملتهب
تضمه الزعزع النكباء مشفقة	تكاد تخطفه من موقف العطب
وعندما اتصل الجيشان والتحما	بكل اشعب خواض الوغى درب

ثم وصف المعركة المستعرة بقوله :

واوغل الطعن في جذر النفوس وقد	تسعرت ناره في النبع والغرب
واصفى ثم اكف البهم صائلة	واحمرحد السلاح الابيض الذرب ^(٥٢)

ويتحدث عن انسحاب الانراك بعد ان حامت الطيارات فوق جيوشهم مضطرين متقهقرين . ثم يدخل الموضوع بعد جولة طويلة ويصف نصف باب بغداد وائر النصف في الناس وماحق بهم ووصف اللصوص وهم يسرقون وينهبون ويهرولون نحو السوق يحدوهم الجشع والطمع والشراسة فقال :

فاضرموا النار في بغداد من حلق	كأن بغداد ردتهم على العقب
وفرقوا مؤنا للحرب فانفجرت	تواصل النصف في الابراج والقب
فهزت الارض زلزالا صواعقها	كأنما الارض مهد الخطب والغضب
فالناس امسوا سكارى حيث ليس لهم	الا الجنون وليس العقل من زقب
خارت قوى الحسن فيهم حيث لم يجدو	لالحياة ولا للموت من سرب ^(٥٣)

(٥٢) جريدة العرب العدد ١١ ، وفي العدد ١٠ ما يؤيد بان القصيدة نظمت لغير هذه المناسبة وقد تحدث فيها عن مشائق الشام ومن شئق من احرار العرب .

(٥٣) جريدة العرب العدد ١٥ السنة الاولى والعدد ٢٠ سنة ١٩١٧م ذكر لهر وبهم الى سامراء .

ولم يكتف الشاعر بمهاجمة الأتراك وتعنيفهم بل اخذ يتهمهم بالكفر والشرك ويعيرهم باجدادهم الذين يعبدون الثور ويذكر ماصنعه المغول وجنكيزخان من الفضائح مذكرا الأتراك بدعوتهم الطورانية التي مزقت المسلمين شر ممزقة ففقدوا عطف الامم الاسلامية والعربية معا ، وقال متهمكما :

رب المغول هو الثور الذي انتظمت	جماجم الصيد قهرا منه باللب
ايديه تربو على العشرين حاملة	اعضاء انسان او آلات محترب
هو الذي ارشد الأتراك منظره الـ	قاسي الاليم الى التدمير والحرب
احرقتم الحرث والنسل ابتغاء هوى	ورحمة منه فوزوا اليوم بالارب (٥٤)

قد يقف الباحث في حيرة من حالة الشعراء ويتساءل متعجبا عن سبب هذا القلب من مدح الأتراك الى هجائهم . فلو اخذنا « صدى الاسلام » وجريدة « العرب » لوجدنا شيئين متناقضين فقد مجد الشعراء رجال الدولة العثمانية واعمالها في العراق ونظروا اليهم نظرة الاخ لاختيه ثم انقلب هؤلاء الشعراء الى هجوهم وحربهم ولصق كل تهمة بهم وكل بلية جاءت العراق ، فاتهموا بالهزيمة طورا وبالكفر والشرك مرة وتصلوا عن اخطائهم وصلاتهم بهم آونة واخرى . وليس هناك اى تناقض في الامر انما هي حقيقة النفس الانسانية في اجلى صورها فقد كان العصر عصر اضطراب وبلبلة فكرية وقلق نفسي من جراء الحراب اعقبها انتصار جيش على جيش وهزيمته .

والمنتصر الذى يريد ان يطمس ما للناس من فضائل وميزات ، ويريد ان يكون هو وحده صاحب كل فضيلة او رأس كل خير وان عهده هو عهد الرخاء وعهد الامن ، وعهد الهناء والعيش الرغيد ، ويصم العهد السابق بانه عهد الجوع والاستبداد والظلم ، والطفيان لكى يثبت اركان ملكه وحكمه ، والحقيقة ان ليس هناك من فرق من حيث الاستعمار فهو احتلال في جميع صوره .

(٥٤) جريدة العرب العدد ٢٠ السنة الاولى ١٩١٧ والقصيدة تقليد فاشل لقصيدة ابي تمام المشهورة :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ان كثيرا من الذين مدحوا الاتراك ، وساروا معهم شوطا بعيدا ، كانت تدفعهم الحمية الاسلامية والحمية العربية ، دفاعا عن اوطانهم ضد الاستعمار الانكليزي الجديد ، ومنهم جماعة كانت مخلصه كل الاخلاص لدينها ، وعقيدتها فقد اشتركوا بانفسهم في حرب الانكليز ومات الجيوش كمدا لما خسرت الجيوش التركية الحرب ، واحتل الانكليز جزءا من العراق (٥٥)

وقد ثبت منهم في عقيدتهم في تفضيل الحاكم المسلم على غيره ، اذا كان هناك تفضيل بين احتالين . وقد نشروا قصائدهم بتواقيع صريحة ، فما يجد الباحث قصيدة نشرت الا باسم صاحبهم لان العمل في سبيل نصرة دينه جهاد . اما الذين مدحوا الانكليز فقد كانوا خائفين ، وجلين مضطربين ، صوروا الحالة النفسية المضطربة التي تعقب الحروب ورسم لنا المثل العليا والاهداف الاجتماعية السامية التي تختلف باختلاف الحاكم . واضطراب هذه المثل شيء حتمي في مثل هذه الظروف والتقاليد والمثل صورة صادقة لكل مجتمع . تعكس التيارات الفكرية والنفسية فهو الذي يصنعها وهو الذي يفرضها ويحميها . ومن المثل العليا التي سادت هذا العصر الامتناع عن الاتصال بالانكليز واعتبار كل مادح لهم من المشركين والكافرين ، لذلك اختفى المادحون وراء اسماء مستعارة تخلصا مما يصبه عليهم المجتمع من نعمة . والسبب واضح لان الانكليز يختلفون عن العراقيين في الدين ، والتاريخ والدم والعادات وليست هناك اية رابطة تربطهم معهم سوى الاستعمار والقوة والحديد . وهناك سبب آخر منع العراقيين من مدح الانكليز هو الخوف من عودة الاتراك والتنكيل بهم كما صنعوا بعد حصار الكوت ، فقد نكلوا بالذين تعاونوا مع الجيش البريطاني .

وملاحظة جديدة بالاهتمام ان شعر الذين مدحوا الانكليز لا يرقى الى مستوى الطبقة الاولى من الشعر العراقي فقد كان مبعث النظم الخوف من المستعمر او الرغبة في الاموال السخية التي كان يصرفها لكتاب جريدته . . . والانتهازيون في كل عصر وفي كل زمان يحتفلون بالقادم الجديد ويمجدونه حبا في مناصبه وماله . . . ولا يهمهم غير انفسهم وجيوبهم .

الاحتلال البريطاني

- ٣ -

بعد أن أعلنت الهدنة وبدأ الاستعمار الغربي يقسم البلاد العربية ، شعر العراقيون بثقل وطأة الاحتلال الانكليزي ، وبدأت الدعاية في تمجيد الحاكم الانكليزي في العراق ودم العهد التركي . وساهمت جريدة العرب التي كان يصدرها الاحتلال ويشرف عليها الاب انستاس الكرمللي مساهمة فعالة في هذا الميدان ، ففي عددها الاول نجد الدعاية الواضحة في كل مانشرت ، فقد نشرت نداء الجنرال مود الذي يقول فيه « ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وارضيتكم بمنزلة قاهرين او اعداء ، بل بمنزلة محررين ، فقد خضع مواطنوكم منذ ايام هولاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم ، وتجردت حدائقكم وأنت اشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق لقد سبق ابناءؤكم الى حروب لم تشدوها ، وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة^(١) » ومنى العرب بالحرية والاستقلال بعد ان آذاهم « الظلمة الغرباء » . وتحدثت الجريدة في اعداد اخرى عن فظائع الاتسراك الاتحاديين في بلاد العرب مثل « انحطاط الامة العربية في عهدهم » « وما قاساه العرب من الترك في بغداد » وغير ذلك مما تطفح به صفحات هذه الجريدة . وقد تمكن المحتلون من اغراء جماعة من الشعراء بالسير معهم وبذلك انقسم

(١) نشر النص الانكليزي في ص ٢٣٧ وبعدها من كتاب ولسن ج١

الشعراء الى قسمين متضادين : القسم الاول : الذى لا يرى فرقاً بين محتل ومحتل آخر ، فالاستعمار هو الاستعمار ، سواء اكان تركيا او انكليزيا جاء لامتناس نروات البلاد واستغلالها ، وهم مستعمرون يجب ان يحاربوا دون هوادة ، ولم تكن البلاد قادرة على المقاومة في هذا الظرف فيجب مقاطعة المحتلين وعدم الاتصال بهم ، وهذا القسم هو الذى أوقد نار الحرب على الاستعمار البريطانى ، وزودها بالوقود لحرقة ، وسرى ذلك في فصل الثورة العراقية •

أما القسم الثانى ، فقد رأى الانكليز خيراً من الاتراك ، لان شعراء انتفعوا بهذا الاحتلال وحصلوا على مكاسب لم يحصلوا عليها في العهد التركي ، او انهم طمعوا فيما بذل الانكليز من الاموال ، فارادوا ان يتقربوا اليهم زلفى وهم شأن الشعراء الذين هاجموا العهد التركى بان نشروا قصائدهم بأسماء مستعارة ، خوفاً من رأى العام ، وهم مع ذلك نفر محدود العدد • لكن الزهاوى كان اجراً الشعراء في تحدي الشعور العام ، فقد استمات في الدفاع عنهم وعن اعمالهم ، فأجوه وقربوه حتى ان مس بل كانت تسميه « شاعرنا » عندما تريد ان تذكر اسمه • • ومن قصائده التى نشرتها جريدة العرب قوله :

وجدت الانكليز أولي احتشام	أباة الضيم حفاظ الذمام
فصادقهم تجد اخلاق صدق	لهم والصدق من شيم الكرام
اذا بهم احتسى المذعور يوماً	رأى منهم له اقوى محام
وبات على فراش الامس خلوا	ونامت عينه أنها منام

ويبرر سبب حبه للانكليز بعدلهم ودكهم صروح الظلم ، وسياستهم الحكيمة التى تذلل كل الصعوبات ، يقول :

أحب الانكليز واصطفيهـم	لمرضى الاخاء من الانام
جلوا في الملك ظلمة كل ظلم	بعدل ضاء كالبدر التمام
ودكوا بالسياسة كل صعب	وخاضوا بحره والبحر طامي

ثم يصف الاسطول الانكليزى وقوته في البحار ، وتحطيمه اساطيل الاعداء وان جيشهم قاهر منتصر لا يمكن لجيوش العالم ان تغلبه لانه جيش لا يكثرث

بالموت وتساوت لديه الحياة والموت • ثم يهاجم الاتراك ويصفهم باللؤم والغدر
وانهم أذاقوا العرب الذل والهوان ، بقوله :

وانت تسومك الاتراك خسفا وتسلب من حقوقك باهتضام
ووال الانكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام^(٢)

ولم تكن هذه هي المرة الاولى والاخيرة التي مدح الزهاوى فيها الانكليز،
فقد مدحهم بعد ذلك وهجا العراقيين في الثورة العراقية وسخر منهم سخرية
لاذعة ، وخطب محرضا برسى كوكس على اعادة الامن الى نصابه ، وطلب الدواء
للعراق المريض ، والقصيدة كان قد نشرها قبل دخول الانكليز العراق في ديوانه
« الكلم المنظوم » ولم يكن عليه ضير لو تركها او أعادها مرة اخرى دون تحريف
ولكنه حرف بعض ابياتها وذكر الاتراك فيها صراحة ونشرها في جريدة العرب،
جريدة الاحتلال الانكليزي ، فاثبتت شدة تعلقه للانكليز ، ولم يكنف بهذه القصيدة
وانما كان يظهر تعلقه بهم ، وصدفته لهم في كل مناسبة ممكنة ، فانضم الى حزب
النقيب « الحزب الحر » الذي يؤيد سياستهم في الاحتلال ، الحزب الذي وقف
الرصافي منه موقفا حازما وهجاء باقذع وامر هجاء

ان نفسية الزهاوى القلقة الخائفة هي التي الجأته الى التمرغ على أعتاب
المحتلين بعد ان كان عزيزا محترما نال أرفع المناصب في العهد التركي^(٣) ، وكان
من الوفاء أن يسكت ، أو يمدح الانكليز دون أن يسب او يتعرض للمناوشين
وذلك أضعف الايمان • والمؤمل ان يكون شاعرا ناثرا على هذا الاحتلال الذي
أهان بلده ووطنه أسوة بزملائه الشعراء الذين ناضلوا ، وبقي منهم من يناضل
حتى النفس الاخير ، صابرا على الأذى في سبيل حرية شعبه وكرامته •

وللزهاوى قصيدة اخرى يصف فيها حسنات الانكليز ، يدعو فيها صراحة الى
الاستعمار البريطاني وتأيدده ، قال فيها :

-
- (٢) جريدة العرب العدد ١٥-٢-١٩١٨ ولاحظ الكلم المنظوم ص ١٤
(٣) بعد أن فشل الزهاوى في الحصول على ما يريد ، ندب العهد التركي بقوله :
اين عزي في دولة الاتراك أنا باك مما به أنا باكي

علينا بفضل الله ظل حكومة
لقد حررتنا من مظالم جمّة
أتت بهدى في العلم ابيض ناصع
بحد المواضي المرهفات القواطع^(٤)

واطرف قصيدة هي قصيدة « ابن السليقة » فقد مدح فيها ملك الانكليز .
الملك الذي انتصر في الحرب ، وتبدو طرافتها في الروح البدوية والعقلية الساذجة .
التي مدح بها الملك جورج ، فقد تصور الملك جورج ملكا يبعث اسمه الرهبة
في القلوب ، وتود عيون الملوك ان تكتحل بتراب اقدمه ، ويتصور الشاعر نفسه
راكبا ناقه ذاهبا بها الى لندن ، لينزل برحله بباب الملك ، فقال :

دعائي وحمدي ومدحي اتصل
هو الملك المرتقي في علاه
لسلطتنا وعميد الدول
مراقي ينحط عنها زحل

وقال :

وان السلاطين دانوا له
وان ذكروا اسمه بينهم
وباتوا به يضربون المثل
لهيته يعترها الوجمل

ومنها :

فيا راكبا ظهر مرقالة
ينادم نجم السما في سراه
يجوب الحزون بها والسهل
ويهوي بواد ويعلو جبال
أنخها « بلندن » عند المليك
وقبل الاعتاب ذاك المحل « كذا »

وقد نشرت جريدة دار السلام قصيدة لا تختلف عن غيرها من شعر هذه
الفترة الا بالتكلف المزدول الذي تكلفه (المعلم داود صليوا) في مدح الجيش
الانكليزي بجعل كلمة « الخال » قافية لجميع القصيدة ، ولم تخف المجلة هذا
الشعور فقالت « ادرجنا هذه القصيدة على علاقتها مراعاة لصاحبها » ، وفيها مدح
لانكلترا التي أذلت الرؤوس ودان لها السلاطين . وفي القصيدة ذكر لحضارتها
وسياستها للبرية التي محت الظلم والاستبداد وحررت العرب ، وكستهم المجد .
الى آخر ذلك .. ومطلعها :

(٤) جريدة العرب ١٧١-٣-١٩١٨

بخال فتاة الخال اشغفني الخال فلا ثم عم يا اميمة او خال^(٥)

وقد مدح الشيخ عبدالحسين الحويزي^(٦) الانكليز ، والطريف انه احتفظ بهذه القصيدة بعد مرور وقت طويل ، فقد كتبت اليه ان يرسل الي بشيء من شعره السياسي فكانت هذه القصيدة ضمن ما ارسل به الي ، والقصيدة طويلة اتخذ فيها موت الملكة فكتوريا واسطة لمدح الدولة الانكليزية ، فرأى فيها كل المحاسن والمكارم السامية عدلا ورحمة وفخرا لخصها بقوله :

وحويت في الدنيا مكارم جمّة طلعت بدورا تزدهي وشموسا

ثم يسهب في وصف هذه المكارم من قوة ورهبة وسطوة وعدل ساد الرعية ، وافرط افراطا ممجوجا في المبالغة ، فهو لا يختلف بأى حال من الاحوال عن شعراء القرن التاسع عشر ، فقد جعل الشمس حاجبا لها ، والقمر جليسا لها ، ثم امتدح ولدها الذي خلقها بقوله :

للدولة العليا شبلأ أعقبّت حففت قريحة فكره القاموسا
ملك رعيته اذا ذكروا اسمه ضربت لمثل جلاله الناقوسا^(٧)

وقد انصب بعض المديح على الجنرال ستانلي مود^(٨) الذي منى العراقيين في منشوره بالحرية والاستقلال ، وتحريرهم من الاستعمار بأقامة حكم وطني في البلاد ، وقد أصيب القائد الانكليزي بالهيفة فمات ودفن في بغداد^(٩) .. وقد أسف على موته ، وظن بعضهم انما قتل لانه وعد العراقيين وعودا خلافة ، لذلك نسابق نفر من الشعراء الى مدحه ، وظفر بما لم يظفر انكليزي من عطف القوم

(٥) دار السلام العدد ٣-٢-١٩١٩

(٦) يبلغ من العمر الثامنة والثمانين « سنة ١٩٥٤ » وشعره لايسمو الى مرتبة القريض .

(٧) القصيدة بخط يده ، وعليها آثار رعشة العمر ، في مكتبتي الخاصة .

(٨) حاول الوطنيون عدة مرات اقتلاع تمثاله المقام امام السفارة البريطانية في الكرخ .

(٩) لاحظ جريدة العرب العدد ٩٦-١-١٩١٧ ترجمة حياته ودفنه

ورثائهم .. فمن الذين رثوه شاعر سمي نفسه « ابن الرثاء » :

لله أي مصاب فادح عظما أورى بقلب المعالي زنده ضرما
خطب ألم فأشجى المكرمات وقد فاضت لفجعتة عين الفخار دما
أوذى الحمام بمود باسل ففدا شمل العلا بددا إذ كان منتظما
قد مات بحر الندى والمكرمات وكم قد فاض زاخره بالجود ملتظما^(١٠)

وقد عنيت الجريدة في قصائد الرثاء التي نظمها الشعراء في مود ، ونشرت بعضها افتتاحية لجريدة العرب .. فقد رثاه ابن العـراقين وابن السياره ، وابن قفطان^(١١) ، وغيرهم .. ويقتضى الاستطراد ان اقول ان اقامة تمثال مود ألم الوطنيين ، اشد الالم لانه تمثال يمثل العبودية ، وقد سخر الشيخ علي الشرقي قائلا :

كل رجال لعبت دورها وما وجدنا في السويدا رجال
قد خذلت بغداد منصورها وانهضوا فيها « لمود مثال »
في كل يوم بهرجت دورها لامة من امم الاحلال
بالله يا من سبروا غورها ماذا وجدتم امة أم خيال؟^(١٢)

(١٠) العرب العدد ١١١-١-١٩١٧

(١١) العرب الاعداد ١٠٩ ، ١٠١ ، ١٠٢

(١٢) ديوان علي الشرقي ص ٩٤ ، بقي التمثال شامخا في جانب الكرخ يمثل الاستعمار الجاثم على صدر العراق ، وقد جرت محاولات لقلعه ولم تنجح هذه المحاولة الا في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وقد اشارت الكاتبة الانكليزية « دورين وارنز » الى رموز الاقطاع والاستعمار والملكية في كتابها المطبوع في لندن سنة ١٩٥٧
Land Reform And Development In the Middle East.

الحرب والسلام

— ٤ —

تردد ذكر السلام والحرب كثيرا في الشعر العربي ، ولعل زهير بن ابي سلمى اول من نظم في استهجان الحروب وذمها ، فقد وقف موقفا كريما سجل فيه مشاعر الانسانية وبغضها للحروب ، وما تجره من ويلات ومصائب .. في قصيدة طويلة منها :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم	وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضر اذا ضريرتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرجا بثقالها	وتلقح كشافا ثم تتسج فستم ^(١)

ولا يكاد يخلو ادب امة من وصف للحروب وويلاتها ونجد في كل عصر من العصور من يذم الحروب ويمجد السلام . لان الانتاج المبدع المنظم لا يكون في ظل الحروب .

وتصاحب الدعوة الى الحرب دعوة الى السلام لان الانسان تهزه مصائب الحروب ، وتوجهه ويلات البشر ، التي توقف الحياة عن عملية الانتاج وتجبر الى الحرمان والتقصيف والجوع وفك الامراض . وتشريد الاطفال والنساء وازدياد المآسى والاحزان .

(١) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى - لتعلب - ص ١٨ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤

لذلك فالشعر خلال الحرب تسوده روح التشاؤم ويطفح بالحزن والالم الشديد . مهما كانت دوافع الحروب ومهما يسبغ عليها مثيروها من نعوت والقاب فالهندواى يعرف ان الحرب اثرت ضد العدو الذى جاء يستعمر بلده واضطر للحرب والقتال ليدافع عن وطنه ويثأر لكرامته وعزته . . ولكنه رآها ضرورة بغية فهو يدعو الى الحروب مضطرا لانها جهاد فيقول :

واذا لم يكن من الحرب بد	فلشرها حربا تشيب الوليدا
ولنمت في الدفاع عن حرم الحد	ق فقد بات وهو يشكو الجمودا
أين قومي وهل ترى غير قومي	أمة تصدع الصفا والحديدا
ان قومي أبناء قحطان حازوا	طارف المجد والعلاء التليدا
شهد السيف انهم أمة الحر	ب اذا هزت الكمأة البنودا
وكفى بالحسام وهو أخو صد	ق على البأس للرجال شهيدا

ولكنه يضطر الى اثاره الحروب التى كانت شرا لا بد من دخولها ، فيصف مساوئها التى حاقت بالبشر فقال :

شمرر طبق البحار هبوطا	واعتلى قارب الوهاد صعودا
أحرق المال والنفوس وآلى	لا نباتا يبقى ولا جملودا
عم وجه الصعيد طرا فأسمى	كل شيء على الصعيد وقودا

وصور مبلغ ألم الشاعر من الحروب ، وحملته العنيفة على العلوم التى خلقت هذه الآلات التى تفتك بالبشر فتكا ذريعا ، بينما خلقت العلوم لاسعاد البشرية لا استغلالها في الشر والفتك باخيه الانسان ولما رأى الشاعر مقدار ضراوة الحرب فضل حياة القرون الوسطى وعصور التأخر ، لانقاذ البشرية من الدمار الكلي الذى أحدثه عصر النور ، وكتب صفحات تاريخه بدماء الابرياء فأحال صحائفه البيض المشرقة سودا تسيل دما ودمارا ، فقال :

يا زمان النور الذى قد ألا	ن العلم فيه الصفا والحديدا
لح كئيبا فقد أعاد بنوك ال	يوم منك الصحائف البيض سودا
لطخوا بالدماء وردة خدي	ك عقوقا فشوهوا التوريدا

وبكف العلوم جروا لنا الو	يلات واستفرغوا لها المجهودا
ليت لا كانت العلوم ولا كا	نوا وليت الذكي يفدي البليدا
جيدا لو بقي الجمود وتد	سا لقوم لا يشكرون الجمودا
ان عصر الجمود عصر شريف	عاش فيه الانسان عيشا رغيدا

وقد ظهرت في هذه القصيدة ظاهرة جديدة بالاشارة اليها ، هي ان الشاعر سخط على الملوك الذين يرسلون بالشعوب الى الحروب رغبة منهم في السيطرة ، وشهوة للحكم ، واطفاء لشهوة الاحقاد والضغائن التي بينهم ، غير عابئين بما يحق بالشعوب من ويلات . . . وقد جزع الشاعر من هذه الحروب التي كان الملوك سببا مباشرا في اثارها ، فأخذ يستدر رحمة الملوك ، ويشير فيهم المشاعر الانسانية ليكفوا عن هذا القتال ، وضجر الشاعر وجزعه من الحروب رد فعل لما حل ببلاده وبالبشرية من خراب ودمار ، فقال بصراحة :

رحمة أيها الملوك بأهل الار	ض وكفوا جيوشكم والجنودا
ضائق الارض بالذي حل ذرعا	فاكفهرت وأوشكت أن تميدا
جردوها عواطفنا وشعورا	وادفناها ضغائنا وحقودا
وتلافوا بقية السيف منكم	فهني بالسيف أوشكت أن تبيدا

وذكرهم بان البشر سواء في العواطف وانشاعر ، وان ليس هناك فرق بين انسان وانسان آخر ، فهم سواسية في العذاب والآلام والمشاعر حبا وبغضا :

فارحموهم فهم وأنتم سواء	قد تماثلتم أبا وجـودا
لو رجعت الى الحجى لرأيتم	سيد القوم لا يطول المسودا
انما الجهل أوجد الفرق في لنا	من فكانوا مواليا وعبيدا

وقد عبر الشاعر عن رأيه في الحروب اصدق تعبير ، وعزاها الى المتفعين بها وهم الملوك ، وبالرغم من انه حتم قصيدته بالدعوة الى الحرب لم نجد الشاعر يندفع اندفاعا دينيا في الدعوة الى الحرب فلم يقل ان الكفار قد وطئوا ارضكم ، لانه يرى الانسانية تستباح ويفتك بها لانه بعيد النظر ، واسع الافق ، رأى امورا لم يرها غيره من الشعراء . . . رأى الانسانية تقرب من الملوك ، ورأى الملوك

والرعية يتساوون في الفتك والموت غير ان الظروف هي التي خلقت هذا ملكا وهذا من ابناء الشعب . وعندما اراد ان يثير الحرب اثارها باسم قومه العرب ، الامة التي تصدع الحديد والتي سجلت فخرها ومجدها في صفحات التاريخ ، لان رغبة الشاعر لم تكن عميقة في الذود عن الاتراك ، فلم يحث صراحة على الحروب ولم يحرضهم ولم يطالبهم بصراحة ، انما اوجب الحرب لان العدو دخل حدود وطنه ويجب ان يحارب ليطرده من هذا الوطن :

ان ظني وأكثر الظن حق ان قومي لا يرتضون القعودا
سيخطون بالقواضب حدا للعدو الذي تخطى الحدودا^(٢)

أما « ابن اليراع » فقد شاهد الحرب في الارض والبحر والسماء ولم تنج بقعة من ولايتها ، فصرخ من اعماق قلبه مطالبا بالسلام ، صرخ بالدول لترفق بالاسانية وتخفف من مصائبها فقال :

دول الارض أين أين السلام فعلى الرفق والحنان السلام
خففوا الويل عن بني الانسان انما الويل في الشرائع ذام
قد قست منكم القلوب وأتسم بشر مثلهم دم وعظام
ارحموهم فهم وأتم سواء كلكم أنتجتكم الارحام

وتساءل « ابن اليراع » عن السلام ومتى تضع الحروب اوزارها وتستقر الامور وتهدأ النفوس الضالة الحيرى ، ولكن استدرك فوجد ان موقدي نيران الحروب هم تجار الحروب وهم الحاكمون ، لذلك وجه تقريره ولومه على من أجج هذه الحروب التي زادت نسبة اليتامى ، وفجعت الناس بالاعزاء من البنين .. ثم وقف صراحة وخص الملوك بهذا التقرير فهم الذين يعاملون ابناء الشعب معاملة الراعي القاسى للاغنام الضعاف ، والا فما فائدة الشعوب في هذه الحروب التي تشن لنزوات الملوك ومنافعهم الشخصية وشهواتهم .. وفي اثارها الدماء والدموع والفناء والجوع والمصائب ، فقال يخاطب الملوك :

(٢) صدى الاسلام العدد ٧٩-١-١٣٣١ وقد ثبتها في ديوانه المخطوط . وعندى نسخة منه .

ان لومي على الذي أجج الحرب
ولو أن الحروب فيها حياة
يا سماء امطري على الارض دوما
يا ملوك الارض اسفقوا بالرعايا
فلحفظ الأنام تستعمرون الار
ان يكن حربكم لنيل انتقام
حيث أهلكتم بها الحرث والنسل
حيث في الحرب تكثر الايتام
لشعوب من دأبها لا تضام
غضبا فيه تهلك الظلام
سئمت من رعاتها الاغنام
ض أم للاطماع تقضى الانام
ففناء العباد ليس انتقام
لم يرعكم شيخ قضى وغلام^(٣)

وكان كل الشعراء على اختلاف بيئاتهم يكرهون الحروب لانها وسيلة
لتهديم دعائم السلام ، وتقويض دعائم الطمأنينة والامان في النفوس ، وطريقة لبث
الرعب والفرع في قلوب الضعاف من النساء والاطفال .. فقد نظم « الرصافي »
قصيدة « من ويلات الجروب » مصورا فقيرة اضناها الفقر من أثر الحرب فخارت
قواها ، فأخذ الشاعر يخفف من وقع الالم ، وكان ألمها شديدا حتى انه ابكاه
واوجعه . ثم هاجم الغرب مشعل الفتن والحروب ، وذكر ما تصنعه الحروب
من تبدلات في حياة البشر عامة فقال :

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت
واستفحلت فتنة عمياء جائحة
وقامت الحرب باللاواء شاملة
والارض قد أصبحت من مكر ساكنها
ضائق على الناس وانسدت مسالكها
هزاهز بينهم عمت بني نوح^(٤)
تمخضت من دم في الارض مسفوح
كل البسيطة حتى الابحر الفيح^(٥)
محمرة اللوح أو مغبرة السوح^(٦)
فعاد كل طريق غير مفتوح

(٣) جريدة العرب العددان ٨١ ، ٨٢-١-١٩١٧ وتراجع قصيدة ابن اليراع ..
التي يصف فيها احدى المعارك .

(٤) الهزاهز : الاضطرابات التي تهز الشعب . القصيدة في الديوان ص ٢١١
(٥) اللاواء : المجاعة ، وكل مصيبة شديدة .

(٦) اللوح : بضم اللام الهواء . يكنى في البيت عما حل في البلاد خلال الحرب
العظمى من المجاعة والمصائب العامة .

والحرب أغنت اناسا غنية عجبا وآخرين رمتهم بالمجاليح^(٧)
ومعشرا أسكتهم في الذرا غرفا ومعشرا بطن ملحد ومضروح^(٨)

وللرصافي عدة قصائد في ويلات الحرب ومصائبها .. ففى قصيدته « ابو
دلامة والمستقبل » حرب شعواء على الحروب التى تشنها المطامع ، فتسفك دماء
الايبرياء ، وتيتم الاطفال ، وتفنى الجيوش لجشع فئة محدودة .. اظهر كرهه
للحروب التى تفتك بحريات الشعب ونفوسه ، فقال فيها :

أمن السياسة أن يقتل بعضنا بعضا ليدرك غيرنا الآمالا
لا در در أولى السياسة انهم قتلوا الرجال ويتموا الاطفالا
غرسوا المطامع واعتدوا يسقونها بدم هريق على الثرى سـيالا
نثروا الدماء على البطاح شقائقا وتوهموها الروضة المحلالا^(٩)
تفنى الجيوش ولا ضغائن بينها سبقت ولا ترة ولا اذجالا
قالوا كرهت الحرب قلت لانها دارت لتغتصب الحقوق الآلا^(١٠)
وأجلت فكري في الحروب فلم أجد أبدا لهن سوى الخمر مثالا
طاشت منافعها الصغار عن الورى ورست مآثمها الكبار جبالا
ما أجشع الحرب الضروس فانها^(١١) تحسو النفوس وتأكل الاموالا^(١٢)

وفي قصيدة اخرى يصف احدى الوقائع التى حصلت بين روسيا واليابان ،
وماجرت هذه الحروب على الانسانية من ويلات ، لم يستهجن شاعرنا الحرب
لان ويلاتها نكبت ابناء وطنه فقط وانما وقف موقفا انسانيا كريما فحاربها •
لأنها تفتك بالانسانية وتبيد البشر اجمع وقد بدت هذه الروح الانسانية في قصيدته
التي مطلعها :

- (٧) المجاليح : السنون الشديدة ذات القحط والجذب .
(٨) مضروح : أصبح له ضريح ، أى ميت .
(٩) المحلال : كثيرة حلول الناس اليها ودخولها
(١٠) الال ، الاصحاب ، اي ان الحروب تسلب الحقوق اصحابها .
(١١) الديوان ص ٣٦٨

سعروها في البحر حربا ضروسا تأكل المال نارها والنفوسا^(١٢)

وقد كان لاعلان الهدنة رنة فرح وسرور في جميع العالم ، اذ وقف سيف المصائب من حصاده ، وطاحونة الآلام من دورانها وبدأ الامل الحلو يداعب الناس بحلول الاطمئنان والهدوء وبدأ السلام يرف بأجنحته على الشعوب في هذه المعمورة التي انهكت قواها الحروب ، واقيمت الافراح في كل مكان ولا سيما في دنيا المنتصرين .. وعبر « الزهاوي » عن فرحه هذا بقصيدة رأى في الهدنة طريقا لتحرير الامم من رق العبودية ، وان الانكليز سوف يأخذون بيد العراق نحو التقدم والرقى ، لانهم انقذوه من الاتراك ، وقد جافى الزهاوى الحق كله واراد ان يقترب الى الانكليز بقصيدته ، اذا اعتبر الهدنة سبيلا لتحرير بلاده التي اصبحت قطعة مستعمرة للتاج البريطاني . وغدت البلاد العربية بل اكثر الشرق تحت دول السيطرة الاجنبية .. كيف رضي ان يغالط نفسه ويدعي ان الهدنة طريق لتحرير الشعوب من العبودية والاستعمار ، وقد اكد هذا المعنى في المقطوعات السبع التي نشرها في هذا المعنى ، فقال :

أتى الله حزب الحق نصرا فحرروا وراء انتصار في الحروب شعوبا
وأعطوا من العدل العراق نصيبه يسرون من أهل العراق قلوبا

وفي بيتين آخرين قوله :

قد انتهت المهالك والحروب وفي العقبي تحررت الشعوب
هنيئا للعراق فسوف يلقي بذلك ما تطيب له القلوب^(١٣)

واعبر الزهاوى الانكليز حزب الحق الذي خلق ليحرر الشعوب من الاستعباد ، وقد أوغل في الدعاية للانكليز وحسن الظن بهم ، وظن بأن الشعوب كلها سوف تنال حريتها واستقلالها ، وانها ستفوز بالخير العميم ، وسيخف

(١٢) الديوان ص ٣٥٩

(١٣) تراجع جريدة العرب العدد ١٣٩ المجلد الثالث ١٩١٤ .. وللزهاوى باب في ديوان الزهاوى من ص ١٠٧ - ١١٧ المطبوع في مصر سنة ١٩٢٤ .. ويراجع اللباب ص ٤٨ والعرب ١٧١

الرفاء بالعراق من كل جانب • فتعم الفرحة قلوبهم والعدل ديارهم •
وقد شارك « محمد مهدي البصير »^(١٤) الزهاوى في هذه البشـرى •
بشـرى الهدنة ، وتصور وجود السلام مدعاة لاعادة مجد العرب وتحريرهم من
الذل والعبودية ، وتخيل أن هناك حفلة ستقام ابتهاجا بهذا اليوم السعيد ،
وصفها بقوله :

أعاد لنا السلم مجد العرب	فحيا الاله وأحيا حلب
على اسس الصلح قامت لهم	عروش دعائمهن الطلب
ستبنى غدا بيد المالكين	ولم تبناها اليوم هذي الخطب
اثارهم ساسة الاضطهاد	فذاقوا الحياة بكاس العطب
ويوم على ذكر تحريرنا	أقمنا بها حفلات الطرب ^(١٥)

ويتصور البصير أن الحرية التي حجبتهـا المطامع وراء دخان المدافع جاءت
بعد الهدنة تحيي العرب وحلت في ديارهم ، لان الحلفاء قرروا تحرير الشعوب
العربية •

وللبصير قصيدة اخرى يتحدث فيها عن السلام ، نشرها بتوقيع مستعار^(١٦) ،
حشر فيها نظرية التنازع على البقاء ونظرية البقاء للاصلح حشرا ، فقال :

قلت السلام على السلام فقد أبى	حتى الجماد مع الحياة سلاما
الا اذا انقرض التنازع في البقا	فالسلم ينشر في الورى أعلاما
والناس لو يتنافسون تصافيا	لم يسق قوما آخرون حماما

(١٤) سألت الدكتور البصير عن هذه الحفلة فأخبرنى متفضلا انها خيالية
ولا صحة لما ورد فيها •

(١٥) مجلة دار السلام العدد ٤ - المجلد الثاني - ١٩١٩

احتفلت سلطات الاحتلال احتفالا رسميا ، وانبرت انوار الكهرباء، وارسلت
السهم النارية في الفضاء • ووصف هذه الحفلة ابراهيم منيب الباجهجي
بقصيدة في العدد ١٥ من المجلد الثاني من دار السلام ١٩١٩

(١٦) قالت مجلة دار السلام : كل ما نشر في هذه الوضعية وفي جريدة العرب
مذيلا باسم « ابن بابل » فهو للشـيخ محمد مهدي البصير شاعر الحلة
الشهير • العدد ٢١ المجلد الاول

ولست الحروب كما ظنها الشاعر حرب تنازع على البقاء ، وانما هي حرب استعمارية .. فالمستعمر يريد أن يوسع رقعة أرضه جسعا ، وقد التفت البصير نفسه الى هذا الامر بعد ذلك واتخذ « غليوم » امبراطور المانيا مثلا ، فوصف الحاكمين الذين يستعبدون الشعوب ويدلون الرقاب ، وتطرق الى أعمالهم التي أدت بالشعوب الى الذل والهوان .. فقال يصف المستعمرين بقوله :

وقضى لهم غليوم في غلوائه ألا يعيشوا وادعـين كراما
لا در در الحاكمين بامـة ولوا عليها الصارم الصمصاما
الطامعين بكل ما تحت السما وعساهـم لا يبلغـون مراما

ويبرز أعمالهم البشعة وقسوتهم التي سخرت بحق الشعوب دون أن يسمعوها نوح الشكالي ، وصراخ الايامي ، فقال :

واذا المدافع أسمعـت أصواتها مثلوا قعودا حولهن قياما
شغلت مسامعهم فليس يهـزها يوما أنين أرامـل ويتامـي^(١٧)

وللبصير قصيدة اخرى نشرت عام ١٩٢٠ وصف فيها الحرب وأعمال امبراطور المانيا في باريس ورومانيا وبلغـكا والصرب ، وكيف دخل روما ، ثم وقوف فوش وولسن بوجهه ، فحطما آماله ، وأجبراه على التنازل عن العرش ، فقال :

ولو لم يـنازعه السياسة ولـسن لما خسر المجد الذي هو طالبه^(١٨)

وله قصيدة يرسم لنا فيها صورة رائعة لجريح في بلد متأخر في جميع امكانياته ، ولا سيما الصحية منها ، وما يعانيه هذا الجريح من آلام الجراح حتى يتمنى الموت من هول هذا الالم فقال :

وفاكلـة يشـن لها جريح طريح لا يعلـل بالـدواء
تمكنت القذائف منه مرمـى فأيسـت الاساءة من الشفاء
يشن اذا أضر الجرح فيه فيشجـيها فتجـهش بالبكاء^(١٩)

(١٧) دار السلام العدد الرابع - السنة الاولى ١٩١٨

(١٨) دار السلام ٥-٣-١٩٢٠

(١٩) دار السلام ١-٣-١٩٢٠

كانت آثار الحرب شديدة في الشرق ، وفي العراق خاصة ، فقد فتكت
 المجاعة بالشعوب الضعيفة التي لم تدرك حكوماتها مغبة الامور ، بعد أن توقفت
 المصانع عن الانتاج ، فلم يتمكن الزارع من مواصلة الزراعة لانه يحارب في
 المعركة ، واما زرعه لم يكف حتى للقوت الضروري لحياته . وانشغال الدول
 بالحروب وقف حائلا أمام التجارة فتدنت الحياة الاقتصادية . وفك الجوع
 بالناس ، وبددت الثروات وتقوض العمران . وتوقفت عجلة المدنية عن السير
 وتأخر ركب الحضارة .

ومع كل هذه المصائب التي حاقت بالانسانية نرى المستعمرين يدعون الى
 السلام ولكن على حساب اقسام الشعوب الضعيفة واستغلال ثرواتها وامتناع
 مواردها ، فيختصمون . فيسخر الشاعر من هؤلاء بقوله :

يا دعاة السلم في قصر السلام	أين مسعاكم الى تأييدهم
اتجت أتعابكم هذا الخصام	أفلا نقوى على تبديدهم
فهللما اسعوا الى رد النظام	واعملوا حقا على توطيدهم
وأذيعوه لدى أشياعه	كم له بين الورى من شيع
واذا فتشت عن أتباعه	لم تجد أنت سوى متبع ^(٢٠)

وقد أضنت الحرب كاظم الدجيلي وآلمته فتساءل : متى يعم السلام الشعوب
 فتطمئن النفوس بعد هلعها ، والقلوب بعد خوفها !! وعزى الحروب الى القادة
 الطامعين بأوسمة براءة ، وبمجد زائل ، دون أن يرحموا جموع الشعب أطفاله
 وشيوخه ، ويبصرهم بالطريق السوي للشجاعة والاصلاح فيقول :

ليس من أزهق النفوس شجاعا	ليس من جد فأنكا بمجيد
انما أشجع البرية طرا	مصلح قام بين أهل الجمود

وتمنى أن يعم السلام ليعود الهناء على الشعوب ويقضى على تجار الحروب

(٢٠) نشرت القصيدة بتوقيع « شاعر متألم » في دار السلام العدد ١٧ من
 السنة الاولى ١٩١٨ وهي لباقر الشبيبي راجع الادب العربي ص ١٢٤
 وترجمته في شعراء الغري

بقوله :

فمتى يا ترى يموت غزاة جندوه لقائد ومقود
فيعم السلام في الناس طرا ويعود الهناء للمستعيد^(٢١)

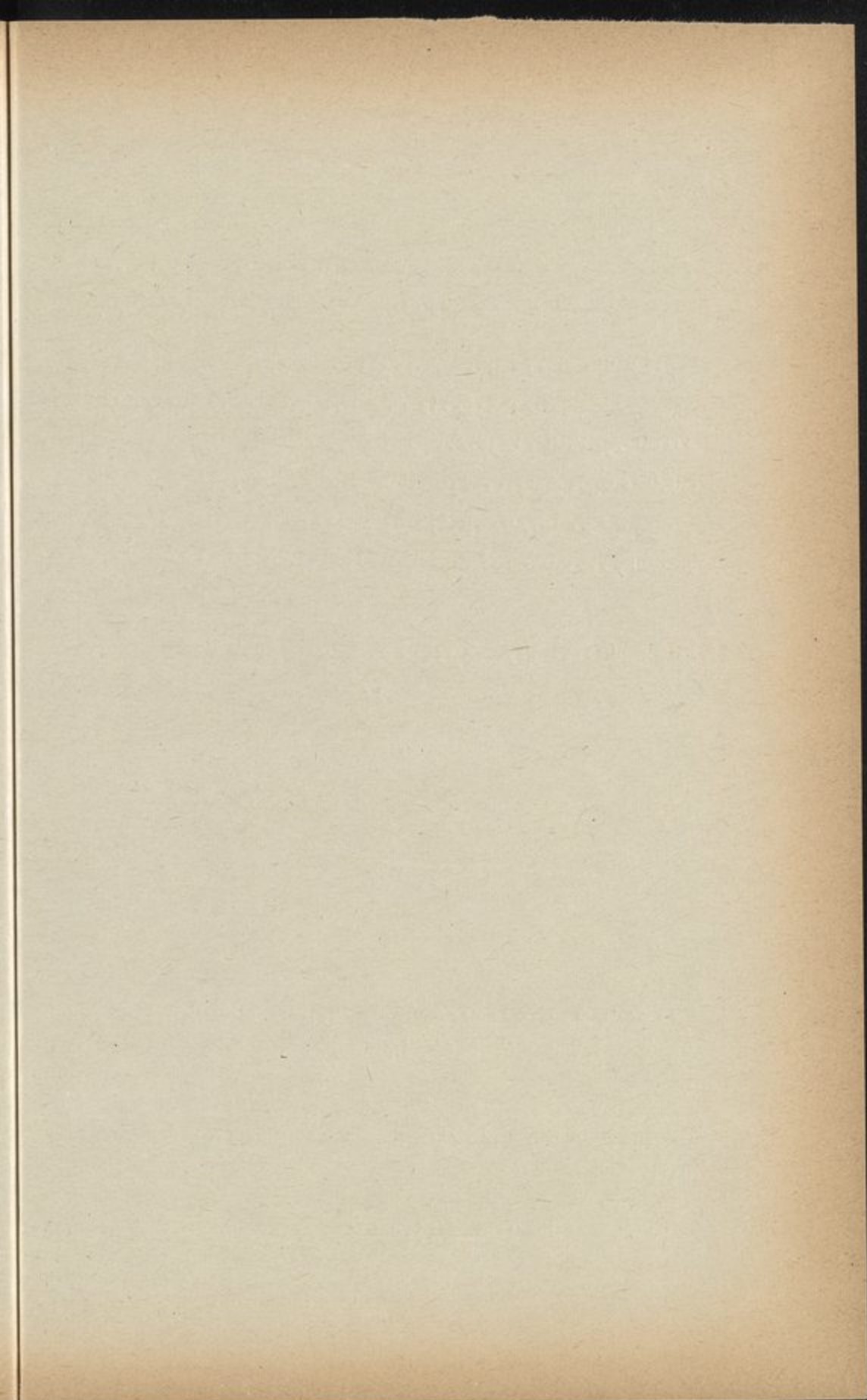
هذه هي الحروب بشروها ، وآلامها ، ومصائبها ، وموقف الشعر منها
وفيها صورة لما حاق بالعراق من أحزان وآلام .. وفاقة وجذب وجوع
وأمرض والتي انتهت باستعباد العراق من الانكليز .. فقد ظهرت المعاهدات
السرية التي قسمت الدولة العثمانية الى مناطق نفوذ .. ولم يبق بعدها للخلافة
العثمانية نفوذ .. فقد احتل الحلفاء البلاد وهيمنوا على مقدراتها ، وهرب رجال
الاتحاد والترقي^(٢٢) الذين دفعوا الدولة الى الحرب دفعا .. فذاق الاتراك مرارة
الاحتلال والحكم الاجنبي

وبذهاب الخلافة العثمانية بدأت الفكرة القومية تسرب الى الاقطار العثمانية
وأخذت تدعو الى تشكيل دولة مستقلة ..^(٢٣)

(٢١) دار السلام العدد ٦ السنة الثانية ١٩١٩ وقد وقعت بتوقيع ك. د. وقد
وجدت على نسخة مكتبة الآثار اسم الشاعر بخطه

(٢٢) قتل انور باشا في تركستان في ساحة القتال والتجأ طلعت باشا الى
برلين فقتله احد الارمن ومات جمال باشا في تفليس فقد كان يقصد
الافغان لانه كان يمتنى نفسه بتأسيس دولة حديثة (على طريق الهند
ص ٢٢٨) ويلاحظ ص ١٠٤ من هذا الكتاب وهناك تفصيل عن جمال
باشا في جريدة العراق العدد ٣٤٤٩/١٢/١٩٣١

(٢٣) على طريق الهند ص ٢٣٢-٢٤٤ بشأن التفصيل والمصادر

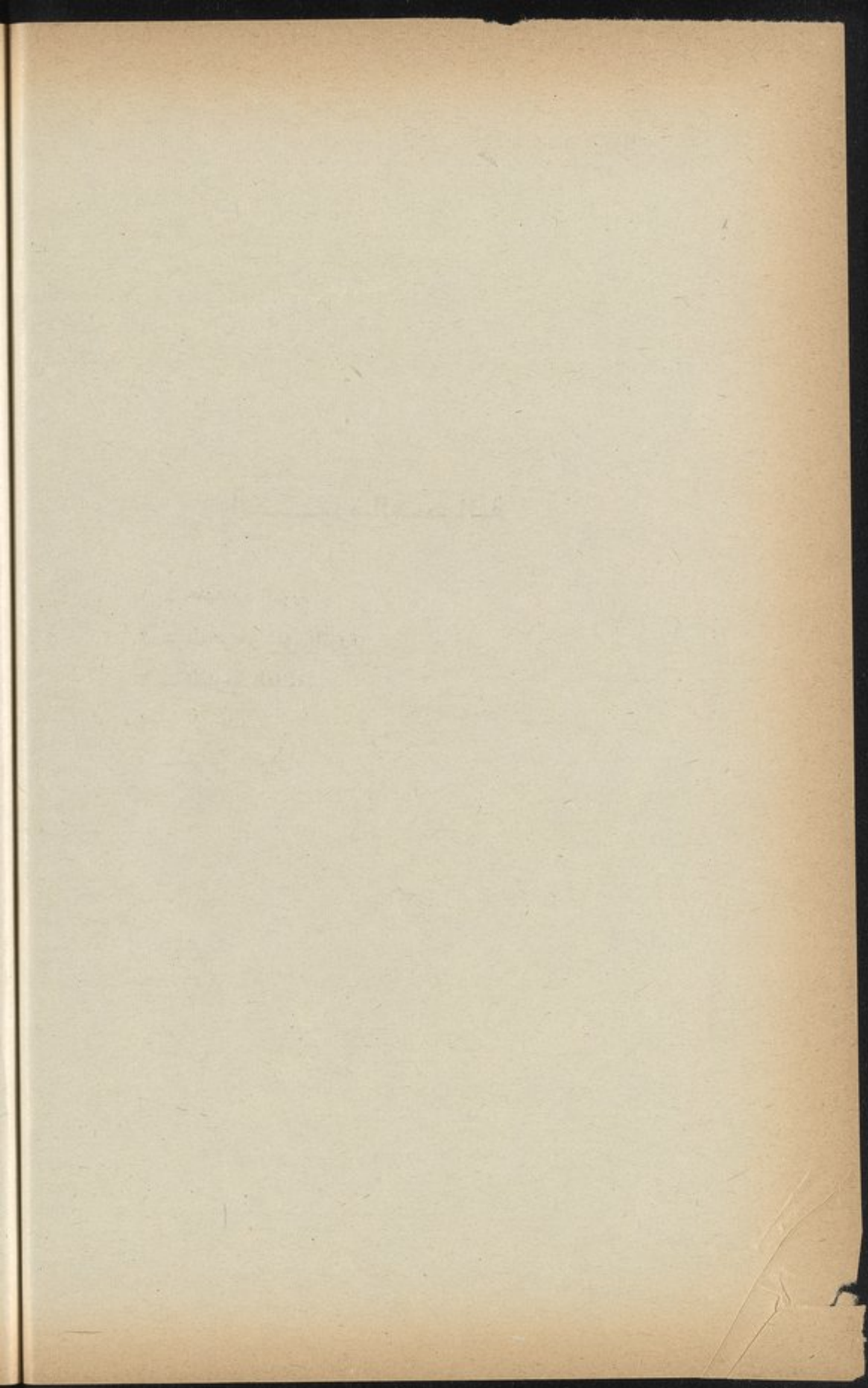


الفصل الثالث

شالنا راسخفا

الثورة العراقية

- ١ - مميزات الثورة
- ٢ - التحريض على الثورة
- ٣ - المقاومة العلنية
- ٤ - أثر الثورة
- ٥ - عرش العراق



ممهّدات الثورة

- ١ -

الثورة السياسية تأتي نتيجة أي ضغط على حريات الشعب فتهدد كيانه وشخصيته ومقوماته فيفقد جزءاً مهماً من حياته فيثور ليتخلص من هذا الكابوس الذي حال دون حريته .. وينطلق الى عالم رحب من السيادة والاستقلال .. ومتى ما احكمت الثورات ووضعت المخططات الدقيقة للاحتّمالات التي قد تصادفها فانها تؤدي الى ما ارداه الثائرون .. وقد لانتجج هذه الثورات لاسباب كثيرة . ولا تكون الثورات في بلد ، وليدة ساعة او يوم يحدد ، وانما تحدث نتيجة لعوامل متعددة توصلها الى ساعة الانفجار . ولعل أهم عامل في انجاح الثورة هو تكوين الرأي العام الموحد الذي يتجه الى الثورة والاستعداد لها .

ولا تختلف الثورة العراقية عن غيرها من الثورات فقد سبقتها عوامل كثيرة متنوعة يرجع بعضها الى العهد العثماني وبعضها جاء نتيجة للحرب العالمية الاولى .

فقد بدأت بوادر الشعور القومي في أوروبا واخذت تسرب الى جميع الشرق فتأثر بها المثقفون العرب^(١) بطبيعتهم الثقافية وظهرت هذه اليقظة بالحمالات التي راح يشنها الاحرار العرب الذين رأوا الفساد وقد استشرى في البلاد العربية فأخذوا يطالبون بالاصلاح وقد كان منهم الجريء المغامر الذي لم يخش صولة الدولة العثمانية حتى ليخيل لجرأته انه غير موجود وان اسمه مجرد توقيع مستعار لما امتازت به قصائده من جرأة عربية وتجد سافر للدولة العثمانية^(٢) ومن مطالبة عنيفة صريحة في الاصلاح فقد قال الرصافي :

(١) النتائج السياسية للحرب العظمى Ramsy Muir P. 140 - 151.

(٢) حدثني الاستاذ الشاعر الكبير بشارة الخوري انه لم يكن يصديق بأن معروف الرصافي انسان يعيش وانما هو توقيع مستعار يتخذهُ أحد الاحرار ليهاجم الظلم والجور

كيف القرار على أمور حكومة حادت بهن عن الطريق الامثل
في الملك تفعل من فظائع جورها ما لم تقل ، وتقول مالم تفعل
ملأت قراطيس الزمان كتابة للعدل وهي بحكمها لم تعدل

وتبلغ به الجراة النادرة ان يدعو الى حكم جمهوري لاصلاح الاحوال
المرتدية في البلاد كي يرتفع الشعب من حضيض التأخر الى أوج الرقي فقال :
ان الحكومة وهي جمهورية كشفت عماية قلب كل مضلل
سارت الى نجح العباد بسيرة أبدت لهم حق الزمان الاول
فسموا الى أوج العلاء ونحن لم نبرح نسوج الى الحضيض الاسفل^(٣)

وقد كانت الجرائد العربية في مصر هي الميدان الذي ينشر فيه الشعراء
شعرهم كالمؤيد والمقطم والمقتبس^(٤) وقد نشر جميل صدقي الزهاوي في المقتطف
قصيدة منها :

ألا رعى الله اوطان لنا انتهكت محبوبة السهل والوديان والكتب
قد أضرم الجور نارا في جوانبها واهلها بين نفاخ ومحتطب^(٥)

ويصرخ الزهاوي يحذر القوم مما يحيق بهم وما سيصل اليه مستقبلهم
قائلا :

أيها القوم أيها القوم أنتم أمة ساقطون في مهواة
أيها الظلم هل زمانك ماض أيها العدل هل زمانك آت
وسأبكي قومي وابكي بلادي وقبور الآباء والامهات^(٦)

(٣) ديوان الرصافي ص ١٦٢ وص ١٦٣ ويراجع (ايقاظ الرقود) ص ١١٦
و (تنبيه النيام) ص ١٠٣

(٤) الادب المصري ج ١ ص ٩ وص ٧٠ ويلاحظ مذكرات معروف الرصافي
التي املأها على الاستاذ كامل الجادر جي الموجودة في المجمع العلمي وقد
نشرتها مجلة الثقافة الجديدة في العراق .

(٥) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ١٩٦ وص ٢٨٠ واللباب - (بغداد
١٩٢٨) ص ١٤ وص ١٢ .

(٦) اللباب - ص ١٥ -

وعندما بدأ الوعي القومي يتسرب بين طبقات الشعب المثقفين في الاستانة وغيرها من البلاد العربية ، بدأوا بعقد المؤتمرات السياسية لمعالجة حالة العرب والمطالبة بمساواتهم مع الاتراك ، وجعل اللغة العربية لغة المدارس ، وان يخدم الجنود العرب في البلاد القريبة ، وان يكون بعض العرب في الوزارة وفي مجلس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز وان تكون نسبة الاعيان من العرب اثنين لكل ولاية وتجري المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية^(٧) .

وقد أفسح الدستور العثماني للحركة القومية مجالا واسعا فقد اصبح بمقدور الشباب العربي التكتل رسميا وانشاء الاحزاب التي اخذت تنادي بالفكرة القومية فقد أسس العرب عشر جمعيات أربع منها^(٨) في الاستانة . وكان لهذه الجمعيات أثر فعال في تنبيه الرأي العام العربي فقد أخذت الجرائد تنشر المطالبات

(٧) للتفصيل يراجع في غمرة النضال ص ١٢٨ وما بعدها وجريدة صدى بابل العدد ١٨٤/٤/١٩١٣ .

(٨) جمعية الاخاء العربي شكلها شفيق المؤيد وزملاؤه ، والمنتدى الادبي أسسه عبدالكريم الزهراوي وعبدالكريم الخليل والجمعية القحطانية شكلها خليل حمادة باشا وعبدالحميد الزهراوي وسليم النجار وزملاؤهم . وشكلت اثنتان في مصر واثنتان في سوريا ، أما في العراق فقد أسس السيد طالب النقيب جمعية البصرة الاصلاحية واصبح لها فرع في الموصل باسم جمعية العلم وكانت خاصة بالضباط . وقد انشأ عزيز باشا المصري جمعية العهد السرية وغايتها استقلال البلاد العربية استقلالا داخليا متحدة مع الدولة العثمانية وانتمى اليها كثيرون من ضباط العرب وهي شعبة من الجمعية القحطانية .

راجع بشأن الجمعيات العربية في غمرة النضال ص ٨٥ وص ٨٦ وجريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الاولى ١٩٢٣ وما بعده مقال قيم للشيخ علي الشرقي ونهضة العرب لجورج انطونيس - الفصلين الخامس والسادس وثورة العرب - مقدماتها اسبابها نتائجها - بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية - مطبعة المقطم مصر - ١٩١٦ ص ٥٦-١١٥ والثورة العربية الكبرى - لامين سعيد ج ١ ص ٥١ - ٥٠ .

وتعلق عليها وتطالب بتطبيقها • خاصة بعد ظهور العنصرية التركية والتمهيد لتتريك العرب صراحة^(٩) • ولكن الاتراك الذين ادعوا انهم منحوا الدستور لجميع شعوب الامبراطورية العثمانية عادوا يسلبون ما منحه الدستور بعد ان تكاثرت الصحف العربية فقد بلغت (١٢) جريدة في بغداد وحدها وارتفع العدد الى (٩٦) جريدة و(١٤) مجلة وبلغ في البصرة (١١) جريدة وفي الموصل جريدتان^(١٠) • وقد زاد من اهمية هذه الجرائد انها ميدان للمندفعين المتحمسين للدستور كالرصافي وفهمي المدرس والزهاوي وقد كانت على رأس هذه الجرائد جريدة (بغداد) التي كان رئيس تحريرها معروف الرصافي • هذه الجرائد أخذت ترسل بأصواء جديدة ساطعة تكشف حال العرب وتدعو الى المساواة والحرية التي نادى بها الدستور ، ومع ان بيع الجرائد كان محدودا الا ان أثرها كان كبيرا فقد كانت الآراء والافكار تتناقل بين أبناء الشعب لان الخبر الذي يقرأ تتناقله السنة الشعب في الدواوين والمقاهي وكل خبر جديد او حدث طارئ لا بد ان يستأثر بالاعجاب او الاستهجان وفي الحالتين يكون مجالا للرد والنقد والنقاش وانتشرت كلمات جديدة كالـدستور والحرية والمساواة والعدالة والظلم والاستبداد والظلم • وكلمات اخرى لم يكن الشعب بقادر على ذكرها رددتها هذه الجرائد ، يضاف الى ذلك ان الولاة والموظفين استهدفوا لحملة من الجرائد بالمطالبة بالاصلاحات التي حتمها الدستور حتى نشرت جريدة الرياض قصيدة هاجمت فيها والي بغداد ناظم باشا^(١١) الشخصية التي لم يكن يجرؤ انسان على ذكرها الا بالاحترام والتبجيل •

(٩) في غمرة النضال ص ٨٤ اخذ بعض ما نشر في جريدة اقدام التركية •
(١٠) جريدة البلاد العدد ٤٧٢ شباط ١٩٣٥ • مقال مفصل لـابراهيم حلمي العمر ويراجع في غمرة النضال ص ٨٠ و٨١

(١١) جريدة البلاد العددين ٤٧٢ و٤٧٣ وعن جريدة الرياض لسليمان الدخيل النجدي ، وهاجم الزهاوي ناظم باشا ومما قاله : انه وسع الطرق وضيق الافكار •

ولعل أهم ظاهرة تستلفت النظر ان اكثرية الجرائد كانت جرائد معارضة تندد بسياسة الحكومة التركية وتهاجم الاتحاديين الذين تنكروا للمبادئ التي أعلنوها وكانت هذه الجرائد عنيفة في مهاجمة حكومة الاستبدادية وتدافع عن كيان الوطن العربي الكبير دفاعا عنيفا بعد ان شعرت ما بيت لها الاتحاديون ولم يكن للاتحاديين سوى جريدة او جريدتين تؤيد سياستهم وتصد الحملات القلمية غير ان هذه الحرية الواسعة أخذت تضيق يوما بعد يوم وعدلت بعض القوانين واخذت الصحافة تعاني اعباءً ثقيلة حتى اقيمت (٤٨) دعوى على الصحف الوطنية وحكم على بعضهم باحكام متفاوتة كالنفي والتعطيل ففر بعضهم خوف البطش والسجن (١٢)

وقد تكون الحكومات قادرة على كم الافواه ومنع الحريات العامة ولكنها لن تقدر على تبديل الاتجاه الفكري للشعوب الواعية فقد اخذت الثقافة العامة في الانتشار بين الناس وتفتحت روح النقد والمقارنة واخذ العرب يشعرون بما يضرهم الاتحاديون وقد هاجمت جريدة (اقدم) العرب صراحة فثاروا ونظاهروا (١٣)

وقد نبه الوعي السياسي في العراقيين تأسيس دولة في الحجاز واخرى في سوريا بطابع عربي مستقل يحكمها العرب (١٤) شارك فيها جماعة من العراقيين وكانوا سببا من الاسباب في محاربة المستعمر راغبين في المساواة بالدولة الحجازية والدولة السورية .

(١٢) جريدة البلاد ١٩٣٥/٦/٤٧٣ ويلاحظ في غمرة النضال - ص ٨٠-٨٣ و٧١-٧٤ .

(١٣) في غمرة النضال ٨٣ و٨٤ لاحظ رسالة السيد طالب النقيب الذي يقول فيها (صارحني أعداء لفتنا وأمتنا ، ولاسيما خليل بك رئيس مجلس النواب بما في نفوسهم ، وهو انهم سوف يقتادوننا الى المشانق كما تساق الاغنام الى المسالخ اذ كنا نحن العرب لانوافقهم على آرائهم ونسير بأوامرهم) . في غمرة النضال ٨٧ .

The Insurrection in Mesopotamia P. 26.

(١٤)

وقد غذى روح النعمة والالم في النفوس سوء ادارة المحتلين وامتهان كرامة الشعب وحكمه حكما دكتاتوريا عسكريا أنهك الشعور الوطني . وللقضاء على الحركات التحررية والآراء القومية كان المستعمر يريد أن يجعل من العراق تابعا للمهند وقد عومل الشعب معاملة سيئة ولم يكن المستعمر يفهم روحية هذا الشعب للمستعمر ، وظنه سيرضخ بسهولة له بالغرامات التي يفرضها والسجون التي يحكم بها والاعتقالات والمنافي التي يصدرها على ابناء الشعب الاحرار ونسى ان هذه الاعمال الاستفزازية اثارت في نفوس الشعب الحق والكراهية للاستعمار الانكليزي ، خاصة ، وقد ظلم المستعمر الطبقة المثقفة الواعية وقادة الرأي فيه^(١٥) . وقد بدا ذلك واضحا بالتصلب الذي ابداه الشعب والتمسك بمطالبهم بالاستقلال دون خوف من التضحيات والآلام التي كان يصبها عليهم المستعمرون . وقد عكس هذا الرأي محمد رضا الصافي في شعره الذي نظم في السجن وقد كان قد عرض على المشقة ثم عفى عنه قال :

ان من رام مثلما قد طلبنا	لا يبالي ان سيق للموت سوقا
رخصت عندنا النفوس فثرنا	نطلب العز والعللا لا لنبقى
ولقد سامنا العدو احتقارا	فرآنا نستسبق الموت سبقا
أنا من اسرة كرام أباة	لا يرون الحياة في الذل ابقي
شرع ان يكون موتي حقا	أو أراني يكون موتي شقا ^(١٦)

وظهرت روح النعمة والثورة ، على الاستعمار الانكليزي واضحة في الشعر العراقي ، تطالب بالكرامة واحترام العراقيين الذين لا يقلون عن المستعمرين في

(١٥) كان الحاكم السياسي في النجف اذا اراد التجول في الطرق يرسل لفيفا من الشرطة ويبدعهم السياط يجبرون الناس على الوقوف احتراما للقادم وبعبارات شائنة (العراق في دوري الاحتلال والانتداب - ص ٣٦/١ و ص ٦٥) . ويلاحظ (الحقائق الناصعة) ص ٢٥٢ ففيه مثل آخر .
(١٦) الامواج للصافي النجفي ص ١١٩ ضمن التخميس . ومن المفيد مراجعة قصيدة محمد جواد الجزائري ص ٤٠ ج ١ في (العراق في دوري الاحتلال والانتداب) .

المزايا • أليسوا بشرا لهم عواطفهم واحاسيسهم؟! فلماذا يمعن الانكليز في اذلالهم؟! • ان الشعب العراقي شعب يعتز كثيرا بفرديته وانسانيته وقلما انصاع الى حاكم او سلطان يريد ان يحقره ويفرض عليه رأيه • شعب يحب الحرية الفردية ويتعشقها ، بيد أن الحكام الانكليز أساءوا اليه وأساءوا الى حكوماتهم زاعمين ان الشعب في العراق يريد ان يبقى الاستعمار الانكليزي وان استمرار حكم الاستعمار سوف يوطد النظام كما صنع (ولسن) في الاستفتاء الذي أجراه^(١٧) فقد بعث الى الحكام السياسيين في الالوية والاقضية يطلب منهم اخذ رأي الشعب لتقرير مصير العراق ومعه تعليمات خاصة توجههم بها الى وجهة نظره في الاستمرار في الحكم البريطاني غير ان الاستفتاء قوبل بالمقاومة الشديدة وبتوقيع عرائض تطالب باقامة حكومة عربية اسلامية ملكها عربي مسلم مقيّد بمجلس تشريعي وطني^(١٨)

كانت هذه الامور تجري امام سمع الشعب وبصره ولكنه لم يكن بقادر على ان يصنع شيئا فقد كانت قوات الاحتلال تفوقهم عدة وعددا لذلك كانت شكواهم مؤلمة دفينه كقول محمد الباقر الحلبي :

شكوت اليك لا جزعا ولكن	لتعلم كيف قد حكموا فجاروا
سأبقى ما حييت أبا (علي)	ولي يوم مع الحلفاء ثار
أبا الاشبال عفوا سوف أبقى	أجاهد كي يتم لنا انتصار
سُمت المكث في كنف الاعدادي	فهل لي في جواركم قرار

وروح النقمة كانت روحا ثائرة تريد الانتقام من الخصم العنيد الذي أذلها في كل مكان عاشت فيه • في الشارع وفي البيت وفي السجن ، فقد كان

(١٧) لاحظ بشأن الاستفتاء (الحقائق الناصعة) ص ٦٩

(١٨) المصدر السابق ٦٩ والصفحات التي تليها • ولاحظ ص ٨١ فتوى محمد تقي الشيرازي التي قطعت لسان كل خطيب فقد قال : ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب او يختار غير المسلم للامارة او السلطنة على المسلمين •

المسجون يقابل بأسوء ما تقابل به الحيوانات من جوع وعري ، يفترش الأرض
ويلتحف السماء فقد قال محمد الباقر يصف حالة السجين :

نقضي يوماً جوعاً ونمسي	وليلتنا يمانلها النهار
نبيت بلا فراش أو وساد	لكل ثلاثة منا ازار
لرب السجن نسط كل حين	أكفاً خط فيهن الصغار ^(١٩)

ولم تكن هذه الحال محتملة حتى من اولئك الذين كانوا يسرون في ركب
الانكليز ويوالونهم فلم يصطبر الزهاوي على حالة العراق العامة ، اذ بلغ الظلم
اقصاه واسبغت على المحاسيب النعم والاموال ، فكانت قلوبهم تغلى من الغيظ والنقمة
والالام ، وليس غير الاستقلال من دواء شاف لهم فقال :

يا أيدي الظلم شلي	ويا بلاد استقلي
ويا رجاء تعزز	ويا مصاعب ذلي

حتى يقول من القصيدة :

ليس الحياة بعز	مثل الحياة بذل
قد جاء يوم بايدي	فيه أكر غلي
ان القلوب من الغيظ	كالمراجل تغلي ^(٢٠)

ولم تكن قلوب طبقة من طبقات الشعب العراقي راضية على الاستعمار
الانكليزي لما جاءت به من حكم عسكري يسوق الناس على الظن ويتهم المثقفين
وغير المثقفين بدون حساب وبدون محاكمة لذلك كات نفوس ابناء الشعب

(١٩) مخطوطة في مكتبتي الخاصة تفضل بها علي الشاعر وهي بخط السيد
حسن عزام .

(٢٠) الباب ص ٩٤ وديوان الزهاوي ص ٢٩٥

تضطرم وتضطرب وكان من جرائها ثورة الشعراء العارمة لمصاولة المستعمر
لربح الحرية والاستقلال وقد بذل الوطنيون جهودا في سبيل اعداد الرأي
العام وتوجيهه بما نشره من مقالات وما كانوا يخطبون به في المساجد أيام
الجمع وايام ميلاد الرسول وغير ذلك من المناسبات وما كانوا يتحدثون به في
مجالسهم ودواوينهم وما كانوا ينشرون في مدارسهم • كانت ثورة عصفت بالظلم
وامتهان قيمة الشعب كبدت الظالمين ومن يسير في ركبهم الغالى •

التحريض على الثورة

- ٢ -

كانت مطالب العراقيين بادیء ذي بدء همسات ورسائل يكتبها بعضهم الى بعض لاطهار الامتعاض والنقمة والالام مما وصلت اليه الحالة العامة للبلاد من السيطرة المباشرة على جميع مقدرات البلاد من قبل جيش الاحتلال ومن تلك الرسائل رسالة بعث بها سعد صالح سنة ١٩١٩ الى صديقه الشاعر احمد الصافي يدعوه فيها الى بث روح المقاومة ضد قوات الاحتلال ويدعوه صراحة فيها الى ثورة مسلحة لتخليص البلاد من الاحتلال لان الاحتلال عار لايرضاه العراق ولن يغسل هذا العار الا سيل الدماء وتطهير الارض الكريمة من سيطرتهم • كتب يقول :

عزیز علی الحر تلك البلاد	یراہا رهینۃ قہارہا
أحمد قف بضواحي العراق	وناد بواسل أحرارہا
الى كم نکابد مر الهوان	وتشقی البلاد باغیارہا
أما آن أن تنتضی بیضہا	وترمي الغداة بثوارہا
لعل الدماء اذا ما جرت	على الارض تغسل من عارہا ^(١)

ومن ثم أخذت هذه الهمسات وهذه الشكاوى تصدر من هذا الطور الى الخطب في المساجد وفي المناسبات الدينية لان الاحتلال الانكليزي العسكري اخذ

(١) سعد صالح ص ١٤٧

يشعل روح الثورة في النفوس ودون خوف من السطوة والقوة^(٢) اذ صمم العراقيون على عمل شيء يستعيدون به كرامتهم المهذرة فبدأت حركة التحرير تخرج من طور الفكرة الى حيز العمل • وقد كان يغذي هذه الروح الرأي العام العالمي والجمعيات السرية التي كانت تعقد اجتماعات لتنظيم السياسة التي تسير عليها ومن ثم توسعت هذه الجمعيات وانشأت لها فروعاً في كثير من انحاء العراق وقد كان محور الحركة بغداد التي اتصلت بالنجف وتعرف القائمون بالحركة على استعداد الوطنيين جميعاً لمؤازرة حركة الاستقلال التي تديرها جمعية حرس الاستقلال. ومما زاد في قوة الحركة الوطنية انضمام اعلام رجال الدين ومؤازرتهم لها • ونشر بلاغ من الحكومة الانكليزية ، تعلن الانتداب على العراق^(٣)

اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية تحت الستار الديني واغتنام شهر رمضان^(٤) واقامة سلسلة حفلات لاستشارة روح الشعب • وقد كان الاقبال يزداد يوماً بعد يوم واخذ الوطنيون يحتالون في عقد هذه الاجتماعات تارة باقامة حفلات للمولد النبوي واخرى بتغيير مواعيد هذه الاحتفالات ومرة بنقلها من محلة الى محلة اخرى • وقد كانت هذه الاحتفالات الدينية تتطور الى تجمهر الشعب وخروجه ساخطاً على الادارة المحتلة • وأشهر المساجد التي اشتهرت في هذه الاحتفالات كان جامع الحيدرخانة • فقد كان الخطباء يتولون مهمة حث الشعب على الثورة بعد الصلاة او بعد قراءة المولد النبوي^(٥) متخذين من جهود الرسول (ص) وصبره على مبادئه وتقانيه في سبيل الاسلام رمزا ومن استشهاد الحسين وابائه وتضحيته نبراساً • يدفعون بها الشعب نحو الثورة •

Sir A. L. Haldane.

(٢) لاحظ ملحق رقم ٤ ص ٣٢٥ من كتاب

تجد احصائية مفصلة عنها •

(٣) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج ١ ص ٨٠

(٤) يلاحظ منشور القائد العام في تاريخ القضية العراقية ص ١٥٨

The Incurrection in Mesopotamia P. 36.

(٥) ويلاحظ تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦ وما بعدها •

فلما رأت سلطات الاحتلال خطر هذه الاجتماعات منعتها واخذت ترهب الناس بالرشاشات^(٦) ومن هذه الاحتفالات احتفال اقيم في الحيدرخانة وأنشد السيد عيسى عبدالقادر قصيدة دعا فيها صراحة الى الثورة شارحا ما حل بالبلاد من جور واستبداد منها :

أفيقوا واسمعوا الحق اليقينا	بني النهرين نسل الطيينا
فأصبحنا جميعا صاغرينا	تفرقنا طوائف واختلفنا
بغاة من طغاة جائرينا	واسلمنا باجمعنا لقوم
وذا شأن البغاة الظالمينا ^(٧)	فجاروا واستبدوا ما استطاعوا

ولست هذه القصيدة من عيون الشعر العربي وليست من خير ما نظم في هذه الفترة ولكن جو الاحتفال وطبيعة الفرد في الجموع المتحمسة واتقاد الروح الوطنية في هذه الفترة أظهر للقصيدة أثرا كبيرا •• ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة التي القيت فقد كان من خطباء هذا الاجتماع عبدالرحمن البناء وطالب مشتاق والشيخ مهدي البصير وعبدالرزاق الهاشمي ولكن كان اثرها اكبر من أثر غيرها من القصائد مما اضطر السلطات العسكرية الى اعتقال الشاعر وارساله الى البصرة •

فما كان من الوطنيين الا اغتنم هذه الفرصة فاحتجوا احتجاجا شديدا واغلقت المخازن ووقفت الاعمال واقامت مظاهرة كبيرة احتجاجا على هذا الاعتقال^(٨) جرت الى قتل أخرس دهس بسيارة فاحتفل به احتفالا رائعا وسماه

(٦) في غمرة النضال ص ٢٤٥

(٧) مخطوطة في مكتبتي بخط الشاعر •

(٨) اجتمع المتظاهرون في جامع الحيدرخانة وانتخبوا من يمثلهم لمفاوضة سلطات الاحتلال في الغاء الحكم العسكري وتأسيس دولة عربية • لاحظ اسماء المندوبين في (في غمرة النضال) ص ٤٧

الناس (شهيد الوطن) لاثارة الوعي القومي في النفوس (٩) .

وقد كان خطباء الثورة وشعراؤها يبذلون جهدهم في تحريض الناس باخلاص ووضوح محددين هدفهم وغايتهم التي كانت محاربة المستعمر وطرده من بلادهم ، وقد ظهرت هذه الرغبة في محاولتهم اقناع الشعب للمسير متضامنا معهم ، لان اقناع الشعب في امر من الامور والايعاء اليه سيدفعه بعنف وباخلاص وبلا شعور لذلك كان الشعر يطفح بالوضوح وكلمات الحماسة حتى يفهم الشعب سريعا ويسر وسهولة . فابتعد عن التقليد والتقييد وجانب الصناعة اللفظية وانتقاء العبارات . وركز على الكلمات المثيرة للمهيجة التي تمس الشعب الحساس وقد ظهرت روح العراقي الحزينة في شعره جلية فقد كانت الهموم تطفح من ثنايا شعر فقد قال عبدالرزاق الهاشمي :

وطني العزيز الى متى	متكبد كل اضطهاد
يا ايها الشعب الذي	اضطهدوك كم لك من ايادي
رتعوا بنعمتك التي	درت على حسب المراد (١٠)

وقد كانت الخطب والقصائد مسابقة وطنية سمت في روحها ومشاعرها وطفحت بنغمات وجدانية عاطفية عميقة لان الشاعر كان يحس بانه يكافح عن حقوق بلاده ويريد ان يهز جماهير السامعين وينقل اليهم مشاعره . وكان

(٩) يقول الاستاذ البصير انه قتل بطلقة في ١٥٠ من تاريخ القضية العراقية وكان من نتيجة ذلك ان ارسل حاكم بغداد العسكري والسياسي في طلب السيد ابوالقاسم والشيخ احمد الشيخ داود والشيخ احمد الظاهر وجعفر ابوالتمن ورفعة الجادرجي والشيخ سعيد النقشبندي وعبدالرحمن الحيدري وعبدالوهاب النائب وعلي البازركان والسيد عبدالكريم حيدر وفؤاد الدفترى والسيد محمد الصدر ويوسف السويدي وياسين الخضيرى ومحمد مهدي البصير .

راجع تاريخ القضية العراقية بشأن ترجمة كل واحد منهم ص ١٥٠ وما بعدها .

(١٠) الاخبار في سير الرجال : خالص حمادي ص ٧٠

الشاعر المجلي هو من يسيطر عليهم ، والقاء هذه القصائد تكسب الشاعر فخرا وعزا لسببين الاول المناسبة الوطنية والثاني ماتصفيه الجماهير على الشاعر من احترام يملأ النفس غبطة وسرورا . اما من الناحية الفنية فان هذا الشعر لن يكون خالدا اما يذهب بذهاب المناسبة التي قيلت فيه بيد انه يقوم بواجبه خير قيام فيغذي الثورة ويدفعها . ومع ذلك فان هناك بعض الطفحات الفنية يتلمسها الباحث بين خضم الشعر الهادر . وليس شعر الثورة في العراق وحده اختص بهذه الميزة فكل شعر امة يكون في مثل هذه المناسبة يكون من نصيبه مثل شعر هذه الفترة لان الثورة اندفاع وحماس وعاطفة متأججة ولا مجال للروية واعمال الفكر وتنميق الاساليب ولا يكون شعر الروية الا في أيام هدوء الامة وصفوها واستقرارها لان الفن وليد الاستقرار والهدوء والطمأنينة . اما شعر الثورة فهو الوقود لاذكاء الشعور بالالفاظ والموسيقى .

وقد كان يغذي هذا الشعر شعور عميق كامن في حنايا الصدور هو الشعور الديني يغطي طورا بالوطنية وآونة بالقومية ومرة يبرز مع بغض المستعمر . لان الشعور الديني الذي تربى عليه هؤلاء الشعراء كان يجري في احاسيسهم وقلوبهم فجري مع التيار القومي الجديد .. ثم ان الدين الاسلامي كان الرابطة التي تربط العرب بالعثمانيين الاتراك .. وليس من السهولة ان يتلخص المرء من عقيدته او من دينه وتثور في نفسه بين آونة واخرى ثورة على ما صنعه اذ كيف يهاجم اخوانه المسلمين .. هو بحاجة الى اقناع نفسه وتبرير عمله هذا ..

وقد كان من هؤلاء الشعراء المخلص المؤمن بعقيدته ، يحارب من يحارب المسلمين ولكنه حارب الدولة العثمانية في سبيل استقلاله وفي سبيل حريته وفي سبيل عروبتيه ، فجاء الانكليز وسيطروا على العراق وهم بعيدون عن الشعب بكل شيء .. فكيف يرضى الذل تحت سيطرة الحكم الانكليزي الذي يسومه سوء الهوان .. لذلك اتخذ الشاعر العربي المسلم الدين وسيلة ليرضي ضميره وقلبه .. والفكرة الدينية التي ركن اليها الشاعر تمنع حكم غير العربي المسلم الهاشمي وحكم الانكليز مخالف للمنطق الاسلامي والحق فقال ، فقال محمد حبيب العبيدي :

ما تركنا اخواننا الاتراك فخذلناهم ووازرنا كما
 شغفنا يا ابن لندن بهواكا بل لنيل استقلالنا بولاكا
 فلماذا تكون فينا وصيا

ويدلي بالحجة والاسباب التي تمنع الانكليز من ان يكونوا اوصياء على
 الشعب فقال :

لم تكن يا ابن لندن علويًا هاشميًا لا ولم تكن قرشيًا
 لا ولا مسلمًا ولا عرييًا من بني قوما ولا شرقيًا
 فلماذا تكون فينا وصيا

لذلك فالاستعمار الانكليزي استعمار جائر ، استعمار يجب أن يحارب ،
 لا تقره اصول البشرية ولا القواعد الاسلامية ، وبقاء الانكليز سيستمر الا اذا شن
 العرب الغارة وطردها المستعمر بالقوة وليست قواهم بتاركة هذه البلاد الا
 بالمبادرة الى العمل : لان سكوتنا سيخيب الآمال :

انما نحن في الحروب رجال وكما يوم الوغى ابطال
 يا لقومي فلتنج الاعمال يا بني العرب خابت الآمال^(١١)
 ان رضينا بالاجني وصيا

وقد نظم خلال الثورة شعراء آخرون^(١٢) وقد كانوا جميعا متفقين في
 الهدف هو المطالبة بانتهاء الحكم الاجنبي في العراق وانشاء حكم وطني اساسه

(١١) الاخبار في سير الرجال ص ١٣٤

(١٢) ان استقصاء اسماء الشعراء لا يمكن حصره من هؤلاء الشعراء الذين عثرنا
 لهم على نتاج محمد مهدي البصير ومحمد حبيب العبيدي وعبدالرزاق
 الهاشمي وعيسى عبدالقادر ومحمد الباقر الحلبي وملا عثمان الموصللي
 ومحمد حسن الحداد الكاظمي ومحمد عبدالحسين سرکشك وناجي
 القشطيني وعبدالرحمن البناء وحسن الجواهري ومحمد مهدي الجواهري
 ومصطفى جواد وعبدالكريم العلاف .

الاستقلال والحرية فمن هذه القصائد التي أقيمت في جامع الحيدرخانة قصيدة
عبد الكريم العلاف^(١٣) منها :

ألا خبروا عنا العداة باننا اناس على ذل الوصاية لا نرضى
وقولوا لهم وفوا العهود فخلفكم اسود عرين رايضون لكم ربضا
فنحن عرفناكم بكل سياسة وان كان بعض منكم يجهل البعض^(١٤)

وأشهر شعراء الثورة العراقية هو محمد مهدي البصير فقد جاء من الحلة
الى بغداد لانشاد الشعر واهاجة الناس وتحريضهم وبث روح الحماسة في نفوسهم
وقد كان البصير قويا غنيا متحمسا مكثرا فكان ذلك مدعاة نفيه الى (هنجام)
بعد ان سجن في العراق • ويمتاز شعر البصير بأسلوب جزل ومثانة في التعبير
ورصانة في الالفاظ وتبدو المسحة العباسية واضحة على شعره ومن قصائده قصيدة
طويلة يخاطب بها الوطن ويحرض أبناءه على الثورة ويقدم نفسه فداء له •
وتمنى هذا الفداء والموت في سبيله والا فلا حق له في أن يدفن في ثراه الطاهر
الزكي وثم يفصح نوايا الاستعمار والساسة الذين موهوا عليه فقال من قصيدة
ألقاها في جامع الاحمدية :

كذبتك أقطاب السياسة عهدا فلتضمّن لك الحياة ضباكا
أفطلبون لك الرعاية ضلة ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ويؤملون لك المعونة باللهي ما كان أفقرهم وما أغناكا
لو أنصفوك لحرروك لانهم ربحوا قضيتهم بظل لواكا

ومنها :

ما أولع الاحرار منك بترية يقدون منها بالرقاب رباكا^(١٥)

(١٣) أخبرني الاستاذ العلاف بأنه القى ثلاث قصائد في مناسبة الثورة •

(١٤) مخطوطة في مكتبتي نقلتها من ديوان الشاعر •

(١٥) لم يمكنني الدكتور البصير من ديوانه لذلك أعتمدت على المنشور من شعره
ولعل الظروف التي كانت قائمة عند ما كتبت هذا الكتاب ومنعت الاستفادة
من ديوان الشاعر قد زالت •

يصبو قتلهم بكل صفيحة أخذته حتى صار من قتلاكا^(١٦)

وله قصيدة تتجلى فيها الروح الابية التي كانت تسيطر على روح الشعب المتوئب فقد أراد هذا الشعب أن يتحرر بقوته وأن يأخذ حريته أخذ القادر العزيز ولا يريد لها منحة يعطيها له المستعمر فيكون المتفضل ، قال البصير :

ليحطم المستعمرون قيودهم فالجوا يسلمهم من الاعناق
واشق من اسرى على بان ارى يد اسرى يوما تحل وثاقي^(١٧)

وقد فاضت القصائد التي نظمت في هذه الفترة بالحث على الثورة وبالتغني بالامجاد العربية ، فقد أراد الشعراء أن يبعثوا في الشعب ثقته بنفسه وبكرامته فيرى نفسه نظيرا لهؤلاء المستعمرين قوة ومقدرة لذلك اتخذوا التاريخ الاسلامي معوانا لهم في دفع الجماهير نحو الثورة ، وطفحت القصائد بالحث على كره الاجنبي وكان هذا الكره نتيجة حتمية وصدى لواقع العراق الذي سامه الاستعمار الهوان وأذاق أبناء الدل • ان كره الانكليز أدى الى كره كل اجنبي ومقت كل غريب عن الشعب خوفا وحذرا ، مما يجره عليهم هذا الاجنبي الغريب ، ما جره الانكليز وحلفاء الانكليز عليهم فهذا القشطيني^(١٨) يسخر بحرارة من وعودهم التي حثوا بها فيقول :

قد غرك البرق اللامع فبات صدرك منشـرح
وفرحت من كل الوعود وخاب من فيها فرح
اين الحليف واين من يصفي اليك فقترح
قد خان عهدك هازئاً لما بتجرتـه ربح

(١٦) الادب العصري ج ٢ ص ٩٧ وله قصيدة نشرت في جريدة العراق العدد ١١١/٢١ في ١٨ حزيران ١٩٤١ وقد أقيمت الكافية في جامع الاحمدية راجع الوقائع الحقيقية ص ٩٧ و ٩٦ .

(١٧) الوقائع الحقيقية ص ٩٦ وله بعض قصائد ذكرها المؤلف

(١٨) القى القصيدة الاستاذ توفيق المختار في جامع الشيخ صندل في الكرخ .

ثم ظهرت الدعوة الصريحة لاخذ الحق بالقوة ، فقد فشلت الطرق السلمية في أخذ الحق من يد الظالم ، ومتى سلم الظالمون بالحقوق بسهولة ؟ وقد كان بالامس حليفا حارب معه العرب وتحملوا من أجله الموت فانقلب سيذا شرسا ظلما • فهناك مبررات كثيرة دفعت العربي الى حرب الحليف الذي لم يرع الذمام وهل هناك شرف وفخر يزاحم شرف الموت في سبيل الاوطان وفي سبيل الحياة الكريمة •

يا ايها العربي قم واقـدح زنـادك ينقـدح
وافتح طريقك بالطبي فغيرها لا ينصلح
وخذ الحقوق جميعها أو مت عزيزاً واسترح^(١٩)

وقد قال البناء ان انكلترا تدفعنا للحرب دفعا ولكن متى ما حاربناها فستكون الحرب سعيرا تلظى تحرقهم وسنحاربها لان الحرب خير طريق للحرية رغم ما في الحروب من مآسى وبلايا قال :

وان الجأتنا للحروب فاننا نحاربها حربا تضيق خناقها
وان كره الاغرار مرّ مذاقها^(٢٠)

(١٩) مخطوطة بخط الشاعر في مكتبتي وقد نشرت في مجلة الاخلاق العدد ١٦ السنة الاولى ١٩٢٨

(٢٠) مجلة الاخلاق العدد ١٦ السنة الاولى ٨ مايس ١٩٢٨

المقاومة العلنية

- ٣ -

ما كان العراقيون مستعدين للثورة فلم تكن الآراء قد تبلورت واستعدت لها من قبل وانما دفع العراق لها دفعا . فقد كانت آراء القادة والزعماء غير مستقرة ، فكان منهم الخائف الضعيف ، ومنهم المتروي المتزن ، الذي يخشى على العراق نتائج (فشل الثورة) ، ولم تكن للثورة خطة واضحة للسير في هداها ، ولم يكن هناك رأى عام موحد لنظام الحكم الذي يريدونه ، انما كانت آراء مضطربة واتجاهات ليست مدروسة ، فهذا يريد العراق تحت حماية بريطانيا^(١) وذلك يريدها حكومة ملكها برسى كوكس^(٢) وجماعة يريدونها ملكية وآخرون يفضلونها جمهورية ، ويثار الاختلاف فمن يكون الملك ومن يكون رئيسا للجمهورية ولا يصلون الى نتيجة يتفقون عليها .

ولكنهم كانوا متفقين على شيء واحد هو الحصول على الاستقلال وحكم العراق من قبل أبنائه أما موقف سلطات الاحتلال فقد كان الماطلة المستمرة دون النظر الى التصريحات التي كانت تنشر عن حق تقرير المصير^(٣) وكانت تعامل

(١) الوقائع الحقيقية ص ٦٤ و ٦٨

(٢) الوقائع الحقيقية ص ٦٩

(٣) تاريخ القضية العراقية ص ٧٨ والعراق من الاحتلال الى الاستقلال ص ٢٦ والحقائق الناصعة والطريف ان يتلى تصريح بريطانيا وفرنسا في احد اجتماع العراقيين بالحاكم العسكري . راجع ص ١٦٢ وما بعدها من تاريخ القضية العراقية .

العراقيين معاملة سيئة وتهين الشعب وتستفزه • فقد التجأ (ولسن) الى العنف وأخذ يمنع الحفلات التي تقام في المساجد • ولما اجتمع الشعب في الحيدر خانة ، شنت المجتمعين بالقوة^(٤) فقتل شخص ثم لاحق زعماء الحركة لالقاء القبض عليهم كما انه اعدم بعض الذين قاموا للحيلولة دون الوصول الى دار يوسف السويدي والقاء القبض عليه والقي القبض على آخرين^(٥) من بغداد وبعض أنحاء العراق فولد جوا رهيبا كان له رد فعل عنيف في النفوس فتهايت النفوس واستعدت لاشعال نار الثورة وفكرت في مقاومة المستعمر مقاومة عننية ولم تكن مدن العراق الاخرى بمنجاة من سياسة العنف فقد حدث في النجف وكربلاء والحلة والديوانية مازاد اضرام القلوب حقدا ورغبة في الثورة^(٦) • ولم تجد المراسلات التي جرت بين زعماء الدين والبريطانيين في تخفيف سياسة العنف^(٧) وجاءت قوى الشيخ الشيرازي محققة لأمانى البلاد اذ أفنى بأن (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم من ضمن متطلباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم^(٨) •

لم يكن مركز الثورة بغداد وانما كانت هناك عدة مراكز في أنحاء العراق وكان من جراء مطاردة المستعمر للاحرار أن انتشروا في العراق وكانوا الواسطة لتأليب الشعب على الثورة وكانت حالة البلاد العامة مدعاة الى اجتماع الزعماء

(٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٦

(٥) تاريخ القضية العراقية ص ١٨٥ وما بعدها وقد ذكرها البصير ترجمة

لحياة الشهيد عبدالمجيد كنه ص ١٨٧

(٦) وقد شنق الانكليز احد عشر شخصا في النجف ونفوا جماعة كبيرة من

احرار النجف وحكم على آخرين بالسجن (العراق في دوري الاحتلال

والانتداب) ٢٦-٣٨ ج ١ • توجد تفاصيل عن الحادث والاسماء

بالتفصيل ولاحظ ص ١٠٢ •

(٧) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٧٥ و٧٦

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٠٤

للتفكير في أنجع الطرق للتخلص من الحالة المؤلمة ، والمصير الذي آلت اليه البلاد ، فاجتمعوا في دار أحد الزعماء وانبرى السيد محمد الباقر الحلبي^(٩) وخطب فيهم خطبة ثم قصيدة حذرهم من الانكليز والركون الى وعودهم وضرب لهم أمثلة من أعمالهم التي قاموا بها في مصر والهند منها :

بنى العرب لا تأمنوا للعدى مكرا خذوا حذركم منهم فقد اخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة ويغفون ان حانت لكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا أضاليلهم في الهند والكذب في مصر

وحذرهم من وعود الانكليز المعسولة التي سرعان ما ينقضونها فقال :

ولا تقبلوا منهم بقول مموه فما عاقل يرجى بأعدائه خيرا

وحثهم على الثورة لأنها الحق الواضح الصريح فاذا لم يتصرفوا فيها . فسوف يتوجون بالفخر والعز ولن يلومهم لائم أو يتهممهم متهم بأنهم تقاعسوا وذلوا فقال :

ومن مات دون الحق والحق واضح اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذر^(١٠)

وما أن أتم الخطيب خطابه وشعره حتى قام الشيخ محمد العبطان وشل سيفه وقال : اننا قطعنا على أنفسنا عهدا اما الموت أو الاستقلال التام^(١١) كان هذا الاجتماع وغيره نتيجة محتومة لعدم تقبل سلطات الاستعمار الحلول السلمية وانما أرادت اظهار سطوتها معتقدة انها قادرة على القضاء على كل حركة يقوم بها العراق في سبيل استقلاله وقد فات القائمون أن حرية الشعوب لن يقوى على

(٩) الحقائق الناصعة ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ القضية العراقية ص ٩ وبشأن الاجتماع الذي عقد بدار الامام الشيرازي ص ١٤٢ وبشأن الاجتماع الذي عقد في دار حمدي بابان والاجتماع الذي عقد في دار رفعة الجادرچي ص ١٦٠ والاجتماع الذي عقد في بيت السيد يوسف السويدي ص ١٧٧ .

(١٠) مخطوطة في مكتبتي الخاصة .

(١١) الحقائق الناصعة ص ١٧٥ .

مقاومتها حائل والا لاتعظ العراقيون بقوة الانكليز وارتدوا خوفا مما صنعوه في النجف^(١٢) أو بغداد ولخاف العراقيون من بطشهم وجبروتهم • ان الحرية والاستقلال لن يقف أمامهما الموت فهي أقوى من الموت ولئن تأخر الشعب فقد كانت قلوبهم تغلي كالمراجل حقدا وغدت كل ثورة ضد الانكليز جهادا ومن العار على العربي أن يقعد •

ومن القصائد التي ألقيت في التحريض على الثورة قصيدة حسن الجواهري وفيها يقول :

من العار أن تبقى على الضيم مقعدا فلا العيش الا ان تكون ممجدا
مواطنك الغر التي بك شيدت تناجيك فاسعفها خلاصا من العدى
أراقت دماء من نفوس بريئة لتبني طريقاً للحياة ممهدا^(١٣)

ومع كل هذه المقدمات فلم تكن تخرج الفكرة الى حيز العمل فما فكر العراقيون في ثورة مسلحة اجماعية ضد الحكم البريطاني ، لانهم كانوا يأملون بعض الاصلاح ودللتنا تلك المفاوضات السلمية التي دارت بين العراقيين والسلطان العسكرية التي أظهر فيها العراقيون من طيبة القلب وحب السلم والمحافظة على النظام ما يبين المسنعمين بأنهم البادئون بالعدوان فقد وصموا الاحرار بأنهم مفسدون والابرياء بأنهم مجرمون^(١٤) ولا أدل على حب الشعب للسلام والرفق من ابيات الشعر العامي التي منها :

(ردنه الرفك وياه ما صح بيدنه)^(١٥)

(١٢) حوصرت النجف اربعين يوما بعد قتل حاكمها ولما فك الحصار شنق المستعمرون احد عشر رجلا ونفي مئة وسبعة رجال •

(١٣) رسالة مخطوطة من قبل الشاعر

(١٤) يلاحظ كتاب شيخ الشريعة الاصفهاني في (الحقائق الناصعة) ص ١٥٧

وما بعدها وفي تاريخ القضية العراقية ص ١٩٦

(١٥) اي أردنا منه الرفق ولكن لم نتمكن من الفوز به (العراق في دوري الاحتلال

والانتداب) ص ٥٣ الحاشية • لاحظ في الوقائع الحقيقية ص ١٣٩ • رأي

الاستاذ البازركان وص ٦٩ وفي تاريخ القضية العراقية رأي السيد محمد

صدرالدين •

أما السبب المباشر للثورة العراقية فهو سجن الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشائر القوالم وتعنيف الحاكم السياسي له وتوبيخه فجاءت جماعة من عشيرته وأخرجته عنوة من السجن وبعد ذلك حاصرت العشيرة الحامية البريطانية وقطعت طريق القطار^(١٦) وأخذت الثورة تنتشر بين القبائل • وقد ساهم بعض الضباط العراقيين في الثورة • وحدثت عدة معارك أشهرها معركة (الارنجية) انتصر العراقيون على الجيش المحتل فهز هذا الانتصار العواطف وحسب ثائرون انهم قادرون على اكساح المستعمر من البلاد فقد نظموا أنفسهم تنظيماً حديثاً وألّفوا المجالس الادارية لتسير امور ابلاد ووزعوا حكاما على بعض المناطق وقاموا بامور اخرى دلت على نضج قادة الثورة • واهم ميادين الثورة كانت منطقة الفرات فعندما اخرج الشيخ شعلان انتشرت الثورة في الجنوب كما انتشرت الدعوة الى الجهاد التي اذاعها رجال الدين^(١٧) وقد سجل محمد مهدي الجواهري اعمال الثورة في الفرات بقوله :

والفرات نهضة	مشهودة لا تجحد
هاجوا بها لا لعب	فيماتوا ولا دد
غطارف من الظبا	صرح لهم ممرد
وفية على المنى	أو المنايا احتشدوا

ويتطرق الى واقعة الرميثة (العوجة) التي تركت الثناء المخلد في صفحة التاريخ وقد ذكر الجواهري خسارة الانكليز ومنها خسارة قطارين مسلحين •• ارسلا للقضاء على الثورة فقال :

وللقطار وقعة	منها تفر الكبد
ما تركوا حتى الحديد	سلسلوا وقيدوا ^(١٨)

(١٦) تاريخ القضية العراقية ص ٢٠٠ وما بعدها •

(١٧) الحقائق الناصعة ص ١٩٢ وما بعدها

(١٨) ديوان الجواهري طبعة ١٩٢٨ ص ٩٧

وقد خسر البريطانيون بارجة كانت قادمة لمحاصرة الكوفة وبعد ان ألحقت
 اضرارا بالغة بالثوار وبالاهلين ضربها الثوار بمدفع غنموه من القوات الانكليزية
 في معركة الرارنجية فقال الجواهري يسجل هذا الحادث^(١٩) :

وان أنسَ لا أنسَ الفرات وموقفا	به مثلت ظلم النفوس الفطائع
غداة تجلى الموت في غير زيه	وليس كراء في التهيب سامع
بباخرة فيها الحديد معاقل	تقيها واشباح المنايا دوارع
تشير والحاظ البروق شواخص	اليها وامواج البحار توابع

ويصف جنحوها بعد أن ضربها الثأرون بقوله :

هنالك لو شاهدتها حين نكست	كما خر يهوى للعبادة راکع
هوت فهوى حس وظلم تمازجا	بها وانطوى مرأى مروع ورائع ^(٢٠)

والملاحظ ان مدينة بغداد كانت قد تزعمت حركة الثورة بادیء الامر
 وقادت الشعب نحوها وقد ارسلوا ضباطا لتدريب الافراد وحاولوا مساعدتها
 ماليا^(٢١) لكنها لم تشهر السلاح أو تقم بعمل حربي لانها كانت تحت السيطرة
 البريطانية المباشرة وقد قضت السلطات على كل من اشتغل في الثورة فقد نفت
 بعضهم واعدت آخرين^(٢٢) وقد انتشرت الثورة في بعض مناطق اخرى من
 العراق كالديلم وديالى . وبالرغم من ان هناك بعض معارك حربية جرت في غير
 الرميثة الا ان الحظ لم يساعدني في العثور على شعر غير قصيدة مصطفى جواد
 ويصف فيها جانباً من ثورة الخالص في لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنا في مواقف محرجات	ولاقينا مدافع وانفجارا
وذدنا عن حمى وطن مباح	ورمنا في معاركنا انتصارا

(١٩) الوقائع الحقيقية ص ١٥١ والحقائق الناصعة ص ٢٣٨

(٢٠) الديوان ص ٥٤

(٢١) الوقائع الحقيقية ص ٢١٨ والحقائق الناصعة الصفحات ٥٨٧ و٤٠٤ و٤٠٥

(٢٢) الحقائق الناصعة ص ١٣٦ - ١٣٧ وفي غمرة النضال ص ٢٥٩ وص ٢٦٠

والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩٤ و٩٥ ج ١ .

وفي القصيدة يصف الاعمال التي قامت بها سلطات الاحتلال فبعد ان استولت على الخالص أسروا جميع القادرين على حمل السلاح وكنفوهم وقتلوهم سرا • اربعة اربعة • ثم القوا بهم في الطرق والمخارج والمداخل ثم انتت جثثهم وليس لهم من يدفنها حتى تراجع الهاربون بعد العفو العام فدفنوهم فقال :

شباب اعرسوا بالموت مرددا وكان رصاص قاتلهم ثـارـا
وتابعهم كهول القوم زفا فوا حزنا لمن تركوا الديارا (٢٣)

والاستاذ مصطفى جواد كان شاهد عيان لهذه الحادثة ولم يقتل لانه كان صغيرا • وقد حدثني المرحوم والدي الكثير عن الضحايا في المعارك الارهابية التي اقترفها الاستعمار • وقد كانت لوعة النساء والرجال مستعرة لسنين طويلة لم يقم بعدها للمخالص قائمة فما تارت وما انتفضت بعدها •

وعلى هذه الفواجع يقف شاعر عراقي ساخرا منها ومن التأثيرين فيقول شامتا :

لقد تشتت عن خوف ومن ندم جيش حوالي دياالى كان محتشدا
ما كنت أرجو على علمي بنزعها ان يبدو الشر من ابنائها فبدا
احزم بناس رأوا في ارضهم فتأ فلم يكونوا لمن قاموا به عضدا (٢٤)

(٢٣) الشعور المنسجم ديوان الاستاذ مصطفى جواد المخطوط ويلاحظ بشأن

الثورة في دياالى ، تاريخ القضية العراقية ص ٢٣٤

(٢٤) ديوان الزهاوي ص ١١٠

أثر الثورة

- ٤ -

فشلت الثورة ، فلم يقدر العراقيون على مقاومة قوى الاستعمار الفتاكة ، وقد كان رد الفعل عنيفا في نفوس الذين تفاؤلوا كثيرا ، واثارت نتائج الثورة الالم والحسرة في القلوب . فقد ضربت بعض المدن والقرى بالطائرات ، وهاجر بعضهم ومعهم المواشي والاطفال فرارا من قصف المدفعية الثقيلة وخوفا من سطوة المستعمرين والتجأ بعضهم الى الكويت ، ناجين من الايذاء ، وقد تركت الهجرة بعض البقاع مهجورة قفرا فقال سعد صالح يصف هذه البقاع ولم تركها اصحابها :

سُمت العيش في وطن	يضام يذل يضطهد
محته يد القضاء فراح	لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع فلا	قديمات ولا جدد
رياض صوحت ومهـا	ذعرن ومجمع بدد ^(١)

وقد وقف محمد مهدي الجواهري متعجبا من ايذاء الانكليز للشعب وهم مسيحيون والدين المسيحي دين يأمر بالمحبة والسلام ، وهؤلاء المسيحيون يسفكون الدماء البريئة ويخالفون اوامر دينهم :

على أي عذر تحملون وقد نهت	قوانينكم عن فعلكم والشرائع
على رغم روح الطهر عيسى اذلتهم	براء دماء هونتها الفظائع

وقد وصف الجواهري الديار الخالية التي تركها اهلها فرارا فقال :

(١) سعد صالح ص ١٣٦ بغداد ١٩٤٩

وقد راعني حول الفرات منازل تخلين عن آلتها ومرابع
دوائر من بعد الانيس توحشت وكل مقام بعد أهليه ضائع

وقد كان الجواهري يطفح بالامل والبشر والايمان بالرغم من فشل الثورة
في اهدافها لانها برهنت للعالم على ان العربي الذي في قلبه هذا العزم والثبات
في سبيل حريته لن يموت ولن يقدر عليه اجنبي او يكبح امنيته في سبيل عروبه
فقال :

فان ذهبت طي الرياح جهودنا فعرضك يا ابناء يعرب ناصع
ثبت وحسب المرء فخراً ثباته (كما ثبتت في الراحتين الاصابع)^(٢)

وعلى عكس الجواهري كان سعد صالح قد آلمه خسارة الثورة وكان رد
الفعل عنيفا على نفسه فسيطرت على روحه ظلال التشاؤم والالم فقد كان يأمل
الفوز والنصر • ولم يتأخر الزهاوي عن رثاء القتلى ووصف ما حاق بالبيوت
من الالم ، وبأسر القتلى من أحزان بدماء الشباب التي أراقها المستعمر الغريب
فقال :

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفه ججاج
ولن اقيمت في البيوت على كرامتها المناوح
ولأية نذبت من الليل الحمامات الصوادح

ووصف ما حاق بالقوم في اثر شهداء الثورة الابرار فقال :

ولقد أصاب القوم ما أبكي العيون من الفوادح
اذ هاجموا يوم الوغى غلب المدافع بالصفائح

ورثا الشباب الحر بقوله :

لهفي على الغر الشبا ب مجندين على الصحاح
ولقد تغور جرحهم بين الترائب والجوانح^(٣)

(٢) ديوان الجواهري ص ٥٥ و ٥٦

(٣) ديوان الزهاوي ص ١٧٦ ونشرت في الادب الجديد لمحمد جمال الهاشمي

ان فشل الثورة ليس معناه موت امة وانما هو عود الى الكفاح والى النضال حتى تتحقق مطالبيها لذلك فالشعراء اخذوا يضمّدون جروح الالم ويمسّأون المستقبل بالابتسامة والامل ومادامت الامة تبسم للرجاء وتنظر الى المستقبل نظرة التفاؤل والنصر فسوف يكون لها ما تريد ولن يقف امامها مستعمر او يحول دون وعيها وادراكها وقوتها حائل فقد يتمكن المستعمر ان يؤخر عليها آمالها ولكنه هيهات له ان يحرمها منه • فقد قال الجواهري :

صبرا وما طاب لكم	مرعاكم والمورد
صبرا وما عودتموا	من قبل ان تضطهدوا
ان رفعت رواقها	الحرب فاتم عمدا
وأنتم اذا الوغى	اعوزها من يوقد
نيران حرب يصطلى	الادنى بها والابعد ^(٤)

اما اولئك الذين اخذوا يلومون القائمين بالثورة لانهم لم يكسبوا عاجلا او انهم خسروا آجلا ، فهم اناس قصيرو النظر لان الثورة سوف تبقى مؤجلة في النفوس وسوف يحمد للقائمين بها اعمالهم ولن يبخل التاريخ بتسجيل ما قدموه للشعب من تضحيات فقد قال ابو المحاسن في سجنه بعد الثورة :

ان يذم اليوم قوم غرسنا فلنا من بعد حمد المجتني^(٥)

ولم يقر المواطنون بالهزيمة المادية التي لحقتهم في المعركة وواصلوا العمل من اجل الثورة ومكافحة القوات المحتلة • فقال خيرى الهنداوي :

ويك لا ارتضي الحياة بذل	قم فمزق اهابها تمزيقا
وادر لي في الرافدين محيا الـ	حرب وكسر الابريق ^(٦)

(٤) الديوان ص ١٠١

(٥) الادب العصري ج ٢ ص ١٣٧ •

(٦) الادب العصري ج ١ ص ١٦٨ • وديوانه المخطوط عندي نسخة منه •

ان موتاً في الساعة اله
يا لقومي لقد دهتها الدواهي
زَلَمْتُ أَجْدَرُ بِهِ أَنْ يَرْوَقَا
وهي تأتي من نومها ان تفيقا

وقد واصل خيرى الهنداوي الدعوة للثورة بعد عودته من منفاه في هنجام
لأنه لم يؤمن بفشل الثورة فقال :

لست من هاشم اذا لم اقدما
شزباً توقد الوغى ايقادا

ومنها يقول :

قم فجنّد من عزمك الاجنادا
واركب العزم واقتعهه جوداً^(٧)

أما الذين لم يكونوا راغبين في الثورة فلم اجد غير شاعرين هما علي
الشرقي وجميل صدقي الزهاوي وقد كتبت للشيخ الشرقي رسالة اسأله فيها لم
لم يكن من الداعين الى الثورة العراقية وهي ثورة ضد المستعمر فأجاب (ان
الثورة مقدسة وأهدافها سامية وانا من خدامها والعاملين لها من يومي حتى
الساعة^(٨) وان الشعب العربي كان ولا يزال في اشد الحاجة لها .. واني والصفوة
من أصحابي كنا نريدها ثورة قومية شاملة ولا نريدها اقليمية اذ في الاقليمية
مضيعة للهدف وانتشار للقلادة ..) وبذلك يتكشف لي رأي جديد من وجود
جماعة ارادت الثورة العراقية ان تتأتى حتى يقيم العرب ثورة عامة ينضمون اليها
جميعا ولعلمهم نصحوا القائمين بالثورة بالتروي وعدم الاسراع ولما فشلت الثورة
ورأى الشرقي الخسارة التي لحقتهم قال :

يا ثورة أعقبتها
كم في سراي عتب
ندامة الثوار
لو تسامعون سراي
هذا اختياري ولكن
بالجبر أصل اختياري
تدارك الله شعباً
يهم بالانتحار^(٩)

(٧) ديوانه المخطوط

(٨) كانت الرسالة سنة ١٩٥٧

(٩) جريدة العراق العدد ١٨٥٣/٧/ الثالث من حزيران سنة ١٩٢٦

ولم يكن الشاعر قد حدد رأيه عندما نشر هذه الايات ولكنه عاد فحدده
عندما نشر ديوانه فكانت قصيدة عامرة قال فيها :

كنا نحاول أمـراً يفوق كل اعتبار
أمدافه تتغنى بوحدة الاقطار
نريد تشييد صرح من فوق تلك السوار^(١٠)

أما السيف الحاد الذي كان مسلطاً على الثورة فقد كان الزهاوى فقد
رأيناه يمتدح الثوار ويرثي الشهداء يرفعهم عالياً في شعره ولكن ما أن تطأ رجل
برسى كوكس أرض العراق حتى نسي كل شيء وإذا به يلقي كلمة مسهبة
يصور بها حال العراق بالرجل العليل الذي برح به السقام من الثورة التي
أصبحت فتناً واضطراباً ويرجو القادم المستعمر ان يسارع في ايجاد العلاج
اللازم لهذا المريض بان يخمد الثورة ويقطع دابر الفساد^(١١) ومع ان الثورة
لم تكن قد خمدت حتى ذلك اليوم فانه تجاهل شعور الرأي العام وتجاهه فقال:

عد للعراق وأصلح منه ما فسد واثبت به العدل وامنح اهله الرشد
الشعب فيك عليك اليوم معتمد فما يكون كما قد كان معتمدا

ثم هاجم زعماء الثورة ووصفهم بأنهم بغاة الشر أرادوا أن يفسدوا في
الارض ولن يخمد شرهم ويقضى عليهم غير الحاكم العام فقال :

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدو اثاره الشر فيه وهو ما قصد
أما وقد جئت مصحوباً بمقدرة فلا أبالي اقام الشر أم قعدا

تختلف نظرة الناس الى الاعمال وخاصة تلك التي لا يكتب لها النجاح
ولكن هنالك الاعمال الوطنية التي يؤمن بحقها الاحرار الذين يواصلون العمل
من أجلها فستبقى غايتهم ومطلبهم وقد احتضن قادة الرأي والشعراء فكرة
الاحتفال بذكرى الثورة كيلا يتسرب الوهن الى النفوس ولا يتخاذل الذكرى
سيلاً لمواصلة الكفاح .. وليست حياة الشعوب المغلوبة على أمرها الا كفاح

(١٠) ديوان الشرقي ص ١٧١

(١١) يلاحظ نص الخطاب في جريدة العراق العدد ١١٢/١/١٢ ات ١ سنة ١٩٢٠

وثورة ومتى هدأت واستكانت الى الهدوء والسكينة فقد غلبت على أمرها .. وقد تخلف عن ركب الثورة جماعة استفادوا فبعضهم فاز بمنصب وآخر فاز بمغنى ولكن كل هذه المغايم كانت بنظر الوطنيين مغايم محسوبة على سمعة الشخص * وقد رأى ابو المحاسن الخيانة التي كانت فائدة لبعض هؤلاء ففازوا بالتقرب من المستعمر وتركوا اخوانهم في المحن والآلام فليسمعهم بقوله :

من رجال نقضوا ميثاقهم وجزوا بالسوء فعل الحسن
اظهروا ما اضمروا من حقدهم وبدت بغضاؤهم بالالسن
ويوجز رأيه بالنتيجة التي آلت اليها الثورة بقوله :

ثورة أصبح من آثارها حظوة الخائن والمفتن
معشر في نعم قد أصبحوا من مساعي معشر في محن^(١٢)

وقد امتاز محمد صالح بحر العلوم - برأي طريف في شعره فهو لم يقل ان القبائل قد قامت بالثورة ولم يقل ان الشعب العراقي قد نار بل يتطرق الى القادة والزعماء انما خص الفلاحين وحدهم فهم الذين ضحوا بانفسهم واموالهم وبذلوا الغالي والرخيص ولكن لم يغنموا من وراء ذلك شيئاً وقد اتفق مع ابو المحاسن في ان نتائج الثورة ذهبت لغير القائمين بالثورة فقال بحر العلوم :

قف بالرميثة وانشد الفلاحا هل نال من ماضي الجهود فلاحا ؟
أدمت نواظره النوايب واصطلت احشاؤه تتناوب الانراحا
قد كبته يد الصروف واطلقت لذوى المطامع في البلاد سراحا
يتعمون بكده ووجوههم لولا عنايته لزال وراحا^(١٣)

ويتطرق في قصيدة اخرى الى حالة العراق العامة وعما أصابه من تأخر وانحطاط .. ودعا الجموع الى الثورة وبغير الثورة لن يزول الانتداب الذي ينفذ سياسته الخائون فقال :

(١٢) الادب العصري ج ٢ ص ١٣٧

(١٣) العواطف ٨٩

(١٤) العواطف ٩٩

سياسة شرعها الانتداب فقام في تنفيذها الخائنون^(١٤)

وبحر العلوم من المؤمنين ايمانا عميقا بالثورة والاملين في ثورة اخرى
تصلح امور العراق العامة وتقمع جشع الادنياء الذين يعشون بمقدرات الشعب
فقال :

ولم تزل أسيفنا باقية يقطر منها من نجيع الدماء
تريد منا وثبة ثانية تقمع فيها جشع الادنياء^(١٥)

وقد كان خيرى الهنداوى من اولئك المؤمنين بضرورة مواصلة الثورة لان
الثورة لم تحصل على اهدافها وانما بدأ الصراع بين الشعب وبين المستعمر القوي
الذى لا يحترم الا القوي التأثير فعلى الشعب المصابرة والثورة والكفاح والنضال
حتى يستكمل سيادته وحرية لان الحياة الحرة لا تكون الا للمناضلين فقال :

لا يستحق العيش قوم لا يريدون الجلا
فصناعة الموت الزؤام صناعة تمحو الفساد
وسوى الاسنة والمواضي البيض لا تشفى الفؤاد
اولى الانام بحرمة في الرأي أكثرهم جلا^(١٦)
وأخصهم بتجلة من كان أكثرهم جهاد

وقد كان الشعراء يعدون اذهان الناس الى ثورة اخرى كي يحرروا
انفسهم من الاستعمار فبالرغم من مرور مدة طويلة على الثورة فقد بقي
العراقيون يرسفون تحت اقدام الاستعمار تارة باسم الانتداب وطورا باسم
الوصاية او الحماية لذلك لم يبق المستعمر امام الشعب غير الثورة لاجراجه من
أرضه فان ما أسماه بالحقوق أو محاولة تخدير الشعب بأسماء مختلفة من
الحكومات ما كانت تخفى عليهم فقال الجواهري :

ان كان طال هذا الامد فبعد ذا اليوم غد
ما آن ان تجلوا القذى منها العيون الرمـد

(١٥) العواطف ص ١٠٠

(١٦) ديوان الهنداوي

اسياقكم مرهفة وعزمكم متقد
هبتوا كفتكم عبـرة اخبار من قد رقدوا
هبوا فغن عرينه كيف ينام الاسد

ويأمل نورة عربية لا يخذل اوراها حتى تحقق اهدافها فقال :

ونورة بل جمرة ليعرب لا تخمد
اججها آباؤهم والحر لا يستبعد^(١٧)

وان كان الشعب فقيرا لا يملك القوى التي تدود عنه ولا الجيوش التي
تناهض الخصم العنيد وتقاتل جنوده المدربة خير تدريب وبأسلحته الحديثة فقد
كان للشعب قلوب تنبض بالايمان ونفوس لا تقدر عليها الجيوش الجرارة ولا
الاسلحة الحديثة .

(١٧) ديوان الجواهري ص ٩٧ - سنة ١٩٢٨

كلمة اخيرة عن الثورة

وقف المؤرخون من الثورة موقفين متغايرين فقد رآها بعضهم مخيبة للآمال التي ناروا من اجلها^(١٨) ورآها آخرون ناجحة ادت رسالتها بانشاء حكومة وطنية ذات سيادة وانها انقذت العراق من أن يكون تابعا مستعمرا للهند .

وقد اختار المؤرخون مرة اخرى في النتائج التي وصلت اليها الثورة وفي الاسباب التي أدت الى فشلها . ولعل سبب هذه الحيرة وهذا الموقف هو حكمهم الذي جاء معتمدا على الظواهر العامة والنتائج الآنية التي احاطت بالثورة . وفاتهم الاحاطة التامة بامور العراق الاجتماعية والاقتصادية ، واثرها في النتائج السياسية واثر العوامل النفسية في اتجاهات كل ثورة .

فعزى فشل الثورة الى قوة الجيش المحتل وسيطرته التامة ، وضعف القوات العسكرية الثائرة وقلة عتادها وعدتها دون ذكر للعوامل النفسية العميقة الاثر ، فعندما احتل الانكليز العراق لم يكن العراق بلدا بدائيا ليست له مثله وتقاليده التي تربط المجتمع بالفرد انما العراق بلد شعت منه الحضارة والمدنية وتركزت آثارها واضحة في نفسية الفرد وشخصيته وتفكيره وتركزت حدودا غير بارزة او واضحة المعالم فيه ، لان الطبيعة العربية البدوية كانت تمد العراق دائما بآثارها ومثلها . ويمكننا لسهولة البحث ان نصنف هذا المجتمع الى فئات :

١ - الفئة الاولى وتضم رجال الدين وشيوخ العشائر وبعض ابناء الاسر القديمة

وبعض كبار الموظفين من العراقيين

٢ - والفئة الثانية وتضم المتعلمين واكثرهم من الموظفين والضباط

(١٨) الحقائق الناصعة الصفحات ٥٠٣ و ٥١٥ و ٤٧٣

٣ - الفلاحون وصغار الموظفين وسكان المدن بصورة عامة من غير الفتيين المذكورتين .

وكانت الفئة الاولى والثانية لها مكائنها الدينية والزمنية ، وسطوتنهما ، فشيوخ العشائر متضامنون مع عشائرتهم وتثور معهم العشائر وكثيرا ماتصفح الدولة عنهم لعدم قدرتها وسيطرتها . ورجال الدين مرهوبو الجانب للمكانة العلمية والدينية . وقد كانت الفئة الثانية قد أمنت العوز والفاقة بحكم الرواتب والوظائف . وقد كان الدين الاسلامي ومثل المجتمع العامة محترمة لايجرؤ فرد على الخروج عليها . ثم فتح الانكليز العراق فأضطربت هذه المثل وتخلخل المجتمع ، فأضطربت الحياة العامة ، فقد دخل الانكليز العراق بالقوة وكانوا يفرضون الاحتلال العسكري بقوة السلاح والارهاب ولم يتسامحوا مع احد مهما كبرت منزلته ان يقف في وجههم وان يحد من سلطانهم وسطوتهم . . . سواء كان هذا الفرد شيخ عشيرة او رجل دين او ابن اسرة عريقة . . . بل السلطة كانت تمنع باذلال الذين حاربوها . . . ولم يكن الشيوخ ينسون هدر كرامتهم التي تعتبر جزءا من كرامة العشيرة تصونها العشيرة وتذود عنها . . . فلم تكن مشيخة رئيس القبيلة اقطاعية بحتة وشيخ القبيلة يجب ان يكون من ابناءها ومن خيرة الابناء^(١٩) وقد رأى رجال الدين ما حاق بالبلد وقد استعمره الاجنبي البعيد عن الشعب في الدين واللغة ولايمت له بصلة قريبة او بعيدة فهاهم الامر . . . وقد فقد الموظفون العون الاقتصادي والمكانة التي كانوا يرفلون بها . . . ولكنهم صبروا وصابروا بعد ان بذل المحتل وحلفاؤه الوعود الخلافة في سبيل تحرير هذا الوطن . . . غير ان الامور لم تسو على الوضع الذي كان يأمله الوطنيون فكانت الثورة . . . فاندفع ابناء الشعب لتأييدها متأثرين اما بالفتاوى الدينية او بمناصرة شيخ القبيلة او مدفوعين بالخطب والقصائد ولكن سرعان ما ذهب الحماس . . .

(١٩) تطور الامر بعد ذلك لدى بعض رؤساء القبائل وتنافسوا في حيازة اكبر رقعة من الارض . . . وقد اراد بعضهم ان يجعل له حقا في الدستور . . . راجع مذكرات المجلس التأسيسي ص ٨٩٩-٩٠٨ والقوى المؤثرة في الدساتير - للدكتور طلعة الشيباني ص ٢٠ بغداد ١٩٥٤

وقد كان العامل الاقتصادي فعلا ، فالعراق كان يمر بازمة اقتصادية فقد تعطلت الصناعة والتجارة والزراعة ، مذ جند العثمانيون القادرين على حمل السلاح ما بين عشرين سنة حتى الأربعين فأفقرت القرى والمدن من الرجال^(٢٠) وقبلت البذل النقدي الذي دفع الناس للاقتراض بفائدة بلغت ٦٠٪ ثم صدرت العملة الورقية التي زادت التدهور سوءا .

وكان احتلال الانكليز سببا لانشغال الشعب بالامور السياسية عن التجارة والزراعة^(٢١) ولما عاد الضباط والموظفون من سوريا والحجاز وجدوا انفسهم بلا عون مالي يساعدهم فقد شغل الهنود والانكليز من الوظائف أحسنها وأكثرها^(٢٢) فانفقت مصالحهم مع مصالح الشعب وكونوا فئة ضد المحتل لاستعادة الضمان الاقتصادي وما تأخروا في مساندة الثورة . وبعودة العون المادي بعثرت بعض القوى وكان سببا في فشل الثورة انتبه اليه احد المشتركين في الثورة فقال (ولو ان جميع الساسة والمعينين بالقضايا العامة عندنا ارتفعوا قليلا عما هم عليه من انكباب على زخرف الحياة ومتاعها وخففوا قليلا من اغراضهم عن الالاحاح في المطالبة بحقوق البلاد لما رأينا الحالة السيئة التي تنحط الان ولاستطاعوا تكملة رسالة الثورة)^(٢٣) وتجلى هذا الخصام في سبيل المصالح بين الاحزاب بينما كانت الثورة مستعرة الاتون .. وافقد الخصام توحيد القيادة بين الضباط ورؤوساء

(٢٠) كثر عدد الهاربين من الخدمة حتى اصدر انور باشا امرا باعدام نصف الهاربين المقبوض عليهم وارسل النصف الآخر الى ساحة القتال .
(٢١) تاريخ مقدرات العراق السياسية لامين العمري ج ١ ص ١٤١ بغداد سنة ١٩٢٥ .

(٢٢) Bell, G. Review of The Civil Administration of Mesopotamia (London 1920) P. 122.

(٢٣) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨

القبائل^(٢٤) حتى بين شيوخ العشائر أنفسهم في الجبهات المتعددة. (فأهل المشخاب كانوا لا يعلمون أي شيء عن ثورة تلعفر وهكذا بالنسبة للمحمودية وقبائل زوبع^(٢٥)) وكانت بعثرة القوى - رغم وجود الاخلاص العميق - عاملا في فشل الثورة .. وقد كان العامل النفسي مؤثرا في الثورة .. فالعراقي عاطفي سريع التهيج يندفع وراء عواطفه تؤثر فيه الكلمة الطيبة والمثيرة فيتدفع معها وهو فردي يحب ان يسود ولا يقر بحكم فرد .. ولست من علماء النفس لاحتل هذا وانما اسرد ما عرفه بتجاربتي المحدودة .. ومن عرف هذه النفسية يمكنه ان يستلغها خير استقلال .. وقد قامت الثورة على عامل الحماس الذي اندفع بالفتاوى والخطب والشعر ولكن هذا الحماس لم يدم اذ لم تكن جذوره عميقة ، ولما استقر بعد ذلك واصل الشعب الكفاح في سبيل حريته واستقلاله .

انا من المؤمنين بان الثورة كانت ثورة في سبيل الحرية والاستقلال وبسطت فيها رأيي فان لم اوفق فقد فاتتني امور عسى يسجلها الباحثون خاصة والعراق لا يزال بكرا يجب ان يدرس اجتماعيا لتطوير مجتمعه وتقدمه ..

ان فشل الثورة كان سببا في خلاف دب بين العراقيين^(٢٦) فمنهم من بقى يتفاخر بها وهم من ذوي الايمان العميق ومنهم من نسيها وما حفل بها . والاختلاف في المثل العليا موجود في جميع المجتمعات ويبرز واضحا في فشل اية ثورة والانتصار عليها ، والويل للمغلوب من الغالب .. وتعدد الآراء

(٢٤) تاريخ القضية العراقية ص ١٤٥ ويراجع بشأن معالجة مشكلة (الافندية) الذين كانوا ضباطا وموظفين في الدولة العثمانية وسخطوا - كتاب هيلدن الصفحات ٢٤ و ٢٥ و ٢٦

(٢٥) الوقائع الحقيقية ص ٢٣٨

(٢٦) لاحظ حديث شعلان ابو الجون على سبيل المثال ص ٤١ في محاضرات عن العراق

في امر يعكس لك جوانب المجتمع نفسه فقد بدا التناقض واضحا وطفى على
الاسلوب والمعنى وغطى على اللفظ والكلمة .. لان الشعر عامة كان خطبا جزلا
لالهاف نيران الثورة فبذل الشاعر كل قدرته في هذا النظم العجлан ليهز المشاعر
ويثير الخواطر ضد المحتل الذي هيمن على مقدرات الوطن ويذكر الناس بالذل
والهوان^(٢٧) .. وبالرغم من ان كثرة شعر الثورة ذهب واندثر لكن رايحه
الذكية العطرة تدفعنا دائما نحو حرب المستعمر والثورة بوجه الظلم والظفبان

(٢٧) ذكر ذلك الدكتور البصير في مقدمة ديوانه البركان الذي طبع اثناء طبعه
لهذا الكتاب .

عرش العراق

- ٥ -

كان من نتائج الثورة التعجيل بالتفكير في انشاء دولة وطنية واستبعاد جعل العراق مستعمرا تابعا للهند . وبذلك اثبت الشعب بانه قادر على فرض رغبته على الانكليز رغم ما لديهم من عدة وعدد . . فالحسائر التي مني بها الاستعمار كان صداها يتردد في مجلس العموم البريطاني فثار على الحكومة ، ورددت ثورته الصحف وثار جدل عنيف حول موقف الانكليز في العراق حتى طالب بعض ساستهم الاسحاب من العراق كله ، وطالب بعضهم بالاحتفاظ بالبصرة ، اقتصادا في الارواح والنفقات . . وقد اضطر لويد جورج للتصريح في المجلس ان العراقيين يجب ان يحكموا انفسهم ويشكلوا حكومة عربية ، تقدم لها بريطانيا المساعدة في ادارة البلاد وحفظ الامن في ربوعها . وبذلك يرضي العراقيين ، ويرضي المجلس ويقتصد في النفقات ، ثم يرضي فريقا من الانكليز الذين يرون من مصلحة بريطانيا تحقيق بعض وعودها للعرب . وكانت اولى هذه الخطوات ارسال برقية تتضمن الدعوة الى انشاء دولة اوكل امر تنفيذها الى السر برسي كوكس ، وطلب اليه انشاء وزارة موقته برئاسة رئيس عربي وانتخاب مجلس يمثل السكان وقد شكلت الحكومة الموقته برئاسة السيد عبدالرحمن الكيلاني فواجه العراق مشكلة لم يمهدها من قبل في حياته السياسية ، فالوزارة عراقية المظهر ولكن مع كل وزير مستشار فكان الحكم مزدوجا شادا ، فبالرغم من ان كوكس هو الذي اختار اعضاء الوزارة وانه هو الرئيس الاعلى فقد وضع معهم المستشارين لادارة دفة الحكم وقد كانت الوزارة ممثلة تمثيلا طائفيا عشائريا ليسكن الاضطراب الذي

عم البلاد ويهدأ من حدة الثورة المشتعلة^(١)

وبينما كان العراقيون والانكليز يستعرضون اسماء من يولونه السلطة في العراق حدثت معركة ميسلون وسقطت المملكة العربية في الشام فكان اخراج فيصل سببا في ترجيحه على سواء وأيد هذا الترشيح مؤتمر القاهرة برئاسة ونستن جرجل^(٢) وبدأت الحكومة المؤقتة والانكليز في اعداد الجو لمرشح العرش فوصل الى بغداد في حزيران ١٩٢١^(٣) ورشحه المندوب السامي البريطاني في بلاغ اصدره وشرح فيه السياسة البريطانية في العراق ولم ينس البلاغ ان يقول ان العراق غير مستعد لحكم جمهوري لانه متأخر^(٤) فما كان من مجلس الوزراء الا الطاعة والمناداة به ملكا واشترط ان تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون^(٥).

توج فصل وكانت النفوس قلقة من وجود جيش الاحتلال ، وافكار الشعب مضطربة حيرى ، بعد ان فشلت الثورة ، فظن بالعهد سيكون جديدا وسيتمتع العراق بالاستقلال الكامل . وخيبة الامل التي سيطرت على النفوس وآثار المرارة

(١) العراق الحديث ص ٤٥ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٥٣ ويلاحظ كتاب آيرلند

Iraq, A Study In Politilcal Development P. P. 70, 17, 200,221.

(٢) العراق الحديث ص ٤٤-٤٦ ومقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر ص ٦١

Foster, H., The Making of Modern Iraq P. P. 94,227

(London 1936).

(٣) ظهرت فكرة الجمهورية ولكن الانكليز قتلوها . راجع حياة الشرق تأليف

لطفي جمعة ص ٢٨٢ ومجلة الغري ١٨/١٩ و٧/١٩٤٦ والادب العصري

ج ١ ص ١٧٠ وفي غمرة النضال . الصفحات ٩٦-١٤٣ و٢٦٣ والعراق

في دوري الاحتلال والانتداب ج ١ ص ٢٠٦ وايام فلبى في العراق الصفحات

٣٨ و٣٩ و٤٥

(٤) يراجع منشور مجلس الوزراء في مجلة الفلاح العدد ٢٦ و٢٧ اغسطس ١٩٢١

الظاهرة في حاضرهم المرير من معاملة سيئة الى هدم للمقرى وتشريد ابنائها وجمع الاسلحة والغرامات الباهضة وابعاد الزعماء وسجنهم^(٥) خيل لهم انهم سيجدون في قدومه سبيل للتعبير لطول فترة اليأس والقنوط التي رانت على النفوس فهي اشبه بالعريق الذي يتشبث باعواد القش ولذلك نجد بعضهم استرسل في احلامه وكأنه عاش في امانها فترة من الزمن . وقد نسي هؤلاء الشعراء قوة جيش الاحتلال البريطاني ومالها من تأثير على ادارة دفة العراق حتى ان الزهاوي نظم ديوانا كاملا سماه (هتاف الاخلاص) ولكنه سماه بعد ذلك (القصائد المطرودة)^(٦)

وكان يدفع الشعراء الى النظم حب الفخر والمباهاة التي هي طبيعة الفنان الذي يريد ان يظهر فنه وينشره بين الناس فيعجب به الناس وترتفع مكانته بينهم واشباعا للذة الابداع التي حرم منها شاعر القرن التاسع عشر ووجد ميدانا لابداء مايعانونه من وجود الاحتلال وتأخير بلادهم في مناحي حياتها السياسية والاقتصادية والعلمية^(٧)

ولعل ابرز ظاهرة هي الظاهرة العربية المسلمة واختفاء النزعة الاسلامية البحتة التي كانت تغطي شعر القرن التاسع عشر . والملاحظ ان الشعراء اسبغوا الحق الالهي للرئيس الاعلى للحاكم وانه مقدس ولا ينافس ، وان قوله هو الحق الالهي . . ولهذه النزعة جذورها في الشرق العربي فقد جاءت من اثر الحكم العثماني فأعطي هذا الحق السلطاني للحاكم الجديد . . ويجد الدارس لهذه الفترة اتكالية بعض الشعراء وخيالا واسعا في المطالبات ويفيض الشعر بنعوت وألفاظ

(٥) العراق الحديث . متى عقراوي ص ٤٣ بغداد ١٩٣٦ وكتاب هيلدن ٢٥٦ و٣١٤ و٢٣١

(٦) جريدة العراق العدد ١٦١٨ السنة السادسة

(٧) جريدة العراق ١٩٢١/٢/٢٢٩ والفلاح العدد ١٨ السنة الاولى والعدد العاشر الصادر ١٢ تموز ١٩٢١ .

كثيرة وضخمة^(٨) . ويمكن للباحث ان يجد في شعر هذه الفترة صورة الفوضى
وعدم الاستقرار وقوة الشعب المعنوية في سبيل حقوقه .

(٨) لسان العرب العددان ٧ و١٦/١/١٩٢١ وجريدة العراق ٢٣٣ و٢٣٥
١٩٢١/٢ والفلاح الاعداد ٧ و١٣ و١٨ و٢٦ و٢٧ السنة الاولى ١٩٢١
ولب الالباب ، محمد صالح السهروردي ص ١٤٠ ج١ بغداد ١٩٣٣

(٩) جريدة العراق العدد ٢٣٢٥/٨/١٩٢٧ ومجلة الفلاح العدد ١٩ سنة ١٩٢١
والعدد ٢٦ و٢٧ الصادر في اغسطس ١٩٢١ والعدد ٢٠/٤/١٩٢١

الفصل الرابع

Handwritten text, possibly a signature or title, in cursive script.

Printed text, likely a title or subtitle, in a small, formal font.

مشكلات العراق السياسية

بين ١٩٢٠ - ١٩٣٩

- ١ - حالة العراق العامة بعد الثورة
- ٢ - اثر الانتداب البريطاني
- ٣ - الشعر والمعاهدات والساسة
- ٤ - عبدالحسن السعدون

Journal of the

Exploration of the

Great West

by Captain James W. Wadsworth

and Lieutenant John C.

Wheeler

حالة العراق العامة بعد الثورة

- ١ -

بعد أن فشلت الثورة العراقية حربيا دخل العراق دورا جديدا من حياته السياسية . فقد استأنف العراقيون النضال السياسي من جديد ولم يفت في عضدهم خسارتهم في المعارك التي شنت ضد القوات المحتلة للحصول على الاستقلال والحرية . وقد امتاز هذا الدور بأنه كان دورا سلميا إذ حاول العراقيون الحصول على الاستقلال بالمفاوضات التي كانت تدور بينهم وبين الانكليز للتخلص من عبء الاحتلال البريطاني الذي لا يتفق وامانيهم القومية إذ ارادوا الحصول على ما حصل عليه اخوانهم في سوريا والحجاز فقد شكلت دولة عربية في الحجاز واخرى في سوريا ، ولم يكن العراقيون بأقل رغبة ولا كفاءة من اخوانهم في هذين القطرين ، ثم انهم ناضلوا سوية وضحوا كما ضحى اخوانهم فلم يستعمر العراق من الانكليز وحكم حكما مباشرا من قبل قواتهم العسكرية وضرب بعرض الحائط برغباتهم في حق تقرير مصيرهم ؟ كره العراقيون ان يكونوا تحت الانتداب البريطاني ، رغم الدعوة التي صاحبتهم من ان فترته ستكون مؤقتة حتى يقدر العراق على حكم نفسه بنفسه ، وليس الانتداب سوى تقديم النصح والارشاد للعراقيين حتى يتجاوزوا هذه المرحلة . لان العراقيين لم يكونوا واثقين من هذه الاقوال والانتداب بحد ذاته معناه الاستعمار ، وعدم تحديد فترة الانتداب ونقض عهود الحلفاء ثانية اضاع ثقة العراقيين بالانكليز وكان من جرائه ان يعتمد الشعب على نفسه في المقاومة ليتحرر . ولم تجد جميع المحاولات التي بذلها السربسي كوكس في اقناع العراقيين بقبول الانتداب حتى انه قال : ان الانتداب

والاستعمار عند العراقيين على حد سواء^(١) ، لانهم قارنوا بين حكم الانسراك وحكم الانكليز . فزادت كراهيتهم للحكم البريطاني .

كان الانكليز يريدون أن يرضوا العراقيين ولكنهم لا يريدون أن يدخلوا عن العراق فحاول المندوب السامي ابدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين الطرفين ليخدر العراقيين بانشاء حكومة وطنية مؤقتة ويبدو سوء نية الانكليز ومخادعتهم للعراقيين واضحا من الخطاب الذي ألقاه المندوب البريطاني في عصبة الامم مؤكدا بأن مبادئ الانتداب ستبقى مضمونة بالرغم من وجود هذه المعاهدة^(٢) .

ولما شكل السير برسي كوكس حكومة مؤقتة عهد اليها ادارة بعض شؤون الدولة ، وقد حدد المندوب السامي صلاحيات الوزارة التي تستمد سلطاتها منه مباشرة ووضع مع كل وزير مستشارا أوجب حضوره مع الوزير في مجلس الوزراء وأوجب موافقته على القرارات حتى تنفذ كما صنع مثل ذلك في الالوية والاقضية وأبقى بعض المناطق تحت سيطرة الحاكم البريطاني مباشرة وكان القصد الاول منها تسكين الثورة واسكات المدافع^(٣) لسيط النفوذ البريطاني بعد نهضة الاحوال العامة في العراق .

أصبحت الان وزارة في العراق وأصبح للعراقيين حكومة مؤقتة هذا هو ظاهر الحال ولكن الحقيقة غير هذا ، فان بريطانيا أرادت حل مشكلة العراق بتخدير العراقيين فعقدت بعد ذلك معاهدة بين السير برسي كوكس وبين الوزارة التي انتخبها كوكس نفسه لا تختلف في نصوصها عن صك الانتداب بشيء سوى

(١) تحرر العراق من الانتداب ص ١-٤ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب صيدا ١٩٣٥ ص ٢٠٠ والجزء الثاني ص ٥٣٥ من كتاب مس بل المطبوع في لندن سنة ١٩٢٧

(٢) تحرر العراق من الانتداب ص ٥

(٣) جريدة العراق ١١٢ بشأن استقبال برسي كوكس والعدد ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، المقالات الافتتاحية للتمهيد للحكومة المؤقتة ، و١٢١ ص ٢ وافتتاحية ١٢٢ ، ١٢٣ وما بعدها بشأن لجنة الانتخابات العراقية وغير ذلك من المقالات في نفس السنة عن الوضع العام ، والعدد ١٢٥ اسما الوزارة المؤقتة وتعتبر الجريدة خير سجل رسمي .

أن جعلت العراق حكومة مستقلة ومنتدبة في نفس الوقت لذلك لم يرض الوضع العراقيين لما تضمنته هذه المعاهدة من انتداب حقيقي واستقلال مزيف .

ومما زاد الطين بلة والالم في نفوس العراقيين تمديد أجل المعاهدة الى خمس وعشرين سنة بعد أن كانت أربع سنوات^(٤) .

ان العراقيين لم يكونوا راضين على أي حال من أحوال الانتداب ، فلم تفهم الأعياب الاستعمار مطلقا ، يتجلى ذكاؤهم عندما بايعوا فيصلا على شرط الحصول على الاستقلال التام ، وقد كان فيصل يؤكد ذلك الشرط في جميع خطبه على الناس قبل انتخابه وبعده^(٥) ، كما ان العراقيين كانوا يؤكدون على فيصل رعبتهم في الاستقلال التام في جميع ما ألقى من شعر ونثر ، ويؤيد ذلك زعماء القبائل الذين كانوا يلحون برفض الانتداب والمطالبة بالاستقلال التام^(٦) ، وقد تشكلت بعض الاحزاب السياسية مثل « الحزب الوطني العراقي » و « حزب النهضة العراقية »^(٧) فساعدت على بلورة الرأي العام ، وكانت تعقد بعض الاجتماعات السياسية التي توجه بها الرأي العام نحو الاستقلال وقد عقدت اجتماعا مشتركا أسفر عن ارسال احتجاج الى الملك فيصل ثم السير في مظاهرة سلمية تعبر عن سخطهم على الانتداب والمناداة بسقوطه وسقوط انكلترا^(٨)

(٤) يراجع مشكلة الموصل للتفصيل .

(٥) فيصل بن الحسين في خطبه واقواله ، أصدرته مديرية الدعاية سنة ١٩٤٥ يلاحظ ص ٢٣٢ وما بعدها من الخطب .

(٦) جريدة المفيد العدد ١١٤ والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٨ وما بعدها ج ٢

(٧) يراجع بشأن تأسيس الاحزاب « ذكرى فيصل » تأليف محمد عبدالحسين - بغداد سنة ١٩٣٣ ص ٤٥

(٨) العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩ وما بعدها ج ٢

ولكن محاولات الوطنيين باءت بالفشل^(٩) لكنها نجحت في عرقلة المعاهدة ووضع شرطين مهمين : الاول - الدخول مباشرة في مفاوضات تضمن اعادة النظر في المعاهدة لضمان المطالب الوطنية ، والثاني : صيانة حقوق العراق في ولاية الموصل اذا فشلت بريطانيا في الحاق الموصل بالعراق فتعتبر المعاهدة ملغاة^(١٠) . لم تكن المعاهدة لتختلف عن صك الانتداب بشيء فال المادة الرابعة حتمت على ملك العراق ان يستشير المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وان يستشير استشارة تامة في كل ما يؤدي الى سياسة مالية .

وقد حاول الوطنيون عرقلة تصديق المعاهدة بوسائل متنوعة منها مقاطعة الانتخابات ، وطالبوا بسحب المستشارين الانكليز من الالوية لان وجودهم يعرقل سير الانتخابات ويمنع الموظفين العرب من العمل بحرية تامة وطالبوا باعادة المنفيين خارج العراق ، فأثر ذلك في سير الانتخابات وعطله فاتخذت الحكومة طريق الشدة ونفت جماعة الى خارج العراق^(١١) فسارت الانتخابات حتى نهايتها . ثم جرت حفلة افتاح المجلس التأسيسي في ٢٧ / آذار / ١٩٢٤ ، ولما عرضت المعاهدة على بساط البحث قوبلت بمعارضة شديدة فاستعمل الملك فيصل نفوذه الشخصي واقام المآدب في البلاط لكي يقنع النواب بالتصديق وذكرهم بما حدث له في سوريا ثم اخرجهم قائلا لاتركوا فيصلا معلقا بين الارض والسماء ومع ذلك كله فلم يوافق المجلس على التصديق حتى هدد المندوب السامي

(٩) حاول الوطنيون عرقلة الانتخابات وطالبوا بسحب المستشارين من الالوية لانهم يتدخلون لصالح بريطانيا ، فما كان من الحكومة الا استعمال الشدة فنفت الشيخ الخالصي وولديه وغيرهم الى ايران وطلب فيصل من عبدالمحسن ابو طبيخ مغادرة العراق فسافر الى سوريا . مقدمة في دراسة العراق المعاصر ص ٧٢

(١٠) مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ص ٤٤٠ - ٤٤١ بغداد سنة ١٩٢٤ .

(١١) على اثر نفي الخالصي وخروج ابي طبيخ ، خرج بعض العلماء من العراق احتجاجا على فعل الحكومة كالسيد ابي الحسن ومحمد حسين النائيني زكي صالح ٧٠ ، والحسني ٣٠ ، ٣١ ج ٢ .

بأعلان الحكم المباشر على العراق اذا لم تصدق المعاهدة^(١٢) ولما انعقدت الجلسة الاخيرة تخلف النواب عن الحضور ولم يحضر من المثة سوى تسعة وستين نائباً وصادق عليها سبعة وثلاثون نائباً وبذلك ابرمت المعاهدة تحت الارهاب^(١٣) ولكن المجلس التأسيسي سجل على نفسه ثقل وطأة المعاهدة على الشعب^(١٤).

وبعد تصديق المعاهدة أصبح للعراق وجهان مختلفان فهو لايزال دولة متدبة بنظر عصبة الامم ولكنها مع بريطانيا دولة حليفة مستقلة محدودة صلاتها بانكلترا بمعاهدة تحالف^(١٥) وبعد المعاهدة العراقية - الانكليزية برزت مشكلة الحدود بين العراق وتركيا اقترح لاجلها ان يمدد أجل الانتداب الى خمس وعشرين سنة بناء على اقتراح لجنة الحدود^(١٦) فحفر ذلك العراقيين الى انتهاء أجل الانتداب فوضعت مادة جديدة لم يوافق عليها العراقيون سميت بمعاهدة ١٩٢٧^(١٧) ولكن هذا الرفض لم يقطع الصلة بين العراقيين والانكليز وانما أظهر للانكليز صعوبة السير في مثل هذه العلاقات ، فرفعت تقريراً الى عصبة الامم تشرح هذه المشكلة بكل جلاء وصراحة ، فقد جاء في التقرير « للعراق سياسة وطنية ومع هذا فهو تحت الانتداب .. وان الوزراء مسئولون امام البرلمان وفي عين الوقت تحت سيطرة المستشارين الانكليز^(١٨) .. ولم يكن امام الطرفين المتنازعين غير أمر واحد هو ادخال العراق في عصبة الامم لحسم النزاع اذ ان دخول العراق عصبة الامم سوف يجعله دولة مستقلة وبذلك سينتهي

(١٢) الحسني ٨١ ج ١ • (١٣) الحسني ٨٣ وزكي صالح ٧٢

(١٤) الحسني ١٣٨ ومذكرات المجلس التأسيسي •

(١٥) خدوري ص ٦

(١٦) League of Nations, Question of Frontier Between

Turkey & Iraq, C. 400. M. 147, 1925, PP. 88 - 89

• وخدوري الصفحة ٦

(١٧) الحسني ١٣٧-١٤٩ وزكي صالح ٧٥ •

(١٨) زكي صالح ٧٧ وخدوري ص ٧ والتقرير البريطاني ص ٢٧ •

الانتداب الذي كرهه العراقيون اسمه وحاربوه ولغوه^(١٩) ليرضوا الرأي العام ويسكتوا اصوات المعارضة المطالبة بالاستقلال^(٢٠) .

وقد تم دخول العراق الى عصبة الامم بعد عقد المعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة التي صودق عليها من قبل مجلس النواب في السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٣٠ . وبالمعاهدة الجديدة ودخول العراق عصبة الامم في الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢ ، اصبح العراق مستقلا وقادرا على ان يحكم نفسه بنفسه^(٢١)

بعد دخول العراق عصبة الامم اصبح له كيان عالمي معترف به رسميا وقد التفت العراقيون بصورة عامة يلتمسون الاصلاحات الداخلية وليس هناك حوادث لها أهمية كبرى اثرت في الشعور العراقي تأثيرا كبيرا غير الانقلابين العسكريين اللذين قام بهما الجيش العراقي فقد كان الاول في ٢٩/تشرين الاول/١٩٣٦ بقيادة بكر صدقي العسكري اذ ارغم وزارة الهاشمي على التخلي عن الحكم^(٢٢) . أما الحادث الثاني فهو انقلاب رشيد عالي الكيلاني وقد امتاز هذا الانقلاب بصبغة وطنية لانه كان ضد الانكليز فكسب عطف الوطنيين واثار في نفوسهم ما كمن من رغبة في تحقيق الاهداف الوطنية التامة واستغلال الفرصة بمناسبة الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ ولم يدم أمد هذا الانقلاب الا حوالي الشهر وعوقب القائمون به عقوبة صارمة^(٢٣) ثم لما هدأت الاحوال وعادت الامور تجري في مجاريها السابقة ، اصطلى العراق بنار الحرب العظمى الثانية .

(١٩) خدوري ص ٤ الحاشية .

(٢٠) كالجرائد والاحزاب والشعراء كما سنرى . ومن المقالات راجع لفهمي المدرس (مقالات) ج ١ بغداد ١٩٣١ في اكثر مقالاته .

(٢١) خدوري ص ٣٥

(٢٢) راجع زكي صالح ص ١٠٢ فقد جاء على ذكر مصادر مهمة في حاشية البحث

(٢٣) للتفصيل راجع زكي صالح ص ١١١ والقصة الرسمية لقيادة ايران والعراق ومذكرات تشرشل عن الحرب العامة

The Second World War Vol. III Ch XIV PP 224 - 237 (London 1950) See also "Paiforce", The Official Story of The Persia & Iraq Command 1941 - 1946, H. M. Stationery Office.

اثر الانتداب البريطاني

- ٢ -

بعد فشل الثورة العراقية وسيطرة بريطانيا على العراق سيطرة تكاد تكون تامة . كانت اول مشكلة واجهها العراقيون هي مشكلة الحكم البريطاني من احتلال وانتداب وماسمي بالاستقلال وما جاءت فترة عقد المعاهدات المختلفة الا لتبرير وجود الاستعمار البريطاني ، وتغيير مظهره لاسترضاء الشعب ، والحقيقة ان المعاهدات كانت تحويرا لصك الانتداب بذل العراقيون جهدا كبيرا في التخلص منها ونبد النير الاجنبي . بدأت اعمالهم بالاحتجاجات السلمية وكانت تتطور احيانا الى مظاهرة يطالبون فيها الغاء الانتداب وازالة السليطة الاجنبية عن العراق واسقاط كل وزارة توقع اية معاهدة لاتماشى ورغبات الامة^(١)

ولم يكن الشعر متخلقا عن المشاركة في العمل الوطني فقد كانت اهازيجه من اعذب الاغاني ، وارق الاناشيد ، تدعو للاستقلال والحرية اللذين حرم العراق منهما طويلا . وكان اثرها على العراق كبيرا اذ عمه الالم وشمله جو الحزن والكآبة ، وغدت احاسيس الشعراء الحانا تندب ايام العراق الذهبية الوارفة الظلال ، ورأى انها لن تتحقق بغير الكفاح والنضال والثورة والعمل المتصل . واستخلاص الحق السليب من بين مخالب المستعمر . اخذ الشعراء يهيمون اذهان

(١) ارسلت برقيتان الى الملك فيصل الاول موقعتان من كثير من ابناء الشعب وابرزهم السيد علوان الياسري والسيد محسن ابو طيخ والسيد قاطع العوادي والشيخ عبد الواحد سكر والشيخ شعلان ابو الجون (العراق في دورى الاحتلال والانتداب ص ٨ و ٩) عن جريدة المفيد

الشعب ويذكرونه بماضيه المجيد ليعيدوا له ثقته بالنفس ، وليعرفوه بمنزلته بين الأمم الواعية ، ويظهروا المستعمر على حقيقته وأنه لا يقل عظمة ومقدرة عن المستعمر . فهو ابن العرب الذين شادوا الإمبراطورية العادلة المتسامحة بمومن الشعراء الذين شاركوا في هذا النضال أبو المحاسن وقد كان وزيراً فاستقال بسبب المعاهدة^(٢) ومن شعره الذي يفخر فيه بالعرب قوله :

بقومي اسمو راقياً شرف العلال واسطو بهم يوم الوغى واصول
هم القوم اما عزهم فمشيد تليد واما مجدهم فاثيل

وليزيد الثقة في النفوس يعرج في القصيدة الى شمائل العرب الكريمة وسجايهم السمحاء فيقول :

شمائل كالروض الأريض تضرعت بطيب شذاه شمال وقبول
كرام يقبلون العثار وللردى بظل عواليهم ذرى ومقبل
لهم جبل راسي الجوانح راسخ وظل لمن يأوى اليه ظليل
فلا العهد منقوص ولا الوعد مخلف ولا الجار مخفور الذمام ذليل

ولرغبته في التأكيد على إعادة الثقة بالنفس فضل العرب على غيرهم من الأمم وقد برر هذا التفضيل بعلمهم واحسانهم وعدلهم وحضارتهم فقال :

يا ناطقاً بالضاد ما لفضيلة معنى يتم بغير حرف الضاد
أوليس عصر النور من آثارهم قبست لواضع نوره الوقاد
والعلم من ثمرات غرسهم الذي عم الوردى بفواضل وايداد
والعدل والاحسان من حسنتهم وهي التي جلّت عن التعبداد
وعلى مبادئ الحضارة اسست ايام ليست غيرهن ابادى

ولا يكتفي الشاعر بالماضى المجيد والحضارة العربية الشامخة وفضائلهم الكريمة^(٣) انما يلقي التبعة على الشعب العربي الذى يعيش ويقول صراحة ان

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ ج ٢

(٣) جريدة المفيد العدد ٢١٥ السنة الثانية ١٩٢٤

ارادة الشعب هي التي تغير فساد الاوضاع وليس هناك غير ارادته الحديدية
من مغير حينما قال :

سر أيها الشعب سيرا	الى العلا غير هائب
فسيف عزمك ماضٍ	ونهب حقك لاحب
ارادة الشعب أقوى	عزا وامنع جانب
ما غولب الشعب يوما	الا وذا الشعب غالب ^(٤)

ولم يتخلف معروف الرصافي عن هذا المضمار فقد ألقى قصيدة في إحدى
حفلات المدارس هز فيها مشاعر العراقيين وذكرهم بماضي العرب المجيد ، وما
قدموه للعالم من حضارة ، عندما كانوا متحدين اقوياء ، وطلب من ابنائهم ان
يقتفوا اثر الآباء الكرام لان الحياة الكريمة الشريفة لا ينالها غير المناضلين
المجاهدين الاباة ، اما الخاملون الذين لا يحفظون تراث الآباء ولا يسيرون في
الطريق التي ساروا فيه ، فاجدر بهم الموت والاهمال الدائم ، فقال يندد بهم لانهم
لم يحفظوا هذا التراث قائلا :

وقد عهدوا لنا بتراث ملك	أضعنا في رعايته العهدودا
وعاشوا سادة في كل أرض	وعشنا في مواطننا عبيدا ^(٥)

وشتان بين والد كان سيدا اينما حل ، وولد اضحى عبدا مستضعفا مسترقا

(٤) المفيد العدد ٤٧ السنة الاولى ١٩٢٢ وله قصيدة في العدد ٨٨ من السنة نفسها
وللشاعر مشاركة في جريدة المفيد يستفيد منها الباحث ليطلع على ادبه
ولاحظ العدد ١٧٤ من جريدة لسان العرب السنة الاولى ١٩٢٢ فقد
نشرت له قصيدة في افتتاحية الجريدة وهناك قصائد اخرى ، فله قصيدة
في العدد ٤٢ من السنة الاولى من جريدة المفيد يتحدث فيها عن الشعب
وعن الوحدة العربية وحوادث سوريا والعدد ٨٨ ولعبدالرحمن البناء
قصيدة في العدد ٩٠ من الجريدة نفسها وله قصيدة اخرى في العدد
٩٢٤/٢/٢٥٣ وقصيدة لمهدي صالح العدد ١٦٥/١/١٩٢٨ ولاحمد حقي
الحلي قصيدتان في جريدة النهضة العراقية .

(٥) جريدة العراق ٩٢١/١/٣١٢ ونشرت في الديوان ص ٣٤ ولاحظ ص ٦٣
من الديوان

في عقر داره ، يحكمه المستعمر ويذله ، فما سبب استرقاق العرب في اوطانهم ؟
 يشرح الشعراء هذه الفكرة ويعزي ضعف العراقي الى تخاذله ، والى قوة
 المستعمر . وقد سرت هذه الفكرة بين الادباء والصحافيين فهذه جريدة الزمان
 تكتب في مقال افتتاحي لها تحت عنوان (استضعفونا فاهرقوا دماءنا - بريطانيا
 مسؤولة عن هذا الضعف) ثم شرحت في المقال ما اصاب العراق من تأخر تحت
 نير الاستعمار البريطاني وقالت انها السبب الاول في هذا التأخر فلم تصنع شيئا
 في سبيل تقدمه ورفقه^(٦) واخذت الجرائد عامة تندد بالانتداب الذي وقف حائلا
 دون امانتي الشعب ولن تتطهر ارض العراق الا اذا بذل ابناؤها ارواحهم رخيصة
 في سبيلها وما الحياة سوى تنازع على البقاء ، فقد قال هبة الدين الشهرستاني :

ليس الحياة سوى مجال تنازع في العيش والاقوى هو المنصور^(٧)

وقد ساعد الشعر الوطني على بث روح الحماس في النفوس ودعا الى النضال
 والكفاح وعدم مهادنة المحتل ومسامحته ، لان التسامح معناه الرضا بالذل الذي
 حاق بالبلاد واورثها الاحزان والآلام ، ولن يدفع المستعمر عن حمى الوطن غير
 لم الشمل والقوة والثبات لان ضعف الشعب اغرى المحتل وقال العبيدي مؤيدا
 هذا الرأي :

أترى يبلغ المرام ضعيف ؟! انما يبلغ القوي المرام
 واتحاد القلوب افضل قوس حين ترمي ايدي الكماة السهاما

ويعجب للشعب كيف يحتمل الذل والهوان وهو المعروف بصلابته في سبيل
 حقه فقال :

- (٦) الزمان ١/٢٧/٩٢٨ لاحظ جريدة العاصمة العدد ١٠٨ السنة الاولى
 ١٩٢٣ المقال الافتتاحي (اعتماد الشعوب على نفسها) وغير ذلك من
 اعدادها و (المفيد) وكثيرا من الجرائد التي كانت تصدر في هذه الفترة
 (٧) جريدة العاصمة ١٩٩ في ٤ تموز ١٩٢٣ ولاحظ قصيدة حافظ جميل في
 جريدة الاستقلال العدد ١٦١/٣/٩٢٣ وقصيدة حمزة قفطان في مجلة
 اليقين ١٨/١/١٩٢٣ .

ما عهدنا العراق يحمل ذلا ويحايي ندلا ويحوى طفاما
ان ضعف النفوس اطمع فيه طالما الضعف اطمع الظلما
واذا لنت للثيم تولى واذا ما غمزته ما استقاما^(٨)

واذا اراد الشعب ان يتحرر فعليه ان يأخذ حريته بقوة ، لان المستعمر اذا ما اعطاك حريتك فسوف يمن بها عليك فعلى العراقيين ان يأخذوا الحرية اقتسارا من المستعمرين ، فقال البصير :

انا يا رفاقي لا أريد سلامتي فذكروني ان هلكت زفاقي
ان لم تعش نفسي العزيزة حرة فلاسعين بها الى الازهاق
لاجاهرن بما تجن ضمائري وليكثرن وسائل الارهاق
هب ان رحمة أسرى ستتكنني أولست احمل مئة الاطلاق
فاشوق من اسري علي بان ارى يد أسري يوما تحل وثاقي^(٩)

والى جانب الدعوة الى محاربة المستعمر ، كانت دعوات الى المهادنة والى التسامح مع المحتل ، فوقف محمد باقر الحلبي يرد على هؤلاء المهادنين ويسخر منهم في حفلة عودة بعض المنفيين السياسيين فقال :

قالوا لنا اعتدلوا في نهجكم افلا قالوا انصفوا وحقوق الشعب تغتصب
ما الاعتدال تجاه الاعتداء سوى جبن ، يحسنه للمقاتل الرهب^(١٠)

وبعد ان صادقت الحكومة على المعاهدة في ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ . تركت أمر ابرامها للمجلس التأسيسي فقد كانت تشعر بعظم المسؤولية ووطأة هذه المعاهدة على الشعب وقد أيد هذه الرغبة المعتمد السامي البريطاني فقد اراد

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩

(٩) جريدة شط العرب ١٤/١/١٩٢٤ وقد ورد البيت الاخير في (حقيقة الزهاوي) بغداد ١٩٤٧ ص ١٠٩

فاشوق من ويلات اسرى ان ارى يد أسري يوما تفك وثاقي

ولاحظ قصيدة عبدالقادر الزهاوي في جريدة الامل العدد ٢١/١/٩٢٣

وقصيدة الجواهري في الفلاح العدد ٢٣/٨ ايلول ٩٢١

(١٠) الفلاح العدد الاول ٥/٧ تموز ٩٢١ بمناسبة عودة السيد نورالسيدعلوان

اضفاء صبغة شرعية على المعاهدة وقد نصّ في المعاهدة على وجوب مصادقة المجلس التأسيسي عليها .

بدأت الجهود تبذل لتحويل دون تصديق هذه المعاهدة واول عمل قام به الوطنيون ، هو مقاطعة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، ولكن الحكومة حاربت الدين سعوا في مقاطعة الانتخابات لتقضي على حركة المقاومة ، لكنها لم تفلح، فقد انضم رجال الدين الى المقاطعة وافتوا بتحريم الانتخابات^(١١) حتى يحولوا دون انتخاب مجلس يلزمهم بمعاهدة حورت عن صك الانتداب ، ثم ان السلطات الاستعمارية لم تكن واضحة المقاصد ازاء العراق، ففي الوقت الذي تنادي فيه بالحرية والاستقلال ، والدعوة لتكوين حكومة وطنية دستورية ، تغلق الاحزاب وتعطل الصحف ، وتنفي ابناء الوطن لانهم يشتغلون من اجل حريتهم واستقلالهم^(١٢) تفعل كل ذلك دون اي ضمان او حتى ايضاح لاعمالها ، ولو ارادت ان تعطي الضمانات والوعود ، ففي تجارب العراقيين ما يمنعهم من تصديق هذه الوعود والضمانات ، لذلك تفرقت الانتخابات وتعثرت طويلا ، وقد شعر نفر من ابناء البلاد بان الانتخابات سوف تتم ، والانتخابات فرصة لادخال بعض العناصر المناوئة للاستعمار ، ووجودهم داخل المجلس التأسيسي يؤثر اكثر من وجودهم خارج المجلس لصفتهم الشرعية ، وتأثيرهم المباشر على المعاهدة لتعديل بنودها لصالح العراق ، الذي قد يضمن استقلال العراق ويؤدي الى تفاهم مع بريطانيا ، ويضمن مصالحها في الشرق الادنى ، وقد اطمع دخول بريطانيا مع العراق في معاهدة بعض الوطنيين فظنوه اصبح ندا لها ، فخدعت بريطانيا جماعة من الوطنيين الذين

(١١) اصدر رجال الدين فتوى بتحريم الانتخابات قالوا فيها (قد حكمنا بحرمة الانتخابات وان الداخل فيها محارب للمورسولة وللائمة الطاهرين-ص-٢٠٠) وقد زاد عليها الشيخ مهدي الخالصي (وان لا يدفن في مقابر المسلمين)٢٠٠ العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٢٨ ج ٢

(١٢) جريدة العاصمة مقال بتوقيع (ع . صميم) العدد ١٦٨ صدر في ٢٣ من ايار ١٩٢٣ ولاحظ اعمال المندوب السامي في (ذكرى فيصل الاول) لمحمد عبدالحسين ص ٥٤ (بغداد ١٩٣٣) والعراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ١٤ ج ٢

اعتبروا المعاهدة قدما محسوسا في العلاقات البريطانية^(١٣) وفاتهم ان العراق لايزال مستعمرا وتعتبره عصبة الامم تحت الانتداب البريطاني كما ظن بعض المتفائلين بالانتخابات ان رفض المعاهدة من مجلس عراقي بصورة رسمية سيزيد من القوى المعنوية للشعب داخل العراق وخارج العراق فيجب ان تدخل عناصر وطنية مهمة في المجلس التأسيسي لتقف في وجه المعاهدة لتحقيق بعض مصالح البلاد . فكان انقساما في الرأي اعطى القوة للمستعمر فحضر المعارضين وقاومهم بعنف ، واجرى الانتخابات تحت سيطرته وارادته . . لكن الحكومة فقدت ثقة الشعب منذ اول يوم من ايام الانتخابات . .

ولم تعد له هذه الثقة بأي انتخابات جرت بعد ذلك . فشلت الخطوة الاولى من مقاطعة الانتخابات غير ان الوطنيين لم يفشلوا من محاولة اخرى هي الوقوف امام المعاهدة حتى يتم تصديقها من قبل المجلس التأسيسي لاستبدال صك الانتداب بمعاهدة جرت البلاد الى الولايات والمصائب . قالت جريدة الاستقلال في مقال افتتاحي لها (اننا نريد ان يكون الميدان الذي ستدخلنا اياه المعاهدة ميدان سلم دائم . لاساحة عراك تعكر ود الدولتين المتعاهدين ، ميدان استقلال تام لاتشوبه شائبة الوصاية . وصرح حرية مطلقة لايقيدها غل الانتداب . وبكلمة واحدة اننا نريد ان يكون ذلك الميدان ميدان استقلال ناجز لاسوق نخاسين ، سوق تمضي فيه امة باسرها صك رقها وعبوديتها . .)^(١٤)

وكانت الجريدة واضحة كل الوضوح فقد عبرت عن اهداف الوطنيين ووضعت الخطوط العريضة لاهدافهم فقالت : هذا هو الميدان الذي نريد ان تدخلنا اياه المعاهدة وذلك ما تريده الامة باجمعها واننا نرجو ان يضعه المتعاقدون نصب اعينهم وان يتذكروا عند بحثهم في كل مادة من مواد المعاهدة . .)

(١٣) لاحظ جريدة العاصمة مقالين الافتتاحيين ١٦٨ و١٦٩ السنة الاولى ١٩٢٣
(١٤) جريدة الاستقلال العدد ٥٣ السنة ١٩٢٢ والعدد ٤٠٦ السنة الرابعة
لاحظ مقالين لياسين الهاشمي وامين الزهاوي وقد كان سلمان الشيخ داود من المؤيدين للمعاهدة لاحظ مقاله المنشور في جريدة العراق في الخامس في نيسان ١٩٢٤

كان المستعمر يبذل جهدا كبيرا في امرار المعاهدة وقد شن حملة لتأييد هذا التصديق بيد ان الشعب كان يقظا ، فان رجال الفكر كانوا للمستعمر بالمرصاد . فكانوا يعقدون الاجتماعات لبحث نصوص المعاهدة ، وايضاح الاضرار التي تعود على البلاد من جرائها ، وكان المجلس التأسيسي يتأثر بالرأي العام الخارجي الطامح بالحريّة والاستقلال ، وبالرغم مما بذله المستعمر من جهود تارة بالقسوة وطورا باللين لم يقدر على ان يغير وجهة نظر الشعب .

وكان من جراء هذا الوعي ان تجمهر الشعب حول بناية البرلمان واغلقت الحوائط حتى اضطرت السلطات الى اطلاق النار لفض هذه المظاهرة . . . ولئن قضت على المظاهرة وتفرق شمل الشعب فقد تركت وراءها اثرا كبيرا وفي نفوس ابناء الشعب عزما متوقدا . (١٥)

(١٥) يلاحظ في جريدة العراق ١٣٢٤/٤/١٩٢٤ بلاغ وزارة الداخلية وبيان رئيس المجلس التأسيسي وفي اعدادها لهذا الشهر ذكر لما حدث في العراق من جراء الانتخابات .

الشعر والمعاهدات والساسة

- ٣ -

جند الاستعمار الانكليزي كل قواه المادية والمعنوية وبذل مجهودا جبارا في سبيل تصديق المعاهدة الاولى ، والمعاهدات التي تلتها ، ليوهم الرأي العام العالمي بأن المعاهدة وقعت من هيئة منتخبة لها صفتها الشرعية ، ولكن الشعب كان يقظا وكانت طلائع النهضة الفكرية متوقدة ، تير لهم السبيل الى الحرية والاستقلال والامن والرخاء . وقد اتخذ الزعماء طرقا شتى ليحولوا دون وضع طوق المعاهدة في عنق الشعب ، وكان الشعراء أشد الناس احساسا ، واسرعهم تلبية للواجب المقدس ، فقد شعروا شعورا صادقا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ، وصار هذا الواجب جزءا من حياة الشاعر وتفكيره ، فكان يحذر التواب مرة من المصير المحتم الذي سيلاقونه متى غضب الشعب عليهم وسحب ثقته ورضاه منهم ، وتارة يسخر من المعاهدة التي تعطي العراق مظاهر الاستقلال الجوفاء ، وآونة يسخر من الوزراء والحكومة التي جاءت في اثر المعاهدة . والحق ان هذه الفترة كانت من اخصب فترات الشعر السياسي ، ومن الوسائل التي التجأ اليها الشعراء تهديد نائب المجلس التأسيسي متى صادق على قيود الاستعمار بغضب الشعب وعقابه وانه لن يرحم نوابا جرؤوا الى الذل والهوان ، ولن يرأف ساعة الحساب يمن اذلوه ، فقال عبدالرحمن البناء :

يا ايها النائب المنذوب عن امم	القت اليه مقاليد التدابير
احذر مناقشة الشعب الحساب غدا	من دون عذر واشفاق وتوفير

يوما به الشعب يدي الغيظ من اسف
ان الصدور براكين اذا انفجرت
هناك تفرع فيه سن مأسور
في الارض تنسف فيها كل معمور^(١)

وقد كانت حملات الوطنيين متواصلة ألهمت صدر الشعب عامة ، فسرت روح الحماس الى داخل المجلس التأسيسي ، بعد ان ظن الحاكمون بأن الاكثرية الساحقة من الاعضاء بجانبهم وفي جانب المعاهدة ، وفي المصادقة عليها يكسبون حقا شرعيا في البقاء على أرض العراق . واوهمهم بذلك تلك الجهود التي بذلت في التمهيد للانتخابات ودخول بعض العناصر الاقطاعية ورؤساء العشائر ، ومن الموالين لهم ، لكن الهاب الرأي العام من قبل قوى المعارضة الوطنية الشائرة فوت عليهم ما كانوا يعتقدون ، فقد اخذت ساعة التوقيع على المعاهدة تتأخر يوما بعد يوم . حتى عيل صبر المندوب السامي السر هنري دويس ولم تجد جميع المحاولات السلمية التي بذلت من وراء الستار فتىلا . فأخذ المندوب السامي يضغط بصراحة على المسؤولين ويأمر بوجود التصديق على المعاهدة ، وبلغت به الجرأة ان عين يوم ابرامها^(٢) والا فسيعلن الحكم المباشر في البلاد ، ولما اجلّ المجلس البت فيها الى يوم تال ، هاله الامر ، وذهب الى الملك فيصل وطلب دعوة المجلس ليلا ، لان التأجيل معناه رفض المعاهدة . وقد دعي المجلس ليلا فلم يحضر الاجتماع سوى ٦٨ نائبا من ١٠٠ نائب وقيل منتصف الليل تم التصديق على المعاهدة^(٣) فتحول الانتداب الى معاهدة .

وقد ظن الاستعمار بأنه سيخدع العراقيين بتحويله صك الانتداب الى معاهدة وسيرضي العراقيين بثوب الانتداب الجديد بيد ان الخيبة شملت حتى

(١) جريدة الاستقلال العدد ٤١٣/٤/١٩٢٤ . ولاحظ قصيدتي حمزة ققطان في العدد ٣٩٧ ومحمد خليل من العمارة في العدد ٤٠١ من السنة نفسها .

(٢) عين المندوب السامي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩٢٤ لابرام المعاهدة

(٣) وافق ٣٧ وخالف ٢٤ وامتنع عن التصويت ٨ وكان الغائبون ٣١
- مذكرات المجلس التأسيسي ص ٤٣٩ - ٤٣٥

الملك فيصل الذي سعى سعيًا متواصلًا في عقد المعاهدة فرأى بأن عينيه كيف ضاع استقلال العراق^(٤) . وناء الشعب بقيود المعاهدة وزاد الألم في النفوس ظهور مشكلة الموصل التي انتهت بضمها إلى العراق على شرط تمديد أجل المعاهدة إلى خمس وعشرين سنة^(٥) . وقد مددت المعاهدة فعلاً . فلم يكن أمام العراقيين غير استئناف النضال الجديد^(٦) .

اعطت المعاهدة الجديدة الحكم للعراق ليؤلف حكومة وطنية لها ملك ودستور وبرلمان . . اعطته كل مظاهر الحكم الديمقراطي ولكن كانت هذه المظاهر معطلة عن العمل الفعلي لأن السلطات البريطانية هي الحاكمة حسب نصوص المعاهدة الأخرى ، التي نصت على وجوب الاستشارة التامة وهذا تدخل صريح في سيادة العراق الوطنية الذي قوبل بالسخرية اللاذعة من قبل الشعراء . كان الشعراء ينظرون إلى الوضع العام العراقي والألم يهصر قلوبهم ونفوسهم فيظهر عليهم طابع الألم ظاهراً . ويبدو تارة بشكل سخرية لاذعة من الحكومة ووزرائها ونوابها ، وطورا يظهر مشوبا بالرثاء لهؤلاء الذين جعلوا من أنفسهم ممثلين على مسرح السياسة ، وأصبح المستشار الانكليزي فيها المخرج والمقن ، وآونة نجد الشاعر متألماً جادا يحاول معالجة الأمور برزانة وتعقل ويدفع الشعب إلى نبذ هذه المظاهر البراقة الكاذبة التي تعطي الاستعمار السيطرة الفعلية وقد كان الرصافي سباقاً إلى تسجيل مظاهر هذا النضال ورسم صورة خالدة للتاريخ في العراق فوقف ساخراً وقال :

- (٤) تحرر العراق من الانتداب - مجيد خدوري ص ٥ بغداد ١٩٣٥
(٥) لاحظ ما قيل من الشعر في جريدة الاستقلال الاعداد ٢٥ و ٢٩١ السنة الرابعة و ٥٧٦ و ٥٥٧ السنة الخامسة و ١٣١٠ السنة الثامنة . وقد كتب الدكتور فاضل حسين رسالة عن (مشكلة الموصل) طبعت في بغداد ١٩٥٥ تعتبر خير ما كتب عن المشكلة .
(٦) ما كانت بريطانيا تريد انهاء الانتداب عن العراق فكان من جراء ذلك الصدام الذي ادى الى رفض معاهدة ١٩٢٧ والتي وضعت بعد معاهدة ١٩٢٦ فانضمت بموجبها الموصل الى العراق .
لاحظ (مشكلة الموصل) الفصل السادس ١٧٦ و ٢٣٧

هذه حكومتنا وكل شموخها	كذب ، وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها	فجميع ما فيها بهارج زيف
وجهان فيها باطن متستر	للاجنبي وظاهر متكشف

ويعدد هذه المظاهر الخلافة الكاذبة التي حاول الاستعمار ان يخدع بها
العراقيين فقال :

علم ودستور ومجلس أمة	كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها	اما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه	وفقا لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلفه	في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق انه	لمراد غير النـاخين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلفها	بقيود اهل الاستشارة ترسف ^(٧)

والقصيدة من غرر الشعر السياسي واصدق مسجل للعهد الذي نظمت فيه . ولم يكتف الرصافي برسم صوره ، وتسجيل حوادثه انما كان يحس بالواجب الملقي على عاتقه في محاربة هذا الدخيل ، وهز حمية المواطنين ويصف الواقع عاريا امام الوزراء ليعرفوا موقفهم وعملهم في هذه الدولة . فهم دمسى يحركها المستعمر لاية وجهة يريدونها ، ليست لهم سيطرة على وزاراتهم ، يستمدون الصولة والسطوة كالآلات الصماء . لذلك خوفهم الرصافي من الاجنبي ومن المصير الاسود الحال الذي ينتظرهم عندما يشور الشعب عليهم فستكون ثورته عارمة ان تبقي للمستعمرين والمتحكمين بقية ، لان الشعب هو الحاكم الوحيد الذي له السلطان الفعلي على نفسه . وان استكان هذا الشعب فله يوم آخر يأخذ فيه استقلاله لانه شعب عربي شريف ابي لم يرض بالاستعمار والذل ولن يرضى بالمستعمرين واذنابهم ولن يتخلف عن سوح الشرف والجهاد فقال :

﴿ ٧ ﴾ ديوان الرصافي ص ٤٥٣

ان دام هذا في البلاد فانه
لا بد من يوم يطول عليكم
فهنا لكم لم يخن شيئا عنكم
واذا دعا داعي البلاد الى الوغى
أيذل قوم ناهضون وعندهم
كم من نواصر للعدا سنجزها

بدوامه لسبيونا مسترغف
فيه الحساب ، كما يطول الموقف
لسن تقول ، ولا عيون تذرف
أتظن أن هناك من يتخلف
شرف يعزز جانبيه المرهف
ولحي بايدي الثائرين ستقف

وتبدو سخرية العبيدي في المتناقضات الموجودة في نظام الحكم مع
بعضها . فالبلد مستعمر سيطرت عليه الفوضى يشن تحت الاستعمار ، متأخر ،
ولكنهم يدعون بأنه مستقل ذو سيادة يسوده النظام والحرية والاستقلال ، ولكن
هذا السيد الحر يقصر على عقد معاهدة لاستعباده . فقال :

نحن في معجم السياسة شعب
نحن في معجم السياسة شعب
نحن في معجم السياسة أحرار
فاذا الشعب كان غير رشيد

رب ملك وما ملكنا خطاما
ذو نظام وما رسينا نظاما
ر ، ولكنا قاصرين يتسامى
كيف يدعى لعقد عهد لزاما

وتبدو ثورة العبيدي واضحة عندما يرى القيود التي كبلت شعبه وأذلته ،
فما استطاع المقاومة المسلحة ، ثم تحولت هذه الثورة الى آلام تنخر في النفوس
وظهرت شعرا يطفح بالتهكم المرير على الحليفة التي تقيد حليفتها لتستديم صداقتها
وحلفها لدولة صغيرة ولشعب متوثب يريد الانطلاق والحرية .. أهذه هي
الصداقة بين ندين متحالفين ام انها سيطرة الذئب الشرس الذي يدس السم
بالعسل ؟!

خففي ايها الحليفة عنا ...
اقتلت كاهلا وادمت قلوبا
كلما فكر المراقبي فيها
طلبت عسجدا ودفت صديدا

من قيود أصبحن عارا وذاما
وأذلت من النفوس كراما
لعن الدار والحمى والمقاما
وأديفت سما وصبت مداما^(٨)

(٨) جريدة البلاد العدد الصادر في ١٣ كانون الاول ١٩٢٩

اضفت المشاكل السياسية على الجو الشعبي العام جواً من الحزن واليأس والكآبة ، وران على العراقي التشاؤم فطفح الادب بالالم والنقمة والثورة . فقد وجد العراقيون انفسهم تحت نظام من الحكم جديد . فقد كانوا خلال فترة الاحتلال والانتداب يحاربون الانكليز وجها لوجه ، اما اليوم فقد وجدوا الحكم الانكليزي قد تقنع بقناع عراقي . فحال بينهم وبين العدو الاصلي .

بقي الناس في حيرة وقلق واضطراب نفسي كان من جرائه الاضطراب في المثل وظهور طبقة النهازين الذين لا يردعهم رادع من وطن او خلق ، همهم الاستفادة على حساب الشعب وحساب المستعمر وحساب اخوانهم الذين تركوا في ساحة الشرف والنضال . ألم يكن قسم كبير من هؤلاء يناضلون مع المناضلين ولكنهم هادنوا المستعمر راضين بالمظاهر الكاذبة والوظائف الموهومة ، وبذلك وضعوا سلاحهم واثنوا عن الكفاح ؟ وباليتم وقفوا عند هذا الحد بل اصبحوا شوكة في قلوب المناضلين يردونهم عن الاستقلال ويدافعونهم عن الحرية ويضعفون معنوية الشعب . ففتوا في عضد القضية المشتركة التي مات من اجلها الشهداء ، ونفي الاحرار وسجن الابطال وشرد من شرد وشنق من شنق . . ان تغليب المصلحة الفردية على مصلحة المجموع كان خداعا وخيانة ورياء ، لم يكن يتوقعه المخلصون . ولئن رضيت هذه القلة بالمجد الزائل والجاه الكاذب الموقت ونسيت مصالح شعبها فان ابناء الوطن المخلصين اكثر من هؤلاء المنشقين المارقين . فقد واصلوا الكفاح لنيل قسط من الاستقلال والحرية ، واعتبروا هؤلاء المنشقين جزءاً من المستعمرين يجب ان يحاربوا مثلهم ويصب عليهم سوط العذاب فلئن غلبهم الانكليز على بعض اخوانهم بالقوة مرة ، وبالرشوة تارة ، وبالحنلة طورا ، وبضمان مصالح الاقطاعيين ورؤساء العشائر ، فان حقل الوطن واسع وميدان الجهاد حافل بالمخلصين . وكان من جراء خذل هؤلاء ازدياد الرغبة في استخلاص حقوق الشعب من الدخيل المستعمر .

وقد تجلى ذلك واضحا في الشعر العربي ، فوصف حال الشعب وصفا دقيقا صادقا بعيدا عن بهارج الكلام وزخرف القول وتجلت الصورة بعيدة عن

روح التعقيد اللفظي ، ومحاكاة القصائد القديمة ، اذ لم يجد الشعراء في نفوسهم مجالاً حيواً يتجلبوب واحاسيسهم الجديدة التي تحيط بهم وتهدهم في كرامتهم وعزتهم .. فكان الالم عميقاً حاراً والشعور دافقاً فياضاً .. بعد ان وجد الشاعر نفسه جزءاً من المجموع تواجهه نفس المشاكل التي تواجه الشعب بأجمعه ، قرأى في نفسه الشعب والشعب في نفسه ، فأخذ يصرخ متحدياً قوى الانتداب واذنابه من بني جلده مطالباً بالاصلاح نائراً على تدهور الحال محتجاً على ما وصلت اليه بلاده ، ومتى اتفقت مصالح الشاعر مع مصالح الشعب ومتى شعر الشاعر بشعور الشعب وعكس مصالحه فقد سار في طريقه الذي يريده الشعب وفاز بالمجد والشهرة والتعجيد والخلود . لذلك لم يكن الشعراء يريدون ابراز صورة فنية من صور الاحتلال وموالاته اخوانهم للاستعمار لتعجب الناقد فستحسن جمال الخيال فيها ، ورقة الاسلوب ، وعذوبة البيان ، ورصانة العبارة ، انما كانوا يخلولون ابراز مشكلات الوطن السياسية والاجتماعية ، بأسلوب سهل . ليرسل الشاعر اشعاعاً من روحه ، وصرخة من قلبه ليوقظ الشعب الذي لا يزال يعيش في الديجور . ففاضت قصائد العصر بالحماس ، واضطربت بالثورة ، تصب في قوالب رائعة ، واهم الكلمات التي ظهرت في الشعر هي : الاستشارة ، المستشار ، الانتداب ، الدخيل ، الغربي ، الحرية ، الاستقلال التام ، الكفاح ، النضال ، السيادة ، الاجنبي ، كرسي الوزارة ، النواب ، المجلس وغير ذلك من الكلمات التي جاءت مع تشكيل الحكم في العراق .

وهناك ظاهرة جديدة بالتسجيل هي بروز عدد كبير من الشعراء في حقل النضال السياسي في هذه الفترة . وهذه الظاهرة تدل على رهاقة الشعور العربي في العراق وأعجاب العراقيين بالشعر اكثر من اعجابهم بالثر . وقد هممت حملات هؤلاء الشعراء لما انتهت هذه الفترة . فاذا تصفحنا جرائد هذه الفترة نراها طافحة بالشعر القومي السياسي^(٩) وان اختلف الشعراء في التعبير بالنسبة

(٩) لاحظ من جرائد هذه الفترة ومجلاتها : النجف ، المنبر العام ، العراق ، الاخلاق ، الزمان ، النهضة العراقية ، بغداد ، الحيرة ، النور ، بطائح العراق ، البلاد ، صدى الاستقلال ، الطرائف المصورة ، الجهاد ، نداء الشعب ، المستقبل ، وصدى الوطن .

لثقافة الشاعر ومدى استيعابه للتجربة الشعرية ، والظاهرة الثانية هي طغيان
المسألة على كل شيء في حياة الشعب ، فقد اعطيت للحياة السياسية الاهمية الاولى
فوق قضايا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية .

وظاهرة ثالثة جديرة بالتسجيل ان الحكومة الانكليزية قد منحت من الحرية
ما امكن بها للعراقيين ان يعبروا عن رغباتهم تعبيرا صادقا لم نعهده وبالإلصاف
الشديد في ادوار الحكومات العراقية المتتابعة بعد معاهدة ١٩٣٠ ، وقد كانت هذه
الحرية في ظل الاحتلال والانتداب اوسع مجالا من الحرية في ظل الحكم الذي
شارك فيه العراقيون الاجنبي الا اذا استثنين فترات صغيرة تسلم فيها الحكم جماعة من
ابناء الشعب وازادوه ان يعبر عن رغباته ، ولكن سرعان ما تكبت حرية الشعب
ويساق الاحرار الى السجون بانهات هو بري منها . واروني شخصا كتب في
جريدة عشر معشار ما كتب في فترة الاحتلال في حاكم من حكام العراق ولم يؤذ
في رزقه وجسمه وابناؤه وذويه . لذلك كانت تضحيات الابداء كثيرة ، ضحوا
في سعادتهم وراحتهم وارواحهم في سبيل مثلهم العليا بكل اطمئنان دون ان يمنوا
على الشعب ومن هؤلاء كان شاعرنا معروف عبدالغني الرصافي الذي قال سالخرا :

تجوز سيادة الهندي فينا	وأما ابن البلاد فلا يسود
اذن فالهند أشرف من بلادي	وأشرف من بني قومي الهنود
فكم عند الحكومة من رجال	تراهم سادة وهم عبيد
كلاب للاجانب هم ولكن	على ابناء جلدتهم أسود
وليس الانكليز بمنقذيننا	وان كتبت لنا منهم عهد (١٠)

انه القول الفصل بان الاستعمار لن يخرج من بلادنا ، وان كتب المهود
اذا لم يطرده ابناء الشعب لانه متمتع بالخيرات رافل بالنعيم ، وتارك ابناء البلاد
في جوع ، وعري ، وفقر ، الا اولئك الذين اخذوا من انفسهم دمي يحركها
كما يشاء . قال محمود الملاح :

(١٠) ديوان الرصافي ٤٥٢

بلاد غريب الدار فيها منع
وتحكم فيها الهند والهند اعبد
ولكن على اهل البلاد مقابر
فلو لظمت منا الجياه حرائر
وماثيل من طين تقام خديعة
ومن لم يصح للطين فهو مكابر^(١١)

الاستشارة والوزارة :

كانت احدى بلايا البلاد في هذه الفترة ، الحكم الاجنبي ، الذي البس وجها وطنيا . فالمظاهر تدل على وجود حكم وطني ولكن الواقع ان الاجنبي هو الذي كان يحرك دفة الامور بواسطة المستشارين الذين دسهم في ارجاء هذا الحكم . لذلك لم يكن للوزراء او النواب او جميع المواطنين من رأي انما هم آلات في الدولة . يحركها المستشارون فحيل دون الشعب وبين المستعمر بستر وزارة عراقية لا تقدر ان تنفع البلاد مادام المستشارون لا يريدون ذلك . فوجه الشعراء اهتمامهم الى هؤلاء المستشارين ، وسخروا من الوزراء الذين تصرف لهم امور البلاد ويحل قضاياهم الاجنبي . كانت سخرية الشعراء لازعة وتهكمهم مريرا موجعا يطفح بالنقمة على هؤلاء الذين اصبحوا مطايا للمستعمر ويمسج بالسخط على السياسة البريطانية التي تعبت بمقدرات البلد وتزيد في تعقيد الامور فجعلت البلد عبدا تسخره كيفما تريد باسم هؤلاء الوزراء الذين صدقوا انهم الحاكمون فقال محمد باقر الشيباني :

ما يزيد المشكلات تعقدا
قالوا استقلت في البلاد حكومة
ان ليس ثمة من يحل ويعقد
فضحكت ان قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربها
وحكومة فيها المشاور يعبد
الحكم حكمهم بغير منازع
والامر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذي شرب الطلى
فعلام يا هذا الوزير تعريد

وقد آلم وضع الوزراء واستخذاؤهم للسلطات الانكليزية معروف الرصافي والذين سكرورا راضين باسم الوزارة دون ان يقدموا لهذا البلد خيرا حتى خجلت كراسيهم من هذا الاستخذاء والغرور فقال يؤنبهم :

(١١) جريدة النهضة العراقية ٢٩٧/٢/٩٢٩

بالله يا وزراءنا ما بالكُم
وكان واحدكم لفرط غروره
افتقنوا من الحكومة باسمها
هذي كراسي الوزارة تحتكم
انتم عليها والاجاب فوقكم
أبعد فخرا للوزير جلوسه
ان نحن جادلناكم لم تصفوا
نمل نمل بجانيه القرف
ويفونكم في الامر ان تصرفوا
كادت لفرط حياتها تقصف
كل بسلطته عليكم مشرف
فرحا على الكرسي وهو مكثف^(١٢)

وزخر شعر الرصافي في هذه الفترة بتأييب النواب والوزراء وجميع الذين
تولوا السلطات العامة . وتأنيبه مشاب بالتهكم المرير الموجه فيصف الوزير كذيل
حماره ليس له من سلطان ولا حول وانما هو صنم تشيع فيه الذلة والصفار
فيقول :

ووزير ملحق كالذيل في عجز الحمارة
ذنب أصبح للحكم به أقبح شارة

ويذكر سبب تهكمه عليه لانه لا عمل له الا ان يقبض راتبه في نهاية الشهر .

فوزير القوم لا يعمل من غير اشارته
وهو لا يملك امرا غير كرسي الوزارة
ياخذ الراتب إما بلغ الشهر سراره^(١٣)

وقال الرصافي صراحة ان الوزراء جماعة من ابناء الشعب آثروا مصالح
الاجنبي على مصالح ابناء الوطن ولا يستوزر الانكليز العراقي المخلص لانه سوف
يعمل لصالح وطنه وبلده لذلك فان الوزراء مخلصون للمصالح البريطانية
فقال :

(١٢) ديوان الرصافي ص ٤٥٤

(١٣) ديوان الرصافي ص ٤٥٦ ، والسرار الظلام الذي لا يظهر فيه القمر ويكون
القمر في المحاق ، كناية عن نهاية الشهر لاحظ الديوان ص ٤٢٩ قصيدته
بنسابة قدوم كراين سنة ١٩٢٩

من الوزارة - لا ابالك - عندنا
لا يرتديه سوى امرئ اضحى له
نوب يفصل في معامل لنسندا
طبعاً ، وداد الانكليز ، وديدا (١٤)

ووقف محمود الملاح موقف الناصح الواعظ مبينا اثر المستشار في تعقيد
أمر الشعب ، ويعزو قوة المستشار الى تخاذل أبناء الشعب باحزابهم ، ولو انهم
وحدوا صفوفهم لطردها المستعمر شر طردة . لكن النفع الذاتي وحسب الكراسي
اغريا بعض أبناء البلد فضحى في سبيلها بكل مصالح الشعب فقال :

الاستشارة قيد بين ارجلنا	وكيف يمشي الفتى في حال قيد
كم أمة دونها في الشرق قد نجحت	ونحن معها بحال غير مودود
المستشار الذي تجلى به عقد	لأمن يجيء لمحلول بمعقود
وما التخاذل في الاحزاب غير يد	يدسها طامع يسعى لتبديد
فوجدوا خطوكم يا قوم واعتقدوا	ان النجاح محال دون توحيد
ان الكبير كبير النفس من صغرت	في عينه خشب قامت بتسفيد
لا ترغبوا في كراسي في نعمتها	ففي النعومة شوك غير مخضود
تلك المقاعد كم غرت أخا ثقة	كما تفر ثايا الخرد القيد
ان الكراسي انصاب مهندمة	فيها تضحي بلاد باسم مبود (١٥)

وكثيرون الذين خانوا بلادهم في سبيل مطامعهم الفردية ، وجشعهم فاصبحوا
دمى يجر كمها الاجنبي وهو يسخر منهم فقد تهالكوا على رضاه فارتموا تحت اقدامه
معتبرين انفسهم جزءا من هذا الاجنبي الذي دخل بلادهم ولا تربطه بهم رابطة اللغة
او الدين او العقيدة او التاريخ او الجنس غير الاستعمار واستغلال خيرات البلاد .
فهم خدم لهذا المستعمر لا يخلعون من خدمته ويتفاحرون بانهم من محاسبيه فقال

(١٤) ديوان الرصافي ص ٤٩٦ والطريف ان يلجأ الرصافي الى المثل العراقي
المستهجن (الصيت للنورة والعمل للزرنين) فيطبقه على المستشار وعلى الوزير
فيقول بتهكم لاذع :

الا ابلغوا عني الوزير مقالة	له بينها لو كان يخجل توبيخ
اراك بحمام الوزارة نورة	واما جناب المستشار فزرنين

(١٥) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٠ السنة الثانية ١٩٢٩

علي الخطيب ساخرا متهمكما وسخر معه الشعب والتاريخ والامم الواعية المستقلة :

وللحليفة أعوان تؤازرهم منا علينا وقد اضحوا لهم خدما
لا ينكسون من النكراء هامتهم فلا يرون بها بأسا ولا عملا

ومن اذل نفسه في سبيل مطامعه وغدا مطية للاجنبي يرى خيره في خيره
ضمنا لمصلحته الفردية زاعما ان ذلك في سبيل الشعب ، وما هو الا دمية تؤدي ما
يطلب اليها دون تفكير تنعم بالمظاهر من مال زائل وألقاب كاذبة :

والقابضون زمام الامر اشغلهم عنا المطامع حتى جاوزوا النهما
مستسلمون ضعاف في مراكزهم ماقدما قدما او اخروا قدما
دمى تحركها ايد مخبأة فتضحك الشعب والتاريخ والامم
ليهلك الشعب مادامت مناصبهم مضمونة تقذف الالقاب والنعماء^(١٥)

وقد انفرد محمد مهدي البصير برأي بالنسبة للاكثرية الساحقة من الشعراء
فهو لم يلق التبعة على الانكليز وحدهم او المستشارين من الانكليز انما القاها على
كاهل الوزارة العراقية . فمن المفروض ان يكون الوزير مالكا زمام امور وزارته
متصرفا بشؤونها قادرا على الهيمنة التامة وبذلك لن يكون للمستشار قيمة في الوزارة
ولن يتدخل في اموره ، والرأي خيالي لا يمكن ان ينطبق على وزارة هذا العهد ،
لامور منها ان الذين جاؤا الوزارة هم من ذوي المصالح المشتركة مع الانكليز او
انهم بحاجة الى العون الاقتصادي او من الضعاف الذين خبرهم الانكليز وسببروا
انفسهم ، اذ ليس من المعقول ان يأتي الانكليز بوزير قوي معارض لسياستهم ،
ولكن البصير اراد ان يدفع الوزراء الى العمل ويخلق فيهم القوة والعزة والكرامة
للمصاولة . فاذا اتفق هؤلاء الوزراء - وهذا خيال شاعر - فقد يأخذون الحكم
بايديهم وسيعم الاصلاح العراق ، والبصير اخذ يرد على الذين يعترضون عليه
بان المستشار سوف يضطرهم بقوته على الرضوخ الى اوامره ونواهيهم ولكن لم
يجد برهانا واجدا على وقوف الوزراء امام رغبات المستشار والحد من رغباته .
والحقيقة ان المثل العامة قد تفسخت ، فلو اجمع ابناء البلد على مقاطعة الوظائف

وصمدوا امام التهديد والسجون والموت لما تمكن الانكليز من تطبيق خططهم الاستعمارية في استقلال العراق . ان اكثر العراقيين مسؤولون امام التاريخ في تشجيع المستعمر في التدخل في امور بلادهم وهم احرى باللوم واجدر بالتقريع ، لانهم لم يستأنفوا نضالهم وضعفت معنوياتهم ، مع نفع زائل ونعيم حائل فقد قال البصير من قصيدة القاها في يوم افتتاح الحزب الوطني ببغداد :

ما رسمنا للاستشارة حدا فلها العذر أن تجوز الحدودا
شغلت مركز القيادة منا اذ رضخنا لها فكنا جنودا
اتقولون انها اكرهتنا فعملنا ما لانراه سديدا
شكر الله سعيكم - خيروني كم بذلتم في كبجها مجهودا^(١٦)

وقد عكست الجرائد العراقية الحيرة والوجوم اللذين هيمنا على ربوع العراق من الوضع الشاذ في هذه الدولة الجديدة المستقلة وذات السيادة والتي لها برلمان ولكن لا يمكن لابنائها ان يديروا دفة الامور فيها . مع ان الوزراء مسؤولون امام البرلمان . فهم لا يصدرن امرا الا بموافقة المستشارين وقد قالت جريدة الزمان بصراحة ان البلاد مستعمرة وجاءت بالدليل بقولها (.. يقولون ان البلاد مستقلة وان شؤونها انما تديرها حكومة وطنية .. والله يعلم ان البلاد مستعمرة لا مستقلة ، وكيف لا تكون كذلك وهذه جنود الانكليز فيها وهذي طياراتهم مجلقة في سماء العراق صباح مساء .. وكيف تكون مستقلة ، وكلمة الانكليز هي العليا في الصغيرة والكبيرة ..) وتنفذ الجريدة المزايم الانكليزية بقولها (.. ومن الخطأ في الرأي ان نستمر على التقرير بانفسنا فنزعم محالفة الانكليز لنا انما هي مستندة الى الاخلاص المتبادل ، فالمعروف الذي لا يمكن تجاهله ان القوي اذا حالف ضعيفا فهو انما يسعى الى مغنم يلبسه ثوب الحق وينفسي عنه تهمة الغصب والاعتداء ، وبغير ذلك لا يمكن تعليل هذه ... ولو بحثنا الحالات المتعددة التي سلمت فيها الوزارة العراقية .. لوجدنا ان اساس التسليم للانكليز في هذه البلاد انما يتركز على الافراط في الحذر لئلا يصطدم هذا

(١٦) جريدة العراق العدد ٢٥٧١ السنة التاسعة ١٩٢٨ . وقد اعيد نشرها في الطرائف المصورة العدد الرابع الصادر في الحادي عشر من شهر ايار

سنة ١٩٣٠

الاستقلال المفلوج بسيطرة الانكليز (١٧) .

وهاجم محمد صالح بحر العلوم كل وزير وكل نائب واعتبره جاسوسا
يخدم الاجنبي وما الراتب الا اجرة عمله هذا فقال :

تجسس البعض منكم بخبرة ومهارة
ونال منا اجورا عن جهده بجدارة
ففي النيابة اجر وآخر في الوزارة (١٨)

والطريف ان يجعل المستشار ابا لهؤلاء وامهم (المس بل) ويحدثنا عن
نتيجة الذين لا يتفقون معهم في الرأي فهي اما السجن ، او النفي او الشنق وبذلك
يظهر لنا عصبية الاجانب العمياء ضد ابناء الوطن الذين لا يوالونهم ولا يرضون
بحكمهم البغيض . . وقد جعل اول العقوبات للوطنيين السجن والنفي والاعتقال
اما اولئك الذين يصرون على موقفهم الوطني فهو الموت :

وحكم من يتوقى طرق الحماية خلق
نفي وحجز وسجن وان أصر فشنق

النواب :

غرّت مظاهر الحكم العامة بعض الشعراء لذلك اختلفوا باديء الامر
في معاملة نواب المجلس فحسبهم بعض الشعراء بانهم قادرون على انتشال البلاد
من التأخر ، والسير بها نحو معارج الرقي والتقدم ، ولهم من السلطة ما يقومون
بها اعوجاج امورها ، ويتفقون اودها . لان المجالس النيابية في الدولة المستقلة هي
عمادها وركنها الاشد ، وساعدها الذي تعتمد عليه وقت الشدائد والملمات ، وهي
ذات القول الفصل في القضايا العامة ، في شؤون الدولة . ومتى اتفقت كلمة
النواب في أمر من الامور فما على الدولة الا الانصياع كرها او رضا لرغبتهم ، غير ان
نواب العراق ، وبالاخص ، لم يكونوا يمثلون الشعب العراقي ، فقد اخذوا
يتصلون من التبعة العظمى الملقاة على عواتقهم ، لانهم لم يشعروا بان الشعب قد

(١٧) لاحظ المقال الافتتاحي لجريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(١٨) من مخطوطة بقلم الشاعر في مكتبتني

جاء بهم الى المجلس ، ولم يحسبوا له حسابا في مناقشة الامور ، انما همهم كان منصبا على ارضاء الوزارة التي جاءت بهم الى المجلس . فلم ينودوا عن مصالح الوطن في احلك الظروف ، وكان اول دليل على ذلك موقفهم من معاهدة ١٩٢٢ فقد كان عدد الموافقين ٣٧ نائبا من مجموع مئة نائب ، ولم توات الشجاعة بعضهم ليحضر الى المجلس ويعارض ويرفض المعاهدة ، وليدخل في نضال جديد ، ولو كان النواب مستندين على القوى الشعبية ما جنوا وتولاهم الذعر ، فهم بين نارين ، نار الوزارة التي ادخلتهم البرلمان ، وهي تضمن لهم مصالحهم الخاصة ، ونار القوى الشعبية التي ثارت على المعاهدة ، فاذا وافقوا على المعاهدة فسوف يغضب الشعب ويلصق بهم تهمة الخيانة . ولو رفضت المعاهدة لتغير مجرى السياسة في العراق وتغيرت اساليب حكم الشعب العراقي .

ومن الشعراء الذين املوا الخير من النواب وتفاءلوا من وجود المجلس النيابي فاضل الصيدلي وحسين كمال الدين وعبدالرحمن البناء وقد كان تفاؤلهم ذلك بعيدا عن الواقع وممزوجا بالشك فقد رسموا الطرق التي يجب ان تبذل في سبيل الشعب في ذلك صروح الجهل ، واصلاح الاخلاق الفاسدة المتردية ، والاخذ بيد العامل والفلاح نحو الخير والصلاح فقد خاطب حسين كمال الدين النواب في موشحة له :

أنوابنا هل لكم نهضة ؟ تقومون فيها باصلاحنا
فقد كاد يهلك عمالنا واودى الطغواء بفلاحنا
اذا مات فلاحنا جائعا فلا فخر ان ننجو بارواحنا (١٩)

ورحب فاضل الصيدلي بهم وهاجم سوء الظن الذي يحيق بهم لانهم مقام الخائف الراجي ، والعائد اللاجي ، والمسجير الناجي ، فقال :

(١٩) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٧٢ السنة الثانية ١٩٢٨ ولاحظ قصيدة اخرى بتوقيع (شاعر نجفي) في العدد ٢٦٦ من الجريدة نفسها ويبدو لي انها للشاعر نفسه فهي من نفس الروي

لاصح سوء الظن فيكم او وهمي عزم ولا زلت بكم أقبلهم
ابدوا سرائر عزمكم ورجاؤنا ان تكذب الاضغاث والاحلام^(٢٠)

وقال عبدالرحمن البناء ان الشعب يفدى روحه من اجل النواب لانهم مالکوا
رمام الامر في العراق ، وسوف يتحدون في سبيل مصالح الشعب ويقضون على
اعداء الشعب فقال :

يا من ملکتم زمام السيف والقلم رقبوا العراق بنشر العلم والعلم
ما اختارکم شعبکم الا لنصرته فأيدوا رأيه حفظا الى الذم
كونوا يدا في مجال الذب واحدة تقضي على كل أفاك ومتقمم
الشعب بالنفس فداکم وقد تمکم الى العلا فأحذروا من زلة القدم^(٢١)

ولما تجلى للعيان اعمال هؤلاء النواب خلال التجارب القاسية التي مر بها
العراق ، ظهرت خيبة الرجاء وظهر كذب الظنون فاذا بالنواب قاعمون بالراتب
وبالمنصب دون العناية بمصلحة الشعب فقال خيرى الهنداوي :

اين العدالة ايها النواب كذب الرجاء وسدت الابواب
قصدتكم الامال وهي ضوامي فاذا الذي قد غرهن شراب
كنا نظن بكم ننال حقوقنا فقطعت فيكم بنا الاسباب
ألهاکم قبض الرواتب يا ترى ام افنتکم هذه الالقاب؟!^(٢٢)

والواقع المرير ان جل النواب لم يكونوا راغبين في معارضة الحكومة ولم
تكن لهم الجرأة والشجاعة على الثورة على أي قانون تسنه ، اذ لم تكن هناك احزاب
قوية لها من المنعة ومن القوة ما تسند نوابها فقد مر العراق في دور كانت فيه
احزاب ، ولكنها لم تغفل بين افراد الشعب ولم تكتسب يوما من الايام شعبية .

(٢٠) جريدة العراق العدد ٢٤٧٣ السنة التاسعة ١٩٢٨

(٢١) جريدة الاخلاق العدد ٦٧ السنة الثانية ١٩٢٨ ولا حظ العدد ٧٩ السنة

١٩٢٨ قصيدة شاكر اسعد من الهويدر والعدد ٥٩ السنة الاول ١٩٣٨

قصيدة بتوقيع ل. م. ج

(٢٢) مخطوطة ديوان الهنداوي في مكتبتي .

وقد كانت الانتخابات في كثير من الاحيان تجري بدون وجود احزاب في البلد وتدير دفة الانتخابات سلطات الحكومة التي منحت نفسها صلاحيات واسعة لحمايتها من الشعب فاذا وجدت حزبا بدأ يقوى سارعت الى حله تخلصا من المشكلات التي قد تنجم منه، حتى ان ياسين الهاشمي حل الحزب الذي كان يرأسه بعد ان اصبح رئيسا للوزارة . فكان الشعب بعيدا كل البعد عن الانتخابات ، فمما الشعور العام بان المجالس اداة بيد الحكومة وان النواب يعينون فيها^(٢٣) ولم تكن هذه المجالس تملك السيطرة على الوزارة اذ لم يحدث في تاريخ العراق ان استقالت وزارة لان المجلس قد سحب منها الثقة^(٢٤) .

ولم تكن عيون الشعراء بعيدة عن احوال هؤلاء النواب ، لذلك انصب عليهم سيل من التهكم المرير ، كاتصبا به على الوزراء ، فقد قال الجواهري بلذعهم بقاسي الكلم عندما عقدت الجلسة الثيابة لتأبين عبد المحسن السعدون :

ولقد اقول لرافعين اصابعاً	ليست تحسن كأنها أخطاب
رهن الاشارة تختفي او تعلي	وينال منها السلب والايجاب
ماذا نويتم سادتي : هل أتم	بعد الرئيس - كعهده - اخشاب
هل تنهضون اذا استثيرت نخوة	او تجمدون كأنكم انصاب
هل اتم - ان جد أمر ينبغي	توحيد شملكم به - أحزاب ^(٢٥)

وقد سخر علي الشرقي من المجلس ولم ير فيه سوى المظاهر الكاذبة وورك امره للايام فهي كقيلة بتقدير قيمته ولا اري الايام بحاجة الى ان تجيب فقد وجدت البرلمان آلة دون شك بيد الحاكمين فقال :

(٢٣) لما انتخب الرصافي نائبا جاءه احد اخوانه ليقدم له التهاني فقال له: امنك بانتخابك نائبا فضحك الرصافي وقال تقصد بتعييني نائبا .

(٢٤) تجدى احد رؤساء الوزارات النواب قائلا من أراد ان يبرهن على شعبيته فليستقيل من المجلس وانا ابرهن له بانه لن يعود الى المجلس . فسكت النواب .

(٢٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٧ السنة العاشرة ١٩٢٩ وذكرى السعدون ص ١٢٠

سيوروا مجلسا بها انيقا شيخه واقف ويلقي خطابه
 لو سألتم منه سؤالا دقيقا سوف تعطيكم الليالي جوابه
 وكان محمد باقر الشبيبي واضحا كل الوضوح بوصف مجلس النواب
 بألة يراد بها اسباغ حق شرعي على القوانين والطلبات التي يريد المستعمر
 فهو دريئة لاعمالهم ومجنا يصدون به أقوال الشعب ، والحق انه طريق
 الاستعداد الآلة فقال في الحفلة التي اقيمت على شرف مستر كراين :
 فخذوا من الحكم المشوه صورة ومثالها هذا الزمان الاسود
 واقامها العهد (العتيق) حكومة هي طبق ما اتفقوا عليه ومهدوا
 وتسوتروا بالمجلسين فمجلس طوع البنان ومجلس يتجلد
 ولم يرض عن الضيم والذل الذي يكتف العراق ، وقال ان هذا سكوت
 الابي الصابر المتفائل المستعد فقال :

اما العراق فان في تاريخه شرفا يضيء كما يضيء الفرقد
 ليس السكوت من الخضوع وانما هذا السكوت تجمع وتحشد (٢٦)

البرلمان والمعاهدة :

تركت المعاهدة الاولى وما يتبعها من احداث آثارا سيئة في نفوس أبناء
 الشعب فأضطرب العصر اضطربا واضحا وماج بين قوتين • قوة الشعب التي
 يساندها المتفقون والواعون ، وقوة الانتداب ومن سار في ركابه من المتفغنين
 والانتهازيين • وقد كان الجميع يتوقون الى استقرار الحال ، بعد أن طالقت فترة
 الاضطراب ، فالانكليز يريدون استقرار الاحوال لتمشية مصالحهم وتحسين
 سمعتهم بين العالم المتمدن • ويريد الوطنيون الاستقرار ليسيروا قدما في اصلاح
 البلاد اصلاحا عاما يمكنهم من مواصلة الكفاح مرة اخرى • • وبين هؤلاء كانت
 بعض القوى تؤيد الحكومة الوطنية ، التي تحرص على استبقاء ما سمته المعاهدة
 بالاستقلال ، كلا تتخطم مساعيهم واملا في الحصول على اشياء جديدة من الانكليز
 وقد فكر الانكليز في الخروج من هذا المأزق وتفق ذهنهم على شيء جديد هو

(٢٦) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٠٤ السنة الثانية ١٩٢٩

عقد معاهدة جديدة يجددون بموجبها علاقتهم بالعراق .. ولادخاله الى عصبة الامم ، دولة مستقلة في الظاهر ، محافظين على مصالحهم الخاصة وبذلك يوهمون الشعب بانتهاء الانتداب عن العراق وابتعاد الاثر الاجنبي فيه . ولما نشرت مسودة المعاهدة في الجرائد لم ير العراقيون فيها تغييرا كبيرا عن المعاهدة السابقة فقد قيدت سيادة البلاد وشتت ضدها معارضة قوية من الاحزاب . ومر العراق في فترة حالكة واحجم السياسة عن تشكيل وزارة توافق على بنود المعاهدة وتعطيل تشكيل وزارة جديدة مدة ثلاثة اشهر ولم تجد الدعاية التي شنها المواليون للاستعمار او تؤثر مساعيهم شيئا فقد اعلنت المعارضة برئاسة ياسين الهاشمي ان المعاهدة قد اعلنت الاحتلال من جديد^(٢٧) اذ نصت على اجراء مشاورة تامة وصريحة في جميع شؤون السياسة الخارجية مما له مساس بمصالح العراق وبريطانيا^(٢٨) وان يقدم العراق جميع ما في وسعه من التسهيلات والمساعدات اللازمة من استخدام السكك والانهر والموانيء والمطارات ووسائل المواصلات في حالة الحرب او خطر الحرب^(٢٩) وضمنت بريطانيا لنفسها مكانين لانشاء مطارين جويين داخل الحدود العراقية لتقيم فيهما القوات البريطانية^(٣٠) ووجهت تدريب الجيش العراقي تحت الاشراف البريطاني وشراء اسلحته من بريطانيا اذا تسرت هذه الاسلحة لديها^(٣١) .

صودق على المعاهدة في ١٦ ت ٢ في جلسة واحدة باغلبية ساحقة .. وبذلك اصبح العراق في وضع جديد اهلكه ليكون عضوا في عصبة الامم^(٣٢) ويدخول

(٢٧) تحرر العراق من الانتداب ص ١٤ ونص المعاهدة في البلاد ٢٠٨/١/٩٣٠

(٢٨) المادة الاولى من المعاهدة

(٢٩) المادة الرابعة من المعاهدة

(٣٠) المادة الخامسة من المعاهدة

(٣١) يلاحظ تعليق خدوري : تحرر العراق من الانتداب ص ٩-١٤ وتعليق الدكتور زكي صالح مقدمة من تاريخ العراق المعاصر ص ٨٧ و ٨٨ وخطاب المعارضة الذي ألقاه ياسين الهاشمي . العراق في دوري الاحتلال والانتداب

ص ٢٢٠ و ٢١٣ وخطاب الحكومة ص ٢١٣

(٣٢) راجع خدوري ص ١٥-٣٧

العراق عصبية الامم اعتبر دولة مستقلة ذات سيادة . ان الوضع الجديد السدي سيصله العراق سيجعله بصورة رسمية مستقلا ، واعترف به شكليا بانه دولة مستقلة غير ان هذا الحل لم يرض الذين لمسوا السيطرة البريطانية واضحة ، في تسير دفة أمور الحياة العامة للعراق . . ولم تخف عنهم بنود المعاهدة من قيود قيدت العراق . . فكان رد الفعل عميقا في النفوس وبدأ الوطنيون يهاجمون الحكومة التي غدت آلة طيعة بيد المستعمرين ، كما هاجموا المعاهدة واطهروا ما حاق بالعراق من تأخر وانحطاط . لان الانكليز هم الذين يصرفون اموره حسما تقتضيه مصالحهم .

وقد شاركت الصحافة العراقية في ابراز عيوب المعاهدة الجديدة للشعب ، واطهرت ما فيها من متناقضات غريبة فقد كتبت جريدة المستقبل في افتتاحية لها (ان الاستقلال التام لا يجمع والاحتلال في صعيد واحد ونضرب مثلا بارزا للبيان هو جنوم الطائرات الانكليزية على ارض العراق . .) ثم قالت (. . السماء والارض والحوادث تشهد بان انكلترا منذ عقدت معاهدة ١٩١٥ مع شريف مكة (سجين قبرص) - لم تفكر باستقلال البلاد العربية ، كما انها لم يخطر لها ان تترك العراق حرا مستقلا . . ولكن دعاة السوء وسامسة الاخاديع يزعمون ان الوزارة الحاضرة دخلت المفاوضات مع بريطانيا على أساس الاستقلال التام . . . فما اوقع هذا الزعم وما افضح الدعوة الضعيفة اليه . . (٣٣)

ان الجهود التي بذلت للحيلولة دون المصادقة على المعاهدة ذهبت ادراج الرياح لان الملك فيصل كان راضيا عن المعاهدة خلافا لموقفه في معاهدة ١٩٢٢ فقد اعلن بكل صراحة هذا الرأي وقال (ان العراق حر طليق لاسيد عليه غير ارادته . . وحليفنا بريطانيا ليس لها في هذه البلاد سوى شيء واحد هو هذا الخط الجوي . .)

ولم يكن يفصل بذلك انما هاجم الذين وقفوا امام المعاهدة وقال (. . وان الذي يؤسف له الا يكون من بين رجال الامة من يدرك حقيقة ما بينته لكم ، ولا

(٣٣) تحرر العراق من الانتداب ص ١٤

يجرؤ على مصارحتكم به اضطررت ان اصارحكم بذاتي (٠٠) غير ان هذا الرأي لم يكن يتفق ورأي زعماء المعارضة لانهم وجدوا المعاهدة جائرة وفاسدة وانها قيدت استقلاله الموهوم وارادوا ان تبدل هذه المعاهدة بمعاهدة اخرى تعطي البلاد استقلالاً كاملاً لا تشوبه شبهة وان المجلس الذي عقد المعاهدة مجلس غير شرعي ولا يمثل البلاد^(٣٤) وان المعاهدة تتضمن الاحتلال الابدي^(٣٥) لانها زادت من اغلال العراق وعزلته عن الاقطار العربية^(٣٦) ووضعت العراق رسمياً تحت حماية بريطانيا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وقضت على الوحدة العربية وثبتت اقدام الصهيونية في فلسطين الشهيدة^(٣٧)

ولم يختلف رأي الشعراء عن رأي رجال المعارضة من القوى الوطنية فقد هاجموا المعاهدة والبرلمان الذي صادق عليها واعتبروها معاهدة باطلة لان البرلمان الذي اقرها لا يمثل الاغلبية ، وبرلمان لا يمثل الشعب يجب الا يقر معاهدة تقرر مصير البلاد ، ومستقبلها السياسي ، خاصة وان الكثرة الكاثرة قد قاطعت هذه الانتخابات ، وصفحات الجرائد تطفح باسماء الذين قاطعوها واسماء المحتجين على طريقة الانتخابات وخاصة جرائد المعارضة . فقد قال صالح الجعفري بعدم شرعية البرلمان لان انكثرا اشرفت على الانتخابات وسيرتها نحو الهدف الذي تريده وجاء اعضاؤه وفقاً لرغباتها ، وكيف يوثق بمجلس طوع ارادة الانكليز . وقد جاء نوابه حسب رغباتهم خاصة ، وان اغلبية الشعب لم يشترك في هذه الانتخابات ، قال من قصيدة :

(٣٤) لاحظ وثيقة التآخي بين حزبي الاخاء والحزب الوطني في جريدة الاستقلال العدد ١٧٠٣ السنة ١٣ سنة ١٩٣٣

(٣٥) جريدة الزمان الصادرة بدل البلاد ٢٨٤ في ١٧ تشرين الاول ١٩٣٠ ولاحظ آراء حكمة سليمان ومحمد رضا الشيباني وحمد الباجه جي وباقر الشيباني ومحمود رامز ، ضد المعاهدة كما دافع عنها نوري السعيد في العدد نفسه والعدد ٢٨٥

(٣٦) الزمان العدد ٢٨٤ لاحظ رأي الكيلاني والهاشمي

(٣٧) المصدر السابق لاحظ رأي مزاحم الباجه جي

ما الانتخاب بمشروع اذا اتفقت
أبرلمان وهذا الشعب قاطعه
ما مثل المجلس المعقود أتمه
خدعتم الشعب بالاشباح ماثلة
كأن لندن مغناطيس مجلسنا
منها القرار ومن ان نفذه
كل البلاد على ان ليس تنتخب
الا القليل ، وقد حفت به الريب
وانما عقدوه وفق ما رغبوا
جوفاء تسترها اثوابها القشب
فحيثما جذبت تلك ينجذب
والامر منها ومنا الطوع والادب (٣٨)

وقد نظم في هذا المعنى جواد السوداني وظهر غضب الشعب على الحاكمين
وشرح طريقة تلقين هؤلاء للدفاع عن مصالح الدخيل فقال :

لم نتخب نحن نوابا نوابنا
لا تعقدوا مجلسا ترضي مبادؤه
رجالهم تشبه البيغاء لو نطق
منهم ، اذا كانت الاعيان تعيينا
الفا ، وتغضب من شعبي ملاينا
تلقن الامر (منهم فيه) تلقينا (٣٩)

وقد طعن الشعراء بالانتخابات التي جرت في ظروف شاذة من التهديد
والارهاب ، وبالنواب الذين رضوا ان يمثلوا البلاد في مثل هذه الظروف لانهم
اصبحوا شوكة في قلب الوطن ينغرون في مصالحه وفي استقلاله وفي سمعته ...
وجروا الى الشقاء والفساد : ومثل هذا الرأي جماعة منهم محمود الملاح ، قال
من قصيدة القاها في الحزب الوطني المعارض :

لا أمان في مجلس قائم فو
فيه تقتال للبلاد حياة
أي فضل لفتية مالهم من
ما شقاء البلاد الا من الاذ
ضربت في البلاد أطناب ذل
ق ضروب التهديد والارهاب
وتساق البلاد نحو الخراب
هدف غير خدمة الانتداب
ناب ، ويل لمعشر الاذناب !
فقدوا كالأوتاد للأطناب (٤٠)

(٣٨) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٣٩) المصدر السابق العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٠) جريدة الجهاد العدد ٢٤٠ الصادر في ٢٥ آب سنة ١٩٣٠

وقد بذل معروف الرصافي^(٤١) جهدا كبيرا داخل المجلس ضد المعاهدة لانه كان عضوا فيه ، والقي خطابا ندد فيه بنودها قائلا (٠٠ ان المعاهدة كمعاهدة الحمل مع الذئب وما ادري اية قيمة لمعاهدة تقع بين الحمل والذئب ٠٠٠) ثم بين الظروف التي حملت العراقيين على عدم الرغبة في المعاهدة بقوله (٠٠ نحن في عقد هذه المعاهدات لسنا على اختيار بل على اضطرار . كلنا يعلم ان العراق في قبضة بريطانيا الحديدية او النارية وان الانكليز لهم سلطة نافذة قهارة جبارة عداوة ففي هذا الوضع تعقد معاهدة مع الانكليز معاهدة بمعنى انهم يملون ونحن نكتب ٠٠)^(٤٢) ويتجلى ألم الرصافي الواضح في تتابع الصفات التي اسبغها على سلطة الانكليز وقد كان الرصافي ضد كل معاهدة عقدت مع العراق فقد قال عن معاهدة ١٩٢٢ :

والعهد بين الانكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والربال
من ذا رأى ذئب الذئاب معاهدا بصدقة حملا من الاحمال^(٤٣)

وقد طفحت جرائد هذه الفترة بسيل من اسماء الشعراء الذين نقموا على تصديق المعاهدة واخذوا يهاجمونها وينتقدون سياسة الحكم القائم آنذاك فمنهم ابراهيم ادهم الزهاوي^(٤٤) وجواد السوداني^(٤٥) ومحمد جيب العبيدي^(٤٦)

(٤١) بقى الرصافي يندد بالمعاهدة طوال حياته مطالبا باستقلال العراق . لاحظ - آراء الرصافي - جمع سعيد البدرى بغداد ١٩٥١ ص ٢٥ و ٢٠ وما بعدها وعندى قصيدة لمحمد صالح بحر العلوم ضمن مخطوطة شعره يقول فيها :

عهد حزيران وكم نائر حولي على عهد حزيران
فحمله بالبغي من لندن ووضع عندي ببغدان
نواب الامة في جانب وأما في الجانب الثاني
وحكم من تزنى - وان لم تكن محصنة - عطف على الزاني

(٤٢) جريدة نداء الشعب العدد ٣١٠ صدر في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٠

(٤٣) آراء الرصافي للبدرى ص ٣١ وادب الرصافي لمصطفى علي ص ١٠٥ وديوان الرصافي ص ٥٠٢

(٤٤) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى سنة ١٩٣١

(٤٥) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٦) جريدة البلاد العدد الصادر في ٣ كانون الثاني ١٩٣٠

وعبد الحسين الملا^(٤٧) وباقر الشيبلي^(٤٨) والصافي^(٤٩) وشفيق العاني^(٥٠) وغيرهم كثيرون ممن نشروا في جرائد ومجلات اخرى . وقد اتفقوا جميعا على أمر واحد هو التأكيد بالمعاهدة الجائرة وآلمهم ان تكون بلادهم لعبة تستغلها قوات الاجنبي لصالحها ، تهدر مصلحة الشعب الذي ذهب ضحية الوعود الكاذبة ، وضحية الانتهازيين من ابناءه والمتفعين من وجود المستعمرين في بلادهم الذين اسلموا الوطن دون ان يردعهم ضمير او يؤنبهم على الخيانة وازع ، فعانوا في مقدراته دون حسيب او رقيب^(٥١) . وكان من ابناء هذا الوطن الوزراء الذين حصلوا على امتيازاتهم وألقابهم ورواتبهم من كد الشعب وعرقه ودموعه ودمه ولكنهم لم يرعوا حقوقه وانما فضلوا مصالح الاجنبي الغشوم على مصالحه وعاشوا في العراق ولكنهم يستمدون تعاليمهم من خارج العراق ، فأنقلوا كاهل الشعب وأرحقوه ، ونصبوا من انفسهم قادة للشعب ، وحجبوا الوطنية عن غيرهم واحتكروها لانفسهم دون حياء او خجل فانساق بعض السذج معهم وظنوا ان قولهم الصدق وخالوا ما يدعون هو الصواب فلما تكشفت نياتهم وظهر للعيان ما يتوا لهم من أغلال وقيود باسم التحالف وباسم المعاهدة تبسه الشعب واتجه نحو الصواب ، وتركهم وحدهم مع اسيادهم ، وقد رأى بعض الشعراء ان خير حل للقضاء على هؤلاء هو ثورة تطيح بهن وباسيادهن وتعيد للشعب حقوقه المهضومة^(٥٢) والشعر العراقي في هذه الفترة كثير ولناخذ مثلا واحدا من شعر أحمد الصافي النجفي وفيه يتجلى مقدار الخسارة الفادحة التي حلت بالعراق

(٤٧) جريدة صدى الاستقلال العدد ٢١ السنة الاولى ١٩٣٠

(٤٨) جريدة الجهاد العدد ٢٣٩ الصادر في ٢٤ من آب ١٩٣٠

(٤٩) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ من آب ١٩٣٠ وجريدة الاستقلال

العدد ١٥٦ الصادر في ١٦ آذار سنة ١٩٣١ وجريدة صدى الوطن العدد ١٣ السنة

الاولى ١٩٣٠

(٥٠) جريدة الاستقلال العدد ١٥٨٩ السنة ١١ ، سنة ١٩٣١

(٥١) جريدة صدى الاستقلال العدد ١٩ السنة الاولى ١٩٣٠ قصيدة جواد

السوداني .

(٥٢) جريدة بغداد العدد ٢ السنة الاولى ١٩٣١ قصيدة ابراهيم ادهم الزهاوي .

من جراء المعاهدة التي عقدها الوزراء من أبناء الشعب الذين حصلوا على كل ما حصلوا
من ثروة باسم هذا الشعب فقال :

سرق الطامع ابهى مجدنا	ومضى يعدو فاين الحرس
قد رقدنا املا في حرس	ولقد نمنا ونام الحرس
سهروا في اول الليل ولما	نهض السارق يسعى نغسوا
قد حصدنا الشوك مما زرعوا	وجنينا المر مما غرسوا

ويصور بسخرية لاذعة اولئك الذين ناروا باسم الشعب وقادوه ، ثم تركوه
لما حصلوا على ما يريدون من مناصب وثروات ، لانهم يعتمدون على الاجنبي في
جميع آرائهم فليس لهم من رأي انما هم آلات تنفذ رأي الاجنبي فقال :

باسم هذا الشعب نالوا ثروة	ثم باعوا الشعب لما أفلسوا
كرماء لم يردوا طامعا	واجابوا كل من يلتمس

وسخر من المجلس الذي يردد الآراء المستوردة بقوله :

اخذوا رأي شياطين لهم	همسوا في اذنهم ما همسوا
ما ارى المجلس الا حاكيا	صوته - عن مجلس - منعكس
ضم آلات بسلك وصلت	فاذا حرك يوما تنبس
ان دعاها لدفاع شعبها	رجفت ثم اعترها الخرس ^(٥٣)

لم تتحمل الحكومة معارضة الصحف الشديدة ، والوقوف امام الانتخابات
وعدم تصديق المعاهدة وافزعها النقد الشديد الموجه ضدها لان المعارضة كانت
تستند على الجانب الواضح الصائب جانب الشعب والاكثرية المؤيدة له . وقد كان
مؤيدوا الحكومة أقلية ولكنهم ارادوا ان يحكموا البلد بالارهاب وبالقوة وبالسيطرة
فقد حاولت الحكومة ان تكم الافواه واسكات كل معارض لسياستها فعملت جريدة
(الرافدين) و (الاستقلال) واندزت جريدة (المستقبل) ونفت (فهمي المدرس)

(٥٣) جريدة الجهاد العدد ٢٣٧ الصادر في ٢٢ اغسطس ١٩٣٠ ونشرت في
الامواج ص ٥٤ وله في الامواج قصائد في الصفحات ٥٠ و ٥٢ و ٥٣

و (رافائيل بطي) الى اربيل^(٥٤) فثارت ضجة في البلاد تطالب الحكومة بالحرية الفكرية وافساح المجال للكتاب للتعبير عن افكارهم لخدمة هذا الوطن واحتجت جريدة المستقبل التي قالت (٥٥ مابال هذه الحكومات القائمة في ظل الوضع الشاذ تضطهد الحرية في بلاد الرافدين وتلاحق الوطنيين بشتى الوسائل وانواع القسوة ؟ ماذا يبرر لتلكم الحكومات ولهذه الحكومة الحاضرة ملاحقتها لحرية الرأي وحرية النشر)^(٥٥)

وسخر صالح الجعفري من هذه التصرفات فقال :

اراهم قيدوا الرأي فلم سموه لي حرا
وما فائدة الرأي اذا لم أبدع جهرا
هل المرء سوى ان ير تأي النفع او الضرا^(٥٦)

يمتاز العرب بحب الحرية الفكرية حرية الكلام والتعبير لان حرية التعبير عن الرأي عزيزة في نفوس الاحرار وقد أكد الاسلام على هذه الحرية في أحاديث الرسول وفي سير الخلفاء لذلك كان كبت الحريات الفكرية يبوء بالفشل دائما ونجد المطالبة بالحرية في كثير من دواوين الشعراء ففي ديوان الرصافي عدة قصائد^(٥٧) ولعل اشهرها تلك التي نظمها سنة ١٩٢٢م والتي اخذ هذا العصر يرددها^(٥٨) ورددها العراق في كل دور من أدوار كبت الحريات والتي غدت اغرودة بقم العراقيين ومضرب الامثال دائما :

(٥٤) جريدة بغداد العدد ٢٦ السنة الاولى ١٩٣٢ وقد اصبح المعتمد العام لحزب الاخاء الوطني ياسين الهاشمي ، اما التهمة التي وجهت للكاتبين فهي (المس بالذات الملكية وقلب نظام الحكم) راجع حاشية مقالات فهمي المدرس ص ١٢٣

(٥٥) جريدة المستقبل العدد الثامن السنة الاولى ١٩٣٠

(٥٦) جريدة النجف العدد ٧٥ السنة الثانية ١٩٢٧

(٥٧) ديوان الرصافي ص ٥٠

(٥٨) أدب الرصافي ص ٧٧

يا قوم لا تتكلموا ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانباً فالخير الا تفهموا^(٥٩)

ولم تتطرق الى تأييد الحكومة التي عقدت المعاهدة غير قصائد محدودة^(٦٠) فكانت جريدة العراق تعوض عن ذلك بمقالاتها فتهاجم المعارضة وتنتشر بعض الرسائل المفتوحة او البرقيات مثل (اخاديعهم لاتطلي على الشعب) او (ما هذه المهازيل) وتحمل تواقع متنوعة مثل (فريق من الشبيبة المعتقدة بتلاعبهم) او (فريق من شبيبة الحلة)^(٦١) وتسلقهم بافتاحيات عنيفة مثل (يفترون) و(هل تستمر المعارضة في طغيانها الاثيم) واذا اعتقلت الحكومة المعارضين تقول (الحكومة تقضي على الدسائس والمكائد) و (ماذا يريد المفتونون) و (يغالطون ويموهون)^(٦٢) وكانت جرائد المعارضة ترد عليهم وتنتشر اخبار الاجتماعات ونشر الخطب وتعنون مقالاتها بعناوين مثل (الخرس لهذه الافواه) و (يكيّدون للشعب)^(٦٣) كما كانت تنشر اخبار الاضرابات التي يقوم بها الشعب وتعلق عليها فترد عليها العراق^(٦٤) ومن المقالات التي نشرتها ، مقالة تهاجم فيها المعارضة وتتهمها بانها تعارض للحصول على كراسي الحكم وقالت (ان مناحة المعارضين يوم الجمعة الماضي لم تختلف بشيء عن مناحاتهم المعروفة فقد بكوا كثيراً على القضية

(٥٩) ديوان الرصافي ص ٤٤١

(٦٠) مثل عبدالرحمن البناء وعبدالمجيد الملا والجواهري

(٦١) جريدة العراق الاعداد ٣٣٣١ و ٣٣٣٢ و ٣٣٣٣ السنة الحادية عشرة ١٩٣١

(٦٢) جريدة العراق ٣٣٧٣ و ٣٣٧٥ و ٣٣٧٦/١١/١٩٣١

(٦٣) الاخاء الوطني اعداد السنة الاولى وغيرها من جرائد المعارضة الصادرة ١٩٣٠ و ١٩٣١ كالاستقلال ، والثبات والاخبار ، والبلاد .

(٦٤) دراسة هذه الفترة تستحق عناية من احد الباحثين لوجود اشياء طريفة وجديدة .

المضاعة ، والوطن المحروب ، والحرية المضطهدة ، والصحافة المصفدة ، والأمال
 الفاشلة ، وحاولوا استبكاء الجمهور على غير جدوى وكانوا في الحقيقة ينوحون
 على كراسي لصقت أعينهم بقوائمها وعلى مناصب ضخمة ، ومراتب جزیلة^(٦٥)
 وعندما ينشر الجواهري قصيدة يؤيد بها المعارضة تثور الجريدة عليه وتعجب
 كيف ينظم قصيدة في تأييد المعارضة وهو الذي أيد الحكومة بالامس وضجى
 في سبيلها بوظيفة ، يتهافت عليها المعارضون ثم تنشر له قصيدة هاجم فيها
 المعارضة وايد فيها الحكومة من قبل قال فيها ساخرا منهم :

فقد علم الاقوام ان ليس عندكم سوى خطف كرسي ومنضدة قصد
 وهيئات هيئات الكراسي ولمسها فمن دونها سد ومن دونكم سد^(٦٦)

(٦٥) جريدة العراق ١٩٣١/١٢/٣٤٧٧ المقال الافتتاحي

(٦٦) جريدة العراق العدد ١٩٣١/٢/٣٤٨٧ ولاحظ جريدة الزمان العدد

١٩٢٧/١/٢ ولاحظ جريدة الاخاء الوطني العدد ١٩٣١/١/٢٤ وجريدة

العراق ١٩٣١/١٢/٣٤١٩

عبدالمحسن السعدون

- ٤ -

لاحظنا الصدام العنيف الذي حدث بين القوى الوطنية والقوى الاجنبية * فلم يكن العراق هادئا مستقرا وكان الرأي العام مضطربا ينذر بالعاصفة فقد كانت البلبلة متفشية بين الصفوف والحياة الحزبية مضطربة متفككة * وكان العراق يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من الحقوق وبريطانيا تحاول جاهدة استبقاء سيطرتها بطرق شتى ، وفي مثل هذا الجو المتوتر التائر القلق طلب الى عبدالمحسن أن يؤلف الوزارة لعقد المعاهدة ، فاشترط ان يحصل على وعد صريح بالغاء المعاهدة والاتفاقيات السابقة وأن يدخل العراق عصبة الامم بدون قيد او شرط وان تكون المعاهدة الجديدة على أساس الاستقلال التام * وكانت بريطانيا تبحث عن مخرج تخلص به من التوتر السياسي فظهرت استعدادها لقبول شروط السعدون ، فألفها معتقدا بان بريطانيا سوف تحقق للعراقيين امانهم حتى قال في حفلة اجراء مراسيم تشكيل الوزارة « لقد امعنت أنا وزملائي النظر مليا في جواب الحكومة البريطانية هذا فافتعنا بانه محقق لشطر كبير من رغائب الامة العراقية التي لا ترضى عن الاستقلال التام بديلا^(١) » واعتقد انه سوف يقدم لبلاده ما يريده لها من الاستقلال التام والكرامة * ويبدو ان رجال السياسة قد أدخلوا في

(١) ذكرى السعدون - تأليف علي الشرقي - بغداد ١٩٢٩ ص ٥٦ . لاحظ خطاب السعدون جميعه * وقد اكد هذا المعنى في الخطاب الذي القاه في حزب التقدم وكرر الفقرة نفسها . ذكرى السعدون ص ٦١ وفي الكتاب ترجمة وافية لحياة السعدون .

روعه انه المنقذ الوحيد للعراق من البلبلة والتوتر السياسي وكأني بالسعدون قد وعد بتحقيق هذه الاماني لامته واذا فشل فسوف يؤازره الشعب ويأخذ استقلاله بالقوة وبالتضحية والفداء . ولعل مظاهر الحماس التي رآها على الشعب أجبت في قلبه هذه الرغبة تسنده الوعود التي بذلت له بصورة سرية^(٢) فاندفع وصرح بوجوب اخذ الاستقلال بالقوة . ولولا رغبته وما جال وراء الستار لما اندفع هذا الاندفاع حتى ظن ان الاستقلال اصبح ملك يمينه ولكنه اصطدم على صخرة رغبات بريطانيا . وصعب على المرء أن يرى احلامه العراض تتحطم ، ويهوي مايبناه بيده فتنتابه المذلة والالم . وقد حدث ذلك للسعدون ، فلم يقدر على اقناع رجال السياسة البريطانيين الذين تقبلوا في السياسة وعاشوا فيها ، وعرفوا خباياها، ولم يقف الشعب العراقي وراءه نائرا مقاتلا^(٣) لان هناك قوى اخرى غير الشعب تقف ضده ، هناك أذئاب المستعمر الذين يملأون بلاده ، وهناك الملك الذي لا يريد أن يفرط بالعرش ، وهناك عقبات اخرى في الشعب العراقي لم يقدرها السعدون حق قدرها وكانت خيبة الامل مريرة في نفس السعدون^(٤) تجلت في الوصية التي تركها عندما انتحر قال فيها :

« اني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقا وشرفا . الامة تنتظر الخدمة والانكليز لا يوافقون ، ليس لي ظهير . العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون ويعيدون عن الاستقلال»^(٥) فنجد السعدون واضحا كل الوضوح

(٢) قال علي الشرقي (لكن المقامات العالية حركت نخوته واخلاصه ، واستنبضت عرقه الكريم ، وناشدته بالعروبة والوفاء لها) ص ٥٥

(٣) سأل الريحاني عن مدى استجابة اعضاء حزب التقدم لآرائه السياسية فقال : « الاعتقاد رصين والامل وطيد بأن الحزب يكوي بحرارة الاخلاص الذي أحمله ، وغالبا أجد روعي تتوزع عليه ويندفع بقوة الحق الى مشاركتي »

(٤) قال السعدون في معرض حديثه مع زميل له « انا مثلي معكم مثل موسى مع أصحابه اذ قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ماذا اكون وحدي وانكم ما فيكم الباسل ... »

(٥) جريدة العراق الاعداد ٢٩٢١ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٢٣ ، من السنة العاشرة ١٩٢٩ كتب السعدون وصيته باللغة التركية وترجمت بعد ذلك .

من انه ورط في تأليف الوزارة وترك وحده في المعركة ، ولم يوفق بين رغبات الشعب العراقي الضعيف العاجز .. البعيد عن الاستقلال والحرية وبين رغبات الانكليز الذين لا يوافقون على منح الاستقلال .

أعد السعدون كل شيء وفكر في كل الاحتمالات ففض المجلس النيابي وجاء بنواب اكثرهم معه فاستند على قوتهم وصفق له حتى المعارضون عندما عاهد الله والوطن على الجهاد والتضحية وقد اعتمد الملك عليه للخروج من المأزق بل أثار نخوته ليدبر دفة البلاد وقد كان السر كلبرت كلايتون المندوب السامي يؤيد المطالبين العراقية وقد رأى السعدون في جواب بريطانيا تحقيقا لشطر من رغائب الامة العراقية وقال : « ان الاستقلال اصبح وشيكا وان المعاهدة تنتهي مع الاتفاقيات برمتها وستعقد معاهدة جديدة اساسها الاستقلال التام^(٦) » لكنه باء بالفشل ولم يحصل على شيء . وقد كان السعدون أيا كريم النفس فاسودت الحياة بعينه وشمها بعد أن ضاع منه ما يريد ان يحققه لشعبه وانهم بالخيانة وبأنه خادم الانكليز وعندهم^(٧) مع ان الرجل تحمل ما لا يطاق وزج بنفسه في مأزق أراد به خدمة الامة .

لم يمت السعدون دون أن يترك أثرا عميقا وراءه هو وصيته التي هزت الشعب العراقي لانها أطلعت على ضعف الشعب وتخاذله وقت الشدائد وحقيقة الصراع الذي كان ناشبا بين السعدون وبين الانكليز .

والشعب العراقي شعب مستعجل لا ينظر الى الماضي ولا يتعظ .. ينسى بسرعة فهو يلقي كلمات الحمد والثناء على من تملق عواطفه وينسى اساءته سريعا ، وهو يغضب سريعا وينسى جميع ما يقدم له ويتمسك بآخر غلطة للانسان ويريد أن يتدخل في كل الامور صغيرها وكبيرها وقد كان السعدون كئوما لاسراره فانهم بالخيانة ، وكان رزينا فباعده بينه وبين انشاء الشعب ، فاستيقظ الشعب

(٦) لاحظ خطاب السعدون في جلسة حزب التقدم الاولى في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ ذكرى السعدون ص ٥٨ وما بعدها .

(٧) جريدة العراق لاحظ الاعداد التي ذكرت الوصية .

على صوت انتحاره وهاجت عواطفه الطيبة في ضميره ، وخاصة سبب الانتحار كان عدم موافقة الانكليز على اعطاء العراق استقلاله التام . وقد نسي الشعراء جميع حياة السعدون واتخذوا الفرصة نبراسا يهتدون بهديه في شعرهم واصبح السعدون رمزا قوميا كريما ونموذجا صادقا في الوطنية والتضحية ، فانتشرت صورته في كل مكان ورسمت على علب السيكاير وورق لف السيكاير والاواني الفخارية وعلى كثير مما يستعمله الشعب وعلقت على بضائع التجار لتروج . وقد اقيم له تمثال في خير بقاع بغداد واضخم مكان^(٨) وسمي باسمه شارع كبير وحديقة . واول الشعراء الذين أصابته الحسرة وامضتهم اللوعة كان معروف الرصافي . فقد كان عبدالمحسن صديقا له يواليه بعطفه ورعايته وجاهه وماله^(٩) وكان الرصافي يمتدح الانكليز الذين استعمروا بلاده فاستحال هذا المقت الى كراهية عميقة ، فقد أجهزوا على صديق عزيز عليه وسند قوي يركن اليه فأهاجت ميتة السعدون كوامن الالم في الرصافي فصحبها سيل من الحمم والقذائف على الانكليز^(١٠) فوصف عظم التضحية التي قام بها السعدون ومقدار خسارة الوطن بهذه التضحية ، ثم هجا الانكليز الذين سببوا هذه الكارثة . واشهر قصائده واطولها الرائية ، وقد بوبها الشاعر ابوابا ، ووضع لها العناوين المتنوعة فوصف اولها منظرا الرافدين يوم وفاة السعدون وهما يجريان دما بعد أن أمضتهما الحزن واللوعة ووصف الحزن الذي انتاب الشعر بهذه الكارثة وذكر الميزات التي امتاز بها السعدون والسجايا الكريمة والمزايا العالية التي فضلتها على سواء ، وخير هذه المزايا وأسمائها التضحية الكبرى بنفسه في سبيل الوطن ثم خاطب أهل لندن ما جرته سياستهم من الالم واحزان على العراق ، وفي القسم الاخير قارن بين سعد زغلول وعبدالمحسن السعدون وما قدم كل زعيم لبلاده من تضحيات وخدمات

(٨) غير محله وحرك قليلا حيث وضع في مكانه الحالي بمدخل الشارع المسمى باسمه عندما افتتح الجسر الجديد في الباب الشرقي .

(٩) بشأن صداقة الرصافي والسعدون لاحظ (الرصافي) تأليف مصطفى علي مصر ١٩٤٨ ص ١٩٤

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣١٠ و ٣١٢ و ٣١٦ ولاحظ ذكرى السعدون ص ١٢٧

وفضل السعدون على سعد زغلول لانه كان اكثر تضحية اذ فدى الشعب العراقي بنفسه والجود بالنفس الاخير أقصى غاية الجود ، ويدخل ضمن موضوعنا القسم السياسي الرابع الذي خاطب فيه الانكليز بقوله :

يا اهل لندن ما ارضت سياستكم اهل العراقيين لا بدوا ولا حضرا
ان انتدابكم في قلب موطننا جرح ندائيه لكن لم يزل غبرا^(١١)

ويشرح اعمالهم التي ارتكبوها في العراق من تقييد حرية الرأي ، ووقوف في طريق تقدم العراق ، ورقبه ، وتفريق لصفوفه ، ليسنى لهم الحكم ثم بثهم الكراهية والبغضاء بين ابنائه بدل الحب والوئام والعطف لان الاستعمار لا يقدر ان يعيش الا في الفوضى والاضطراب والبليلة النفسية والرعب والفرع ثم يذكرهم بمعاملتهم مع العراق فيقول :

في كل يوم لنا معكم معاهدة نزداد منها على اوطاننا خطرا
جفت بها سرحة استقلالنا عطشا حتى اذا ما مسسنا عودها انكسرا

ويصف قسوة قلوب الانكليز في سبيل مصالحهم وبذلهم الوعود السخية دون ان يفوا بها فيقول :

تقسوا قلوبكم لما نفاوضكم كأننا نحن منكم نقر الحجر
اما مواعيدكم فهي التي انكشفت عن مين من مان او عن غدر من غدرا

ويقارن بين وطنه الضعيف الواهي القوى وبين قوة الانكليز الجيارة التي تسيطر على العراق ، ثم يتهدهم تهديد الضعيف الوهن ، فيصف الشعب بالذبابة التي تزعج الاسد وكان الاجدر بالرصافي ان يتهدد الانكليز بان المستقبل للشعب الذي سوف يقوى ويشد ساعده ويقضي على قوة الانكليز ولا شك بأن الرصافي كان قريبا جدا من الواقع الذي بعد عنا اليوم حينما قال :

لاتفخروا ان كسرتم غرب شوكتنا لافخر للصقري أن يقتل النغرا^(١٢)
لاستهينوا بنا من ضعف قوتنا فكم ذبابة غاب أرعجت نمرا

(١١) الجرح الذي اندمل على فساد ثم انفجر .

(١٢) النغرا : بضم الميم وتشديده الفرخ الصغير او البليل .

وقد أبدى الرصافي تسامحا وتساهلا عندما عرض على الانكليز صداقة الشعب بعد أن يش من قوة الشعب وعدم قدرته على مقارعة قوة الخصم الجبارة والكفاح في سبيل الاهداف السامية ولعله كان يأمل ان يحصل باللين وبالتساهل ما لم يحصل عليه بالكفاح والقتال فقال :

هذي البلاد أغرسوا فيها مودتكم ثم اقطفوا من جناها ودنا ثمرها
نكن لكم حلف صدق في سياستكم نمشي الى الموت من جرائها زمرا
لسنا نقوم اذا ما عاهدوا نكثوا ولو جرى الدم حتى اشبه النهر^(١٣)

وقد رثاه كثير من شعراء هذه الفترة مثل محمد هادي الدفتر^(١٤)
واكرم احمد^(١٥) وعبدالرحمن البناء^(١٦) ومحمد بهجة الانري^(١٧)
ومحمد حبيب العبيدي^(١٨) وكمال نصرة^(١٩) وعبدالكريم العلاف^(٢٠)
وناجي القشطيني^(٢١) وخضير القزويني^(٢٢) ومحمود الملاح^(٢٣)
ومحمد مهدي الجواهري^(٢٤) ومحمد علي يعقوبي^(٢٥) وأحمد حتي الحلبي^(٢٦)
وغيرهم .

- (١٣) ديوان الرصافي ص ٣١٤ وقد نشرت القصيدة في جريدة البلاد في العدد الصادر في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩
- (١٤) جريدة العراق العدد ٢٩٦٩ السنة العاشرة ١٩٣٠
- (١٥) جريدة العراق العدد ٢٩٢٥ صدر في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٩
- (١٦) جريدة النور العدد ١٣٩ صدر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٩
- (١٧) جريدة البلاد العدد ٣٠ في كانون الاول ١٩٢٩
- (١٨) جريدة البلاد العدد ١٥ كانون الاول ١٩٢٩
- (١٩) جريدة البلاد العدد الصادر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٩
- (٢٠) جريدة العراق العدد ٢٩٥٧ الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩
- (٢١) مخطوطة شعره في مكتبتي الخاصة
- (٢٢) شعراء الغري ج ٢ ص ٣٧٢
- (٢٣) ذكرى السعدون ص ١٢٢
- (٢٤) ذكرى السعدون ص ١١٥ ، ١١٩
- (٢٥) ذكرى السعدون ص ١٢٩
- (٢٦) ذكرى السعدون ص ١٣٥ واخبرني الشاعر بانه نظم قصيدة اخرى .

وقد بدا موقف الزهاوي قلقا حائرا فقد ساهم الشعراء في تأييد السعدون .
أبقى دون أن ينظم شيئا وأشد ما يخشاه أن يطعن في ولائه للوطن ولا يريد أن
يعيد ما قيل عنه وما يقال أم ينظم ويطعن الانكليز ولا تزال القوى بيدهم والحول
ملك يمينهم أراد أن يشارك الشعراء كيلا يقال نضبت قريحة الزهاوي وهو
الذي يجب أن يذكر اسمه ويمجد ويقرضه النقاد^(٢٧) . نظم قصيدة واستبعد
مهاجمة الانكليز ، وكان حذرا فأثر أن يسلك اسلم طريق فنظم الوصية وحاول
أن يرسم صورة صادقة مكبرة لها وبذلك يتخلص من مهاجمة الانكليز صراحة
ويرضي الوطنيين ، قال :

ماذا تفيد سلامتي من شرها	اذ كان منه موطني لايسلم
الشعب ذو حرص على استقلاله	لايرضى أحدا سواء يحكم
الشعب يطلب أن أقوم بحقه	والانكليز على التعاضى يرغم
للشعب ابرم ما أراه صالحا	والانكليز يحل ما أنا أبرم
للالنكليز في الانتداب سياسة	أما السياسة فهي ليست ترحم ^(٢٨)

وكان علي الشرقي من أقرب الناس اليه واشدهم حسرة على موته حتى
ألف كتابا عنه وعن آل سعدون فانه لم يتهم الانكليز في قتله مع أن السعدون
قال صراحة في وصيته انهم السبب في انتحاره بل لم أجد له قصيدة في تأييد
السعدون اللهم الا قصيدة واحدة نظمها بمناسبة نصب تمثاله^(٢٩) كانت موحدة
الموضوع لم تخرج عن السعدون نفسه وان حمدنا له هذه الوحدة في المعنى نراه
لم يستغل الفرصة ليؤلب الشعب على المستعمر الجاثم على صدر العراق .
اما الجواهري فقد نظم قصيدتين لام فيهما الشعب وقرعه
كما لام الساسة في الاولى وفي القصيدة الثانية صب جام سخطه على

(٢٧) حدثني احد معاصري الزهاوي ومن المتصلين في جريدة العراق واطننه
الاستاذ رفائيل بطي ان الزهاوي كان يأتي الى الجريدة ويكتب امام اسمه
الاستاذ الكبير الفيلسوف الى غير ذلك من الالقاب والنوعت

(٢٨) البلاد العدد الصادر في ٢٧ كانون الاول ١٩٢٩ وقد نشر في ديوانه
(الاوشال) المطبوع في بغداد ١٩٣٤ ص ٤٤ وله قصيدة اخرى في ص ٤٥

(٢٩) ديوان علي الشرقي ص ٢٠٧

النواب الذين كانوا خشبا مسندة وكان رثاء عبدالمحسن رثاءا عاما لم يأت بجديد فيه ، ووصف وجوم الشعب حول قبره وسماه (ضريح امة يعرب) الذي سيركع عليه التاريخ والجيل (والنخوة والعروبة والشهامة والصراحة) وان (نكله نكل العروبة) وخص الملك فيصل وتوجهه بابيات ومن ثم توجهه الى المعارضين بقوله :

يسألون باي عذر تختفي ؟ من شعبنا وبأي وجه نطلع
واسترجعوا احكامهم مرفوضة ناس بحكمهم عليك تسرعوا

ثم طالبهم بالانتحار ان كانوا مخلصين لبلادهم ليطمئن الشعب اليهم :

قولوا لاشباه الرجال تصنعوا الا تكونوا مثله فتقنعوا
لابرمونا بالتشدد ، شعبكم يسوى انتحاركم له لايقنع
سلفا يقوم بالدم استقلاله فاذا صدقتم بادعاء فادفعوا

وسخر من مجلس النواب وطالب ان تكون محاكمة الخصم بريئة عادلة ليفسح له المجال في الدفاع عن نفسه ولا يضغط على حريته فقال :

لتكن محاكمة الخصوم بريئة في قاعكم وليحسن استجواب
تأبى المروءة ان يقدر خائن أو ان يطول على البريء حساب

ويضعف الجواهري ويلين حينما يريد من الشعب العراقي ان يتروى في قصده ولا يتهور مستعجلا فيقول :

اوحى الزعيم الى الجزيرة كلها ان ليس يدرك بالكلام طلال
يا هذه الامم الضعاف ترويا لاتنهضي صعدا وانت زغاب
لاتقطعي سبييا ولا تنهوري نزقا اذا لم تكمل الاسباب
لاتدن من ظفر القوي ونابه ان لم يكن ظفر لديك وناب

لان محاربة الخصوم في غير اوقاتها معناه الخسارة فيجب ان يستعد الشعب فقال :

واذا عتبت على القوي فلا يكن الا باطراف الحراب عتاب (٣٠)

وقد اغتنم محمود الملاح انتحار السعدون فجال جولة سريعة ذكر فيها
فوادح البلاد العربية المتتالية في فلسطين وسوريا ومصر والمغرب ، اذ تن العروبة
من هذه المصائب المتوالية وكان الشرق يراكين هذه المصائب ثم ينظر نظرة الامل
الباسم فيقول :

سيئته النوام من غفلاتهم قياما فلا يبقى على الارض هاجع
ثم يتطرق الى نكبة العراق وما اصابه ويهاجم الذين عارضوا السعدون في
سياسته واضطروه الى الانتحار ، يقول :

اراد اناس ان يجاروه في العلا وكيف يجاري الجون صفراء فافع^(٣١)
ضحية قوم مادروا كنه فضله ولا عرفوا سر الذي هو شائع
ورب كريم ضاع بين معاشر كعقد نفيس فهو في الفحم ضائع

ويتحدى اولئك الذين انتحلوا الوطنية بالانتحار ، والملاح مسلم متدين
يعرف جيدا ان الانتحار اثم لا يرضاه الشرع لذلك استرجع فقال :

فمن ينتحل من بعد ذا وطنية ولا ينتحر فهو الكذوب المخادع
وليس مرامي ان تضحي خلائق ولكن مرامي ان تضحي المنافع
قياس صحيح لا ينافيه منطق وان خالفتني في القياس المنازع

ويطلب من الشعب العربي أن يتحمل كل جفوة حتى يتم له الامر ويصبح
قويا :

فياشعب قحطان احتمل كل جفوة الى ان تماشي جانبيك المدافع
وحتى ترى في ساحتيك فيالق ينادون لا استقلال الا المعامع

ويريد الملاح ان يسمع رمزي مكدونلد رد فعل المصاب الذي حل بالعراق
فيقول :

دوت طلقة ليلا باآفاق دجلة فيا (مكدونلد) هل لها انت سامع؟
تململ منها راكد وتحركت شجون وهاجت بالنيام المضاجع

(٣١) الجون - القوس الادهم

وطلقة نار في مخارم شاهق سيلقى صداها شاسع ثم شاسع
 رأيت رخيصا كل ما العرب قدموا وهذا دم غال فهل انت قانع
 وفي القصيدة التفاتة سريعة الى ما حل بالعراق من انتهازية فأتري فيها
 الانتهازي والاجنبي ، اما ابناء البلاد الذين يتعففون عن الاثراء العاجل فقد اصابهم
 الطوى فقال :

تأثل ملكا فوقها كل ناكث وصار له فيها قرى ومزارع
 وأثرى باموال البلاد اجانب ومات مدينا رهين المدافع^(٣٢)

ولم يكن انتحار السعدون عائقا عن انجاز ما صممت عليه الحكومة البريطانية
 ووافق عليه الساسة في العراق اذ سارت المعاهدة في طريقها وعقدت في ١٦ من
 تشرين الاول سنة ١٩٣٠م وبعدها ادخل العراق في عصبة الامم عضوا مستقلا .
 وقد اقامت الحكومة العراقية مهرجانات رسمية خرجت فيها المدارس تشد
 ان العراق أصبح مستقلا وأذكر ونحن طلاب في المدرسة الابتدائية ان خرجنا
 وطفنا في المدينة نشد نشيدا منه :

بمثل اليوم يا عرب دعة المجد قد وثبوا
 خيولا فوقها وثبوا فنالوا منه ما رغبوا
 غير ان النبأ لم يهز شعور الشعراء في العراق اذ لم اعثر على شاعر نظم في هذه
 المناسبة غير حسين بستانه قال فيها :

بغداد وافك البشائر فابسمي وترنحي مسرورة وترنمي
 ولتبسي للمهرجان مطارفا ولتخلعي ثوب الحداد الاسحم^(٣٣)

وبعد دخول العراق عصبة الامم ساد العراق هدوء سياسي نسبي فقد حل
 محل النظام القديم نظام جديد حاول السيطرة على العراق سيطرة تامة بكل
 الوسائل لكي يخلق له وحدة اقليمية جديدة . وحدثت بعض الثورات الداخلية
 والرجات مثل ثورات العشائر في الشمال والجنوب وثورة الأنوريين غير ان الحكومات

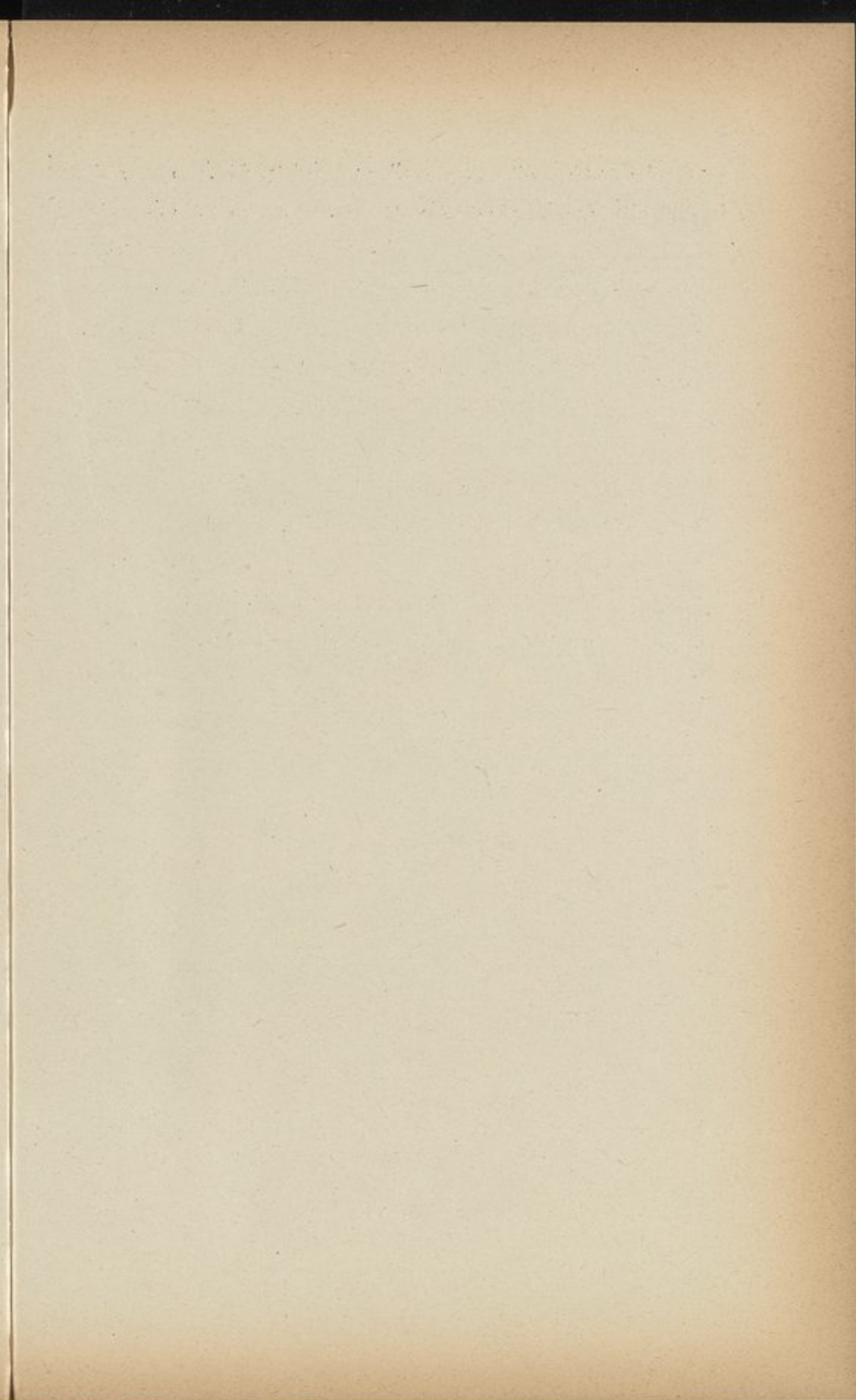
(٣٢) ذكرى السعدون ص ١٢٢

(٣٣) جريدة العراق العدد ٣٨١٠ السنة الثالثة عشرة ١٩٣٣م

كانت تمنع تسرب الاخبار عنها الا التزر اليسير وكانت تقابلها بالشدة والقسوة
لذلك خلت هذه الفترة من شعر منشور يمثل هذه الثورات الا التزر القليل الذي
لا يمكننا اعتباره ظاهرة جديدة بالدرس .

غير ان الاحداث العربية كان لها صدى عميق الاثر في اتجاهات الشعر
العراقي جديدة بالدراسة فهي تمثل جانب الاحساس القومي بهذه الاقطار
وقد كانت الاستجابة لمشكلات العرب اعمق من الاستجابة لغيرها من الاحداث
فنحن نجد آثارا ظاهرة واضحة لفلسطين وتونس والجزائر ومصر وسوريا
والاردن وعدن اكثر من غيرها . ومع ذلك فلم يخل الشعر العراقي من روح
انسانية عالية فقد كانت حوادث الاستقلال والثورات على المستعمرين تجد لها
صدى فقد استجاب للمشكلات الاسلامية والمشكلات الشرقية والمشكلات العالمية
كاليونان والهند والصين .

والاستقرار النسبي العام كان سببا واضحا في اتجاه بعض الشعراء الى الوجهة
الاجتماعية . وبذلك نجد الشعر التزم جانبا في صميم حياته الداخلية الاحداث
الاجتماعية .

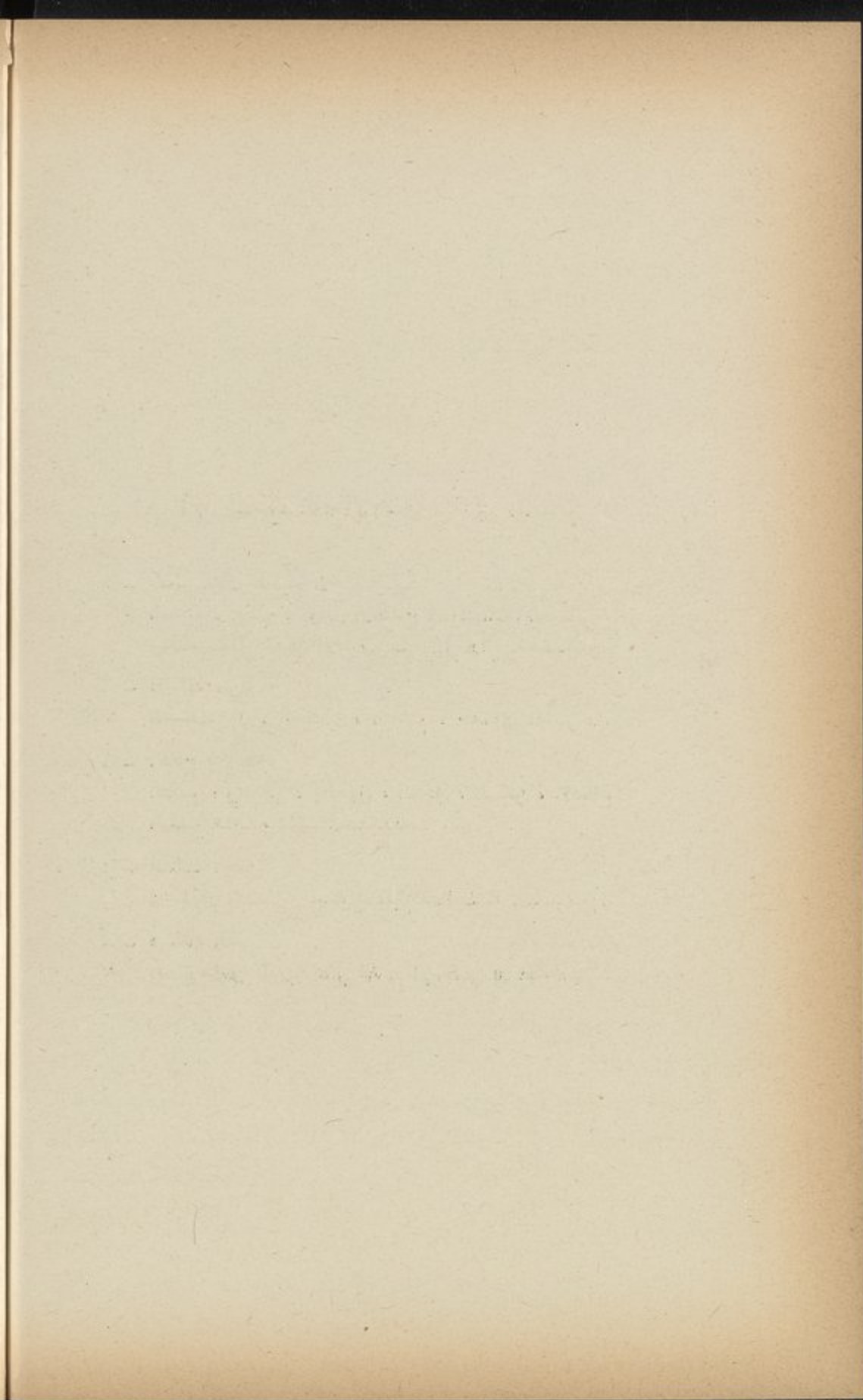


الفصل الخامس

منه
مكتبة
المجلس
العلمي
بدمشق

اثر الحياة الاجتماعية في الشعر

- ١ - مشكلات الحياة الاجتماعية
التعليم ، الطب ، بؤادر الاصلاح في العهد العثماني ،
سبب التاخر الاجتماعي في رأي الشعراء
- ٢ - مشكلة المرأة
السفور ، الحجاب ، التعليم ، حقوق المرأة ،
- ٣ - الفلاح والاقطاع
الفقر ، والمرض ، والجهل ، الدخل ، السكن ، الاقطاع
التعليم معالجة مشكلاته
- ٤ - مشكلة الجهل
في ادوار الحكم ، نسبة التعليم معالجة الشعراء
- ٥ - مشكلة الفقر
اثرها في المدن ، اثر الدين الاسلامي في معالجتها



مشكلات الحياة الاجتماعية

(١)

لاحظنا من الفصول المتقدمة اثر الحياة السياسية في الشعر ، وكيف استحوذت مشكلاتها على جزء كبير من تفكير الناس ، وشغلتهم عن معالجة المشكلات الاجتماعية . ومع هذا فقد كان هناك من يحس بضرورة اصلاح الحياة الاجتماعية وينعى على الناس هذا الاستغراق في السياسة والانصراف عن المجتمع ، فقد كتب الشيخ علي الشرقي ، يصف هذه الحالة بمقال منه (٠٠ فلا نرى في الامة الا سياسيا وسياسة حتى كأن الجمهور العراقي كله طائفة سياسية ، فالسياسة في الجوامع والمخادع والمقاهي والاسواق والطرق والمدارس وغرف المحاماة والشركات العسكرية . فالبحال والفلاح ورجال العلم ورجال الدين والمحامون والضباط ورجال المال والحوذية وسواق السيارات كلهم ، سياسيون ، وكل العراق موجات سياسية وقد عمّ الطوفان السياسي حتى حاثوت الخباز (١)٠٠ لان مشكلات الحياة السياسية كانت أشد بروزا للعيان ، واكثر تماسا بحياة الشعب بعد الاحتلال الانكليزي ، فقد أثرت تأثيرا كبيرا في حياته اليومية في رزقه وعواطفه ومشاعره . وهدد الطمأنينة في نفسه فقد شعر ان كرامته قد هدرت ، وامانيه العزيزة قد جرحت ، فهو عرضة للسجن والنفي والتشريد ، والتعذيب ، دون ان يعرف سببا لما ينزل به . فالمحتل بعيد عنه في الدين واللغة والتاريخ والتقاليد ، وكان هذا المحتل قويا ضاريا تؤثر قواه المادية والمعنوية في حياته ، وتسيطر عليها ، فيجب ان يكرس جزءا كبيرا من نضاله ليعيد الهدوء

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٠ السنة الاولى ١٩٢٧

الى قلبه ، والامان والحرية والدعة لوطنه ، ويتخلص من الجنود الذين
يسرحون على ارضه ، والطيارات التي تثر في سمائه ، ومن موظفيه الذين
يتحكمون في مصيره وحياته ، فاتجاه الشعب نحو السياسة كان ضرورة حتمية
للتخلص من المستعمر ، الذي يقف حائلا دون اي اصلاح جذري . . فلا غرو
ان 'عزي كل تأخر للمستعمر . . ومشكلات العراق الاجتماعية لا تختلف عن
مشكلات البلدان المتأخرة الاخرى فهي الفقر ، والمرض ، والجهل ، ومشكلة
الاقطاع والفلاح ، والمرأة ، ولا تزال هذه المشكلات قائمة حتى الان ، برغم ما
بدل في اصلاح بعضها ، ولكنها لم تصل الى ما يهدف اليه العالم الاجتماعي بعد ،
فقد كان لتوالي الغزوات على العراق اثر كبير عميق الاثر في تأخير العراق
الاجتماعي . فالمستعمر تركيا كان ام فارسيا ام انكليزيا لم يكن يهمه غير
استمرار حكمه فلم يعن بمشكلات البلد الداخلية ففي القرن التاسع عشر لم يكن في
العراق غير مستشفى واحد ، ومن الطريف ان تكون مؤهلات مدير المستشفى
البراعة في لعب الشطرنج ، فهو لاعب شطرنج ماهر لم يكن الوالي بقادر على
الاستغناء عنه فأعطاه هذا العمل ليكون الى جانبه . وقد بقيت حالة العراق متأخرة
حتى بعد الحرب العظمى الاولى فقد بدىء بانشاء اول مستشفى ، عام ١٩٢٨^(٢)
وبقيت اكرية الشعب فترة طويلة تحت سيطرة المشعوذين والدجالين من محترفي
الطب ، وغالبا ما تؤدي معالجتهم الى عمى العيون ، وجلد الابدان وموت المريض
يضاف الى ذلك كله ما يصفه بعض الشيوخ من ذوي الطرق الذين يداوون
المريض بالادعية والطلاسم والبصق في الماء^(٣) ولما انتشر الوعي الطبي اخذت
المستشفيات تنتشر في ربوع العراق حتى بلغت ٨٩ مستشفى^(٤) . وقد بقيت حالة
التعليم متأخرة في العهد التركي ولم تؤثر دعوات الاصلاح لانها كانت محدودة

(٢) مجلة عالم الغد العدد ٧ السنة الاولى مقال للدكتور معمر خالد الشايب

(٣) لا تزال هذه المداواة لدى كثير من ابناء الشعب في القرى والارياف وهناك
من يثق بالطب القديم حتى في المدن وبين المثقفين . وقد قتل أحد الشيوخ
في لواء ديالى قبل سنوات احد المرضى بالاعصاب لاستخراج الروح الشريرة
من بدنه فأدى ذلك الى سجنه .

(٤) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي سنة ١٩٥٢ بغداد ١٩٥٥ من ٣٦

الأثر ويساير اصلاح الفساد الاداري والخلقي ، وتحت ستار الدين الاسلامي خوفا من أذى الوالي الذي يعد النصيحة انتقاصا لكرامته حتى جاء دستور ١٩٠٨ فارتفعت اصوات الناس عالية تطالب بالاصلاح ، وتجرات بعض الجرائد على السخرية من المرتشين والمستغلين^(٥) . واخذت بعض الجرائد تنشر بعض الرسائل المفتوحة تشكو ما حل بالبلاد من تأخر شمل جميع نواحيها^(٦) . وقد كان لتدفق جرائد سورية ومصر وتركيا ، وما تحمل في طياتها من انباء التقدم والازدهار أثر في يقظة الفكر وازدهاره .

وعندما فتح الانكليز بغداد نشطت سياسة التعليم بتأسيس دائرة المعارف فقد وصل عدد المدارس في نيسان عام ١٩٢٠ الى تسعين مدرسة^(٧) . وازداد نشاط فتح المدارس عندما تولى العراقيون الاشراف على سياسة المعارف حتى بلغ عدد المدارس التابعة لوزارة المعارف عام (١٩٥٣-١٩٥٤) مايلي :

نوع الدراسة	العدد
المدارس الابتدائية على اختلاف انواعها	١٤٥١
المدارس الثانوية والمهنية	١٤٣ ^(٨)

واذا قورن هذا العدد بمساحة العراق ، وبعدد نفوسه ، فهو عدد ضئيل . ثم ان اكثرية هذا المدارس مركزة في المدن ، اما القرى والارياف فهي محرومة من التعليم ، ففي العراق ١٦٠٨ مدرسة تابعة لوزارة المعارف من مختلف درجاتها ولا يوجد في القرى التي تحوي اكثرية السكان غير ٥٧٤ مدرسة^(٩) ولم ترتفع نسبة التعليم في العراق عن ٨٪ (سنة ١٩٤٩) وكانت اعلى نسبة للتعليم

(٥) يلاحظ الفصل الاول

(٦) جريدة الرقيب العدد ١١٤ السنة الاولى

(٧)

Henry A. Foster, The Making of Modern Iraq (London 1936) P. P. 15,20.

ولكن تقرير وزارة المعارف ينص على وجود ٨٨ مدرسة

(٨) التقرير السنوي ص ٧

(٩) المصدر السابق

في لواء بغداد قد وصلت الى ١٨٪ وهو اللواء الوحيد الذي حصل على هذا النسبة المئوية . وقد تدنت في بعض الالوية الى ٣٪ والاحصاء التالي يعطينا فكرة عامة عن التعليم في العراق عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ :

نوع الدراسة	عدد المدارس	عدد الطلاب
الذكور الاناث المختلط المجموع		
الدراسة الابتدائية الرسمية	١٠٩٤ ٢٥٦ ١٠١ ١٤٥١	٢٥٨٣٣٣
الدراسة الابتدائية الاهلية	٠٠٣ ٠٠٣ ٠٩٣	٠٢٠٢٦١
الدراسة الابتدائية الاجنبية	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٥	٠٠١٧٨٤
المجموع	١١٣٤ ٦٢٩ ١٤٦ ١٥٤٩	٢٨٠٣٧٨
الثانوية على اختلاف انواعها	٠١٤٧ ٥٠ — ١٩٧	٠٤٦٤٦٣
المدارس المهنية على اختلاف انواعها	٠٠٠٨ ٠٢ ١ ٠١١	١٨٧٤
دور المعلمين	٢ ١ — ٣	٨٦٣
المعاهد العالية	٣ ١ ٨ ١٢	٥٢٥٥
المجموع العام لجميع المدارس والدورات	١٢٩٧ ٣٢٥ ١٥٨ ١٧٨٠	٣٣٥٧١٤ ^(١)

وقد أيقظ فتح الانكليز بمظاهره المادية الفكر العراقي برؤيته مستوى عاليا من الحياة لم يره عند جنود الدولة العثمانية كالنظافة والاناقة وكفاية في المال . وكانت مجالا واسعا للمقارنة بين الجيشين وتمنى المثقفون ان ترتفع حالة الشعب المادية وان ينتبه على صوت سنابك خيل المحتل ووطء احذيته على ارض الوطن . .

اما الادب فقد تغير مجراه العام ورافده الذي كان يتسرب فيه ، فابتعد عن خدمة السلطان والوالي والحكومة واتجه للشعب وخدمته ، واصبحت للشعب منزلة محترمة وبدأ الشعراء وقادة الرأي في معالجة مشكلاته الاجتماعية

(١٠) التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣ - ١٩٥٤ بغداد ١٩٥٥ ص ٦

والسياسية لرفع شأنه وخلق شعب قوي صحيح غني مثقف . وقد كانت هذه المشكلات الاجتماعية متشابكة مع المشكلات السياسية . وكان الشعب جاهلا مريضا فقيرا . والشعب الضعيف المتأخر ، المتخاذل لايقدر على اصلاح نفسه لان قوة الشعب تأتي من قوة افراده ومتى قدر الضعيف الواهن على المقاومة والنضال لاستخلاص حقه . . والمؤلم ان هذا الشعب يملك ارضا تفيض بالخيرات خصبة تدفق فيها الانهار وتضيع خيراتهم ويذهب ماؤه عبثا . . لان المستعمر الدخيل حال دون استغلال هذه الثروات . قال الصافي النجفي مستنكرا ذلك بقوله :

ماللفرات يسيل عذبا سائغا عجبا ، وورد بنى الفرات أجاج
الفقر احرق في بنيه وانما ماء الفرات العسجد الوهاج
جاءته (حوت البحر) ظامئة له أو ماكفاها بحرها العجاج
قد شب فيها نفطنا نارا فهل يطفي لظاها ماؤها الثجاج
والنفط يجري في العراق ومالنا ليلا سوى ضوء النجوم سراج
ويتهمكم على الاستعمار الذي كبل الشعب ويقول انه مطلق السراح يفعل مايشاء بحرية تامة بينما هيمنت رقبته على كل صغيرة وكبيرة ليسيره حسب ما يريد ويهوى :

قد اقلوه من القيود بمرهق واحاط فيه من العداة سياج
زعموه مختارا وقد وضعت له تحت الصوارم والمدى اوداج
ايكون ذا رشد بعقد عقودهم وبغير ذاك لقيم يحتاج ؟
نم الخداع بما تكن صدورهم ان الخداع لدى اللبيب زجاج
اسروا العراق وكم فدينا انفسا عنه ، فهل لأسيرنا افراج ؟

وبيعت الامل في نفس الشعب ، ويدله على الطريق السوي في سبيل حقه بالمطالبة الملحفة وبالشجاعة والاقدام ويضرب له الامثلة من عبر الايام التي حطمت العروش وسحقت التيجان لان الشعب لم يكن ركيزتها فقال :

لا تياسن من اللجاج فانما سبل الحياة شجاعة ولجاج
لا تياسوا فالحادثات بمرصد ولكم هوى عرش و'حطم' تاج

(١١) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٥٦ السنة الثانية ١٩٢٨ والامواج ص ٥٠

وكان التأخر والانحطاط مهيمنين على ربوع الراق وليس هناك من يصلحه لان المتحكمين في مصير الشعب هم الدخلاء والانتهازيون وخشى الشعراء ان يصرحوا بذلك خوف اذى السلطان ومكره ، وبطش القوة وقساوتها فانصرفوا الى تفرغ الشعب الذي تحمل الذل صابرا ، ومثارا ، واسترد حقه ، واصلح امره بقوته . فعندما جاء امين الريحاني الى بغداد عام ١٩٢٢ ، كان الامل يملأ قلبه من ذكريات بغداد في عهدها الذهبي الزاهر ايام كانت مشرق الامل للعالم في الحضارة والرقى والتقدم وقد صدمه واقعا المير الحاضر فنظم الرصافي قصيدة يرحب به ويعتذر اليه عما حاق بوطنه فقال :

أأمين جئت الى العراق لكي ترى	ما فيه من غرر العلى وحجوله
عفوا .. فذاك النجم اصبح آفلا	والقوم محتربون بعد افوله
اما الحيا فذايك الحيا	لكل مسيل الماء غير مسيله
وربعه ذاك الربيع وان شكا	من جهل ساكنه اشتداد محوله

وكانت نفس الرصافي تفيض حسرة وهو يعدد مصائب العراق التي تدمي القلوب اسى وتملاً القلوب لوعة فقد اصبح القطر الذي كان يدوي صيته ويزهو بريقه وحضارته وعمارته في مائة للاختلاف والتنازع ووكرا للتناذب والتناحر والبغضاء والشقاق . فالجار يخشى من جاره ، والصدى يشك في اعز اصدقائه واهليه ، فقد اختلف ابناء الوطن الواحد واصبحوا كتلا وجماعات فالنصراني يشك في سلامة نية المسلم ، والمسلم لا يطمئن للنصراني ، وقد بلغت الفوضى حدا لم يبلغه قطر من اقطار المعمورة فقد انتهكت حرمة العلماء والاساتذة ولم تبق لهم كرامة او قيمة وخشى العلماء الافذاذ واصحاب الرأي فيه ابداء آرائهم لفساد الاحوال وتدنيتها كيلا يتهمهم بالمروق والكفر وبالخروج عن تعاليم الدين .. انه لوضع مؤلم وآلم منه الاعتراف به .. لكن مما يخفف عن النفس احزانها وعن النفس شجونها وشجوها ومن القلب لوعته واساء أن يسجل الشاعر ما يحتبس في صدره ويجد تعليلا لهذا الامر كله يقدمه للريحاني ، هو ان العراق لا يتصرف حسب اهواء ابنائه ورغباتهم ، انما هي توصيات العميل المستوردة وشعب هيمن

عليه المستعمر لن ينال الخير والرفاهية فقال :

من اين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لاخير في وطن يكون السيف عنده دجانه ، والمال عند بخيله
والرأي عند طريده ، والعلم عنده دغريه ، والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيره ظلما ، وذل كثيره لقليله^(١٢)

وقد كانت آراء الرصافي سائدة بين شعراء هذه الفترة مثل عبدالحسين الملا^(١٣) وعلي الشرقى^(١٤) وصالح الجعفري^(١٥) وعبدالحسين الأزري^(١٦) ومهدي الجواهري^(١٧) فكلهم يرجع سبب تأخر العراق الى المستعمر الذي رتع بخيرات الوطن ، وتصرف بجميع مقدراته دون ان يحسن بمايعاينه ابناءؤه من الشقاء ، فقال كمال نصرة بصراحة تامة يصف فوز الاجنبي وتنعمه بالعراق :

بلادني بها فاز الغريب بقصده فما خاته جد ولا عز مطلب
له راتب ضخم وعيش مرفه وامر مطاع واحتكام ومنصب
وان له عند الحكومة حرمة وقدرا تسامى وهو منها مقرب
أفي الحق ان نشقى ويسعد غيرنا ويفصب منها الحق والرزق يسلب^(١٨)

وصور علي الخطيب آلام الشعب العميقة تحت وطأة الدخلاء والمستعمرين الذين اكتسحوا ارضه ونعموا بخيراتهم دون ان يصلحوا من امره ويرفعوا من مستواه عندما اختلطوا به ، وهز قلبه انينه وبلواه فقال :

- (١٢) ديوان الرصافي ص ٤١٥-٤١٧ . سمعت ان الملك فيصل لما سمع (والحكم عند دخيله) ترك محل الاحتفال احتجاجا
(١٣) جريدة النهضة العراقية العدد ١١٦ و ١٢٦ السنة الاولى والعدد ٢٨٢ السنة الثانية من سنة ١٩٢٨
(١٤) المصدر السابق العدد ١٤ السنة الاولى ١٩٢٧
(١٥) النجف العدد ٤ و ٧٥ السنة الثانية سنة ١٩٢٧
(١٦) جريدة النهضة العراقية ١٩٢٨/١/٩٧ والزمان ١٩٢٨/١/٣٩
(١٧) المصدر السابق العدد ١٩٢٨/١/٢٦٠ وجريدة المفيد العدد ١٩٢٤/٢/٢٥٧
(١٨) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٨٢ السنة الثانية ١٩٢٨

فخالط الشعب واسمع ما يشن به وافصح مجالك للمظلوم بالكلم^(١٩)

والقى بعض الشعراء تبعة تأخر العراق على ابناء الشعب ، الذين شاركوا
المستعمر في حكمه فقال (ميمون بن قيس) - ولعله خيرى الهنداوي - يخاطب
الوطن :

حتى بنوك مع الدخيل عليك متحدي الايادي

ويصم ابناء الوطن بالخور والضعف ، لانهم لم يقاوموا المستعمر واذناب
المستعمر الذين عميت قلوبهم عن مصالح وطنهم ، ونفذوا رغبات الدخيل دون
تفكير ، فهم المسؤولون عن كل ما حل بالبلاد من فساد وفوضى ، فقال :

هم علة الوطن العزيز وهم جرائم الفساد^(٢٠)

وقد أكد هذا المعنى محمود الملاح في شعره ، ومن طريف شعره بيت
قال فيه :

الخير في هذي البلاد مقسم بين المسائر من (سمث) و (كوك)

ويرجوك الشاعر ان تتلمس الواقع بنفسك في الاسواق بالاحتكاك بابناء الشعب
وتسقط حالته الاقتصادية والعلمية .. وما وصلت اليه من التدني والتأخر فيقول :

انزل الى الاسواق تلق متاجرا
العامل المسكين يبذل جهده
اربابها في رثة الصلوك
ويعيش عيش البائس المنهوك
والعلم في اوطاننا متقهقر
مغمورة ارجاؤه بالنوك^(٢١)

اما مصطفى جواد فقد حار في امره واندحش من تصرفات الدخيل الذي

(١٩) جريدة الزمان العدد ٤٤ السنة الثانية ١٩٢٨

(٢٠) مجلة المعرض العدد المزدوج ٩ و ١٠ السنة الثانية ١٩٢٧

(٢١) جريدة البلاد العدد ١١٠ / السنة الاولى / ١٩٣٠ وجريدة النهضة العراقية

العدد ٢٩٧ السنة الثانية ١٩٢٩ له قصيدة اخرى

(٢٢) جريدة النهضة العراقية العدد ١٣١ السنة الاولى ١٩٢٨ وله قصيدة في

العدد ٦٨ من السنة نفسها .

ظن نفسه صاحب الدار ولم يرع لرب البيت حرمة • فقد تنعم بالخيرات وترك الفضلات لاصحاب النعم الذين هم احق بها منه ولم ير سبيلا الى التخلص منه بغير الطرد والضرب والصفق فقال :

فاعجب بضيف صار للدار صاحباً وتعا له قد باء بالطرد والصفق (٢٢)

وقد وجه الصافي النجفي لومه للشعب لانه هو الذى خلق الحكومات ولو كان الشعب عادلا لما جاءت الا حكومة عادلة ترحمه وترأف به • ولكن متى كان الشعب ظالما كانت الحكومات التي تحكمه ظالمة مثله فقال :

دافع الشعب بالحكومة ان يظلمك وادفع بالشعب ظلم الحكومة واحذر الكل فالحكومة بنت الشعب خلقا والشعب ام ظلومة

ثم يعزو تكوين الحكومات الظالمة الى ظلم الشعب وعدم نضجه فيقول :
ان ظلم الشعوب سوى الحكومات وانشى لنا الطقوس القديمة
فترى الشعب للحكومة لا يحب تاج لو كان ذا قلوب رحيمة
فالحكومات مثل اشواك سم ابتتها ارض الشعوب الوخيمة

ونصح الشعب باصلاح خلقه حتى يمكن ان تلغى الحكومات فقال :

اصلحوا خلقكم لتلغى الحكومات وتعيشوا ذوي قلوب سليمة (٢٣)

وهذه القاعدة صحيحة متى كان الشعب قادرا على ان ينتخب حكومته من صميم ابناءه اما الحكومات العراقية فلم تكن تختار الا بارشاد من حكومة بريطانيا وليس للشعب اى رأي في اختيارها •• ولكن يأسه من اصلاح الحالة العامة دفعه لالقاء اللوم على الشعب •• بعد ان رأى عدم عناية الحكومة الحاكمة باموره وعدم ثورة الشعب على الحكومة الظالمة الاجنبية •

مشكلة المرأة

(٢)

من الفترات الحالكة التي مرت بها المرأة في العراق هي فترة القرن التاسع عشر^(١) واولئل القرن العشرين فقد كانت محجبة لايسمح لها بالخروج من الدار الا في النهار وتحت مراقبة شديدة ، وقلما كنا نرى امرأة مسلمة تمر في السوق بل ان مجرد سماع العراقيين ذلك يهز اعصابهم ويخيفهم^(٢) واذا ارادت الخروج كانت تسدل عليها العباءة السوداء او العباءتين وتبرقع ببرقع اسود لا يرى منه شيء وعليها ان تمر في الدروب الضيقة والازقة المتعرجة وتتجنب المحلات العامة والمقاهي واذا لم يكن غير طريق واحد كانت امهاتنا يطلبن الينا ان نسبقهن الى المحل الذي سنزوره كيلا يعرف الرجال من مصاحبتنا لهن هويتهم وقد يبلغ التعصب بالرجل ان يمنع زوجه الخروج من البيت لاي سبب وقد سمعت احد الشيوخ قبل سنوات يتحدث مفاخرًا بان زوجته لم تر عتبة الباب وخير وصف لحالتهن قول محمد بسيم الذويب :

ظلموك ، سجنوك زوجـوك شر زوج في الوجـود
قائلا زوجي لا تخـرج الا يوم تدعوها اللـحـود^(٣)

ولايزال بعض الرجال يخجل من ذكر اسم الام او الزوجة او الاخت

(١) الشعر العراقي في القرن التاسع ص ٢٤

(٢)

Foster, H., The Making of Modern Iraq (London 1938) P. 217.

(٣) مجموعة خطية بقلم الشاعر في مكتبتي الخاصة ويلاحظ ديوان الزهاوي ص ٢١٦

امام الغرياء ، ولما انبثق القرن العشرون ودوى صوت قاسم امين في مصر تردد صدى صوته في العراق ، فقد طالب بوجوب تعليم الفتاة وتخفيف الحجاب او رفعه عنها واعطاها حقوقها الاجتماعية ، وحريتها الطبيعية مستندا الى تعاليم الدين الاسلامي التي تمنح المرأة مثل هذه الحقوق^(٤) وقد ساعد على نشر هذه الآراء عناية الجرائد المصرية بها والرد عليها ونشر اخبار المؤيدين لها . وكانت هذه الجرائد تصل العراق^(٥) وتؤثر في القراء فكان منهم المستحسن والمهاجم وقد انقسم الرأي كاتقسامه في مصر ، فنادى بعض القوم بوجوب تعليم المرأة واعطاها حريتها ، واعتبارها انسانا لها ما للرجل من حقوق وواجبات ، وافساح المجال لها لتكون عضوا عاملا لبناء المجتمع في العراق واتخذ الدين الاسلامي وتعاليمه سندا لهذه الآراء وضرب الامثلة الحية من تاريخ العرب . فقد حاربت النساء مع الرسول وظهرن سافرات معه وذقن آلام الاسر والتعذيب كالرجال .

اما الذين كانوا يقفون امام التيار فاكثرهم من رجال الدين الذين يرون في سفور المرأة واختلاطها بالرجال خطرا سيكلف المجتمع مشكلات خطيرة وعدتوا السفور مخالفا لتعاليم الدين الاسلامي ، وقالوا بان السفور يقود الناس الى المجون وان اباحة النظر للمرأة سيهدم القيم الاجتماعية ، وقد اتهم دعاة السفور بأنهم دعاة فساد يريدون التمتع بالمرأة دون قيد او شرط وهذه امور لا تقرها التقاليد العربية ، ودعاة السفور كفار ، وذكروا في دفاعهم فوائد الحجاب فهو يضمن المرأة من الفجور ويكسر حدة الشهوة الجنسية^(٦) وغير ذلك من الحجج كانت دعوة السفور دعوة جديدة هاجمت معايير المجتمع العراقي التي اصطلح

(٤) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر للدكتور محمد حسين (القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ص ٢٧٧ خير من كتب في هذا الموضوع ولا حظ الاتجاهات الادبية تأليف انيس المقدسي ج ٢ ص ٤٨

(٥) كان عدد ما يرد الى العراق اسبوعيا نحو خمسة آلاف نسخة بضمنها الجرائد غير العربية يلاحظ مقال عن الصحافة في جريدة البلاد الصادر في ٧ شباط ١٩٣٥ ومقال عن (اثر الصحافة المصرية) في (دار السلام) العدد ١٩١٨/١/٨

(٦) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى ١٣٢٨ هـ

عليها وارتضاها لذلك كان من الصعب عليه ان يتخلى عنها بسرعة لانها دعوة لم يألفها من قبل ، واهتز لها واضطرب وعاش في دوامة من الحيرة والقلق لانه كان بين نارين : العقل ومتطلبات الواقع من تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وبين التقاليد والتربية الاجتماعية التي ألفها الفرد . ومشكلة المرأة مشكلة حساسة في المجتمع العراقي الذي يرى أي خدش في كرامتها خدشا لكرامته ولكرامة الاسرة كلها . والاسرة العراقية متماسكة كل التماسك فأني عار يصيب امرأة من الاسرة فهو يصيب الاسرة كلها ، ويمنع المجتمع العراقي المرأة التحدث مع الرجل الغريب فكيف بالخروج معه ومخالطته والعمل معه . لذلك فقد وجدنا حتى الداعين الى السفور أرادوه بشروط كيلا يؤذوا مشاعرهم الاجتماعية التي نشأوا عليها فقد طالبوا بتعليم المرأة ومراقبتها وان يكون سفورها محددا بالوجه متعللين بالخوف من نكسة تصيب المرأة وطالب قسم بتعليم المرأة اولا ثم سفورها حتى تتمكن من المحافظة على نفسها من الرجال .

وقد كان على رأس المناصرين لحركة تحرير المرأة الرصافي والزهاوي فقد نظم الرصافي قصيدته الثانية عام ١٩٠٩ وقد آزرته جريدة الرقيب ومما قالته (ان حالة المرأة في مدينة بغداد حالة يستحي القلم من تحريرها لانه لا يوجد بينهم واحدة من عشرة آلاف من تحسن القراءة ، والسبب الاعظم هو تعصب ساداتنا علماء الدين ضد تعليمهن) (٧) وقد كان لهذه القصيدة اثر كبير في الحياة الاجتماعية العربية فقد تناقلتها الجرائد السورية وبادر بعض الشعراء برد عليها مفنندا آراءها محرما تعليم المرأة لعدم قدرتها على التعلم ولانها ممن

(٧) جريدة الرقيب العدد ٧٤ السنة الاولى ١٩٠٩ العدد الصادر في ٦ (ذي الحجة ١٣٢٧ هـ)

(٨) المصدر السابق

(٩) حدثني المرحوم الاستاذ خيرى الهنداوى ان المرحوم يوسف العطار - من ابرز رجال الدين آنذاك - استغل قصيدة الدفاع عن السفور عندما هجاه الرصافي فذهب الى الملك علي وكان يؤثر رجال الدين واقنعه بكفر الرصافي وطلب اليه معاقبته بقطع راتب قدره ٥٠٠ روبية كان يتقاضاه بتأثير اخيه الملك فيصل بعد ان اقسام عليه بقطعه

سقط المتاع^(٨) وقد استمرت هذه الدعوة طويلا ولم تنته . مع ان المرأة قد حصلت على كثير من حقوقها ، وقد جرت بعض المتاعب على الرصافي ، وديوان الرصافي يطفح بمؤازرة المرأة حتى انه افرد لها بابا اسماء (النسائيات) اضافة الى وجود بعض قصائد فيه^(١١) وقد بحث الرصافي جميع مشكلات المرأة الاجتماعية فكان اجتماعيا وخيرا بهذه المشكلات ، ولم يكن بمشكلة المرأة في العراق ، انما ساهم في البحث عن مشكلتها في الشرق ، فذكر غمط الرجل لحقوقها واحتقاره لها وجهلها الذي جر الى ذل الشرقيين وشقائهم^(١٢) ولما ارسل قصيدته الى صاحبة مجلة (الخدور) شكها لها سوء حالة المرأة في العراق كثيرا وشبه المرأة كالنخلة اذا لم تكن قوية فلن يكون ثمرها يانعا طيبا^(١٣) وبحث في مشكلة حرية الزواج التي اشترطها الدين الاسلامي والتقاليد العربية الاصيلية ولم يمنحها المجتمع لها منذ حجها عن الرجل ، فمنعها من اختيار شريك حياتها فلا يراها الا ليلة البناء وقد يكون عجوزا اشيب اغرى اسرتها بالمال او بالجاه او كان للأسرة مصالح في هذا الزواج فقال :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم ——— اذ أكرهوك على الزواج بأشياء^(١٤)

والطامة الكبرى ان تمنع حتى من ابداء رأيها بهذا الزواج لان رفض المرأة يعد عارا عليها وعلى أسرتها . وقد تحدثت مع احد ابناء الجيل الذي سبقني بهذا الامر فقال بصلف وكبرياء ، لم تأتأ البنت التي تجرؤ على رفض رغبة اهلها . لذلك هاجم الرصافي هؤلاء وتساءل كيف تحب الزوجة زوجها اذا زفت اليه غصبا ولن يسود الوئام والسعادة بين الاسر الا بافساح المجال امام تعليمها وصفورها حتى تختار من تريد فتملاً بيت الشرقي بالسعادة فقال :

(١٠) ديوان الرصافي ص ٣٣٢-٣٤٥

(١١) ديوان الرصافي ص ٥٤ و ١٥٦

(١٢) ديوان الرصافي ص ٣٣٢

(١٣) المصدر السابق ص ٣٣٤

(١٤) المصدر نفسه ص ٣٣٦

هل يعلم الشرقي ان حياته تملو اذا ربى النبات وهذبا
وقضى لها بالحق دون تحكم فيها وعلمها العلوم وأدبا^(١٥)

ويتخذ من ظهور كتاب (السفور والحجاب) لآنسة نظيرة زين الدين
سببا يتحدى به الرجال - الذين يناوئون السفور - ان كان بينهم رجل يحاكي
المؤلفة ذكاء وعلماء وأدبا^(١٦) وهي نموذج رائع على قدرة المرأة المسلمة على
التعلم وعلى الحرية^(١٧) وقد افرد للمرأة المسلمة قصيدة وصف فيها جهلها
وبؤسها مع ان الاسلام يفرض تعليمها . ولعل الثانية هي الجامعة لكل رأي في
سفور المرأة فقد حشد فيها الادلة والبراهين والشواهد لتأييد رأيه في سفور
المرأة واعتبرها المدرسة الاولى التي يجب ان يعنى بها لينشأ الطفل مهذبا مثقفا
ويحزنه انحطاط المرأة المسلمة فيخاطب ام المؤمنين عائشة زوج النبي ويشكو
اليها ماحاق بالمرأة ، ويرد على المدعين بان الدين الاسلامي منع تعليم المرأة فقال :

وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين على اللواتي
لقد كذبوا على الاسلام كذبا تزول الشم منه مزلزلات

ويقرع المسلمين الذين لم يلتزموا بتعاليم الدين الاسلامي لانصرافهم عنه
فظنوا ان منع المرأة من حريتها من صلب الدين ولم يقتدوا برسول الله ولا بنسائه
وعناية السيدة عائشة بالعلم فقال :

(١٥) القصيدة نفسها

(١٦) ديوان الرصافي ص ٣٣٤

(١٧) السفور والحجاب محاضرات ومناظرات تأليف الانسة نظيرة زين الدين
بيروت ١٩٢٨ لاحظ الصفحات ١٤٨ و ٢٧٥ و ٢٨٠ بشأن شعراء العراق
وكتابه . وقد ائنت الكاتبة على الرصافي وعلمت على شعره واستحسنته
ص ١٤٨ وقد جاء في الكتاب على حرية السفور وحرية العمل في الاسلام
وناقشت آراء مستحسني الحجاب واستندت الى القرآن والحديث واخبار
العرب وشعر شوقي واسماعيل صبرى والرصافي والزهاوى وحافظ واعلام
الاصلاح الديني مثل الافغاني ومحمد عبده وبرهنت على القابلية الكبيرة
في تعاليم الدين الاسلامي على السفور وحرية المرأة وحقوقها .

ليس العلم في الاسلام فرضا على أبنائه وعلى البنات
وكانت أمتنا في العلم بحرا تحل لسائلها المشكلات^(١٨)

وقال ان تعاليم الدين قد نصت على تعليم المرأة واعطائها حقوقها وفي التاريخ
العربي خير برهان ويشير الى حياة المرأة البدوية الحاضرة ولا يكفي بذلك
بل يلقي قصيدة يدعو فيها الى رأيه في احد الاحتفالات يندد فيها بجماعة
الحجاب ويهاجم المحافظين والمتعصبين فيقول :

الاما لاهل الشرق في برحاء يعيشون في ذل به وشقاء
لقد حكموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الاقياد للامراء
وفي القصيدة يقول :

الم ترهم امسوا عبيدا لانهم على الذل شبوا في جحور اماء
اقول لاهل الشرق قول مؤنب وان كان قولي مسخط السفهاء
الا ان داء الشرق من كبرائه فبعدا لهم في الشرق من كبراء^(١٩)

ويلاقي الرصافي حملة عنيفة من الحجابيين ويسمونه المارق والتافه الذي
خرق العادات وغير ذلك من النوع مثل قول ابراهيم الرحيمي :

تجاهلت في كل الامور سفاهة وما انت الا تافه الرأي جاهل
خرقت بنظم الشعر عادتنا التي بها تحمد العقبي وترضى الاوائل^(٢٠)

ومن الشعراء المشهورين الذين هاجموا الرصافي ، محمد السماوي ولم
أطلع على قصيدته غير انني وجدت قصيدة لخيري الهنداوي يرد بها على السماوي
الذي قال بان المرأة ناقصة عقل ودين ولايجوز ان تمنح الحرية لانها لاتحسن
استعمالها (بنفس البحر والروي) :

(١٨) ديوان الرصافي ص ٣٣٩-٣٤١ وقد القى هذه القصيدة عام ١٩٢٢

(١٩) ديوان الرصافي ص ٣٤٤

(٢٠) الناشئة الجديدة العدد ١٧ السنة الاولى ١٩٢٣

تقول بنقصهن اذا فلم لا تكمل بالعلوم الناقصات
وهل عدت سكينه حين تبدو وتتقد الكلام من السراة (٢١)
وهل عدت صفيه يوم قامت لقتل العالج كالمبرجات (٢٢)

ورد على قصيدته الهمزية عبدالحسين الازري فخطب فيها بنت بغداد
(كريمة الزوراء) وحذرهما من شاعر خيالي بعيد عن واقع الحياة هو الرصافي ،
ووقف موقفا وسطا فهو ما اراد ان تسفر الفتاة فقال :

أولم يروا ان الفتاة بطبعها كالماء لم يحفظ بغير اناء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها مما يجيش بخاطر السفهاء
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه عن خدع كل خريده حسناء

ولكنه ارادها ان تتعلم وتتقف على شريطة الاحتفاظ بالنقاب حتى لا تختلط
بالرجال فقال :

ليس الحجاب بمانع تهذيبها فالعلم لم يرفع على الازياء
اولم يسخ تعليمهن بدون أن يملأن بالاعطاف عين الرائي

لان السفور يملأ قلوب الرجال عشقا وفتنة ، وعلى ابناء الوطن الحذر من
دعاة السفور لانهم كاللصوص يريدون ان يعيشوا بالوطن فسادا فقال متسائلا :

ماذا يريك من حجاب ساتر جيد المهاة وطلعة الذلفاء
ماذا يريك من ازار مانع وزر القواد وضلة الاهواء

ويقول صراحة ان اجتماع الفتاة بالفتى مجلبة للهوى :

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو اصدقك ضمائر الجلساء (٢٣)

(١١) السراة المتبرجة

(٢٢) ديوان خيرى الهنداوى (المخطوط)

(٢٣) الادب العصري ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ وقد جمع مصطفى عبد الجبار القاضي

(مختارات في الحجاب والسفور) وطبعها في بغداد سنة ١٩٢٤ واعاد نشر

هذه القصيدة وقال في مقدمة لها (وحرى بكل اديب او اديبة يحبان العفة

والفضيلة ان يجعلها هذه المنظومة دستوراً لتعاليم الفتاة الشرقية) ص ١٣٠

ولعل أعنف رد على الرصافي هورد صديقه محمد بهجة الاثري فقد هاجمه عندما نظم قصيدته العينية^(٢٥) فقال ان الرصافي طالب خلاعة وانه جاهل ثم رماه بالكفر والضلال والمروق ومن الطريف ان ينشر الرد في جريدة الرصافي (الامل) ويرد عليه الرصافي ردا لطيفا هادئا ويعذره فيما ذهب اليه ، لانه حماس الشباب دفعه الى مقال وختم مقاله بالرجاء له بالخير^(٢٥) وقد صدق جانب كبير من رجاء الرصافي فقد وجدت في مجموعة شعر الاثري الخطية قصيدتين احدهما نشرت في مجلة الرسالة العدد ١٣٣ وصف ماتعانيه المرأة من مشاق وعذاب ووصف في الثانية الرجل الذي اذا بشر بالانثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) وان لم يكن الاثري فيهما من دعاة السفور فان فيهما دعوة الى انصاف المرأة قال :

عجبت للمرأة وكم داعية للعجب
ان بشروء بابنة بيت صريع الغضب

وكان الزهاوي مندفعاً في تأييد حقوق المرأة وسفورها فقد قال عنه رفائيل بطي انه نشر مقالا في جريدة المؤيد الاسبوعية المصرية في عددها ٦١٣٨ بعنوان (المرأة والدفاع عنها) ولم يكن المسلمون على استعداد لتقبل هذه الآراء فقامت ضجة هاج لها المسلمون واشاعوا بان الشاعر تحامل على الدين الاسلامي في مقاله وذهبوا متجهرين الى والي بغداد العثماني وطالب احد المبعوثين^(٢٦) والي بغداد عزل الشاعر من وظيفته فاجيب الى ما طلب ولزم الزهاوي داره خوفا من اذى الناس^(٢٨) ولتعد تتلمس بعض الحقائق ونر الجو الذي احاط بالزهاوي فنقرأ مقاله في جريدة الرقيب والذي وجهه الى « ناظم الحكومة في بغداد » فقد قال فيه « ٠٠ اسمع ان أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى في بغداد - هذا البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقفي - اخذ يدير رحي فتنة ، فقام يحرض الجاهلین على

(٢٤) ديوان الرصافي ص ٣٣٤

(٢٥) جريدة الامل العدد ٦٣ السنة الاولى ١٩٢٣

(٢٦) السيد مصطفى الواعظ

(٢٨) الادب العصري ج ١ ص ٩ ويلاحظ المقال في عدد (المؤيد) المرقم ٦١٣٨

الصادر في السابع من اغسطس ١٩١٠

الايقاع بي باسم الدين البري من الظلم جزاء مقالة اجتماعية نشرت بامضائي في المؤيد الاسبوعي - كما في تنوير الافكار - دفاعا عن المرأة .. ثم اخذ يشكك بكتاب المقال وشخصيته فقال «...» وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها لم يتعين بعد اكتابها أنا؟ أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق؟ والذي ارجو من الحكومة الدستورية ان لاتقتص من الصابغين اكفهم بدمي اذا كان مايريده المحرضون - اظنهم اكثر من واحد - بل تعني بتعليمهم وانقاذهم من الجهل لئلا تمتد ايديهم في المستقبل الى منكذ آخر مثلي يتمنى في كتاباته اصلاحا للامة اجتماعيا...»^(٢٩) وقد نظم الزهاوي قصة ذكر فيها ان الناس تجمهروا ثم جاءوه غضابا صاخين وكان منظرهم مضحكا كما وصفه الزهاوي فهذا سائر على مهل وذاك يحبو وذاك يعدو وذاك يقفز^(٣٠) وكأنهم ذاهبون الى دعوة فرح لا الى الانتقام من شخص كافر ملحد، وقد كرر الزهاوي هذا المعنى في قصيدة اخرى وعزا تجمهر الناس الى احد رجال الدين الذي اوغر صدورهم بانه زنديق ومن يفتك به يدخل الجنة^(٣١).

هذه ثلاثة مراجع ذكرت تألب الناس على الزهاوي وتظاهروا ضده للفتك به وقتله وهدر دمه ولتناقش هذه المصادر وقضية المظاهرة ضد الزهاوي :

المصدر الاول رفائيل بطي وقد اخذ معلوماته من الزهاوي مباشرة وقد صاغ الزهاوي ما اراد واسبغ على نفسه ما انتهى وهو لا يخرج عما نظمته الزهاوي المصدر الثاني ما كتبه الزهاوي في جريدة الرقيب وفيه يعبر عما حدث له من آلام شاكية للوالي طالبا حمايته متبرئا من اقواله وليس في النص شيء عن تجمهر الناس وقيام مظاهرة وانما هناك من يحرض الناس للايقاع به .. وهذا كثيرا ما يحدث .. فالمصدر الاول والآخر عن قيام مظاهرة ضد الزهاوي هو الزهاوي في شعره ونثره .. وليس من المعقول ان تحدث مظاهرة ضد الزهاوي ولا تقف بجانبه جريدة الرقيب وتسند كما ساندت الرصافي . لذلك فانا في شك

(٢٩) جريدة الرقيب العدد ١٧٢ السنة الاولى ٧ شوال ١٣٢٨ هـ

(٣٠) ديوان الزهاوي (مصر ١٩٢٤) ص ٣٠٧ الى ٣٠٩

(٣١) نفس المصدر ص ٩٠ الى ١٩٣

مريب من حدوث مثل هذا الامر وكل ما حدث للزهاوى ارسال كلمة تهديد مغفلة التوقيع^(٣٢) فصور خياله حدوث مظاهرة تريد القتل به فنظم قصيدة رسم ماتخيله فيها واستحلى الامر وكرره واعتقد هو بصحته وقد يرد قائل لم يعزله ناظم باشا ومنصبه والجواب عنه بان الزهاوى كتب المقال ولم يتفق مع رأي ناظم باشا وربما استرضى بعض رجال الدين وقد كان ضد الزهاوى لانه كان يكره الاتحاديين الذين كان الزهاوى منهم ولكن لم تحدث مظاهرة ضد الزهاوى .. ولو كان الرأي الى نشر شعره ثم ان الرقيب آذنته بمقال نشر في ٦ ذى الحجة ١٣٢٧ ونشر الزهاوى قصيدته ثم كلمته الموجهة الى ناظم باشا في ٧ شوال ١٣٢٨ وهناك فرق زماني بين نشر القصيدتين ولعل ما اثار رجال الدين على الزهاوى هو تطرفه في الدعوة الذي لم تؤد الى مظاهرة *

الزهاوى بطبعه خائف شكاء بكاء يهول الامر لابرار نفسه بصورة البطل لكي يغطى على خوفه وهو مريض سقيم اذا اصيب بألم صرخ وجأ وبكى واشتكى فيقول :

اشكو الى اي هذي الناس مظلمتي وقد درى باضطهادي الترك والعرب^(٣٣)
وفي قصيدة اخرى يصف جزعه وكأنه طفل يبكي فيقول :

لي تحت استار الدجّة رنة مشفوعة بتهدي وزفيري
مرفوعة لخفي سمع راحم مدفوعة من قلبي المكسور^(٣٤)
بل يتصاغر في هذه القصيدة حتى يصف نفسه بالمصفور الذي تهاجمه الغربان والنسور فيهرب متواريا خائفا في جحر جدار ومن كانت هذه صفاته لاشك بانه يحاول ان يجعل من نفسه بطلا بعد فوات الاوان ويسبغ على نفسه صفات الزعامة والاصلاح ولو كان وجود المظاهرة حقيقة وان الوالي عزله بسبب مطالبته في الاصلاح فلم لم يذكر ذلك في قصيدته التي سب بها ناظم باشا بعد

(٣٢) حقيقة الزهاوى للعبیدی ص ٦٠

(٣٣) ديوان الزهاوى ٣٠٦-٣٠٧

(٣٤) المصدر السابق ١٠٩

عزله وكان سبب نكته^(٣٥) .. وتظهر اخلاق الزهاوي جلية في شعره فقد وجدناه
 ين وبكي ويزفر طول الليل ويزدرف الدمع السخين خوفا وهلعا ، اما الرصافي
 فقد كان معتزا بنفسه وبكرامته ويفخر بما يصيبه من الالم ويتحمله ولا اشك في
 ان الرصافي كان يتألم وبكي ويهلع شأن كل انسان ولكن الرصافي لم يحاول
 ان يرسم في شعره شخصيته قلقة خائفة .

ولست انكر فضل الزهاوي على تحرير المرأة وصدق دعوته ونضاله في
 سبيلها ، فشعره يطفح بالامثلة الحسنة ولكن لم يكن مركز الآراء موحد الموضوع
 عميق الفكرة فهو يطالب بحرية المرأة وسفورها واعطائها المركز اللائق بها ولكنه
 يعالج بنفس القصيدة مشكلات اخرى ولا ينسى ان يحشر نفسه ، فمن شعره في
 مهاجمة الحجاب يخاطب فيه الفتاة :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا	واسفري فالحياة تبغي انقلبا
مزقيه واحرقيه بلا ريب	ث فقد كان حارسا كذبا
مزقيه وبعد ذلك ايضا	مزقيه حتى يكون هبلا
وانزعجه بقوة وطئيه	واجعلي في قم الخنيق ترابا

ويهاجم دعاة الحجاب ويرد عليهم فيقول :

زعموا ان في السفور سقوطا	في المهاوي وان فيه ضرابا
واذا ما طالبتهم بدليل	يثبت الدعوى اوسعوك مسابا
كذبوا فالسفور عنوان طهر	ليس يلقي معرة وارتبابا ^(٣٦)

ويتلخص رأي الزهاوي في السفور بقوله :

قال هل بالسفور نفع يرجى	قلت خير من الحجاب السفور
انما في الحجاب شل لشعب	وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو الى الحضارة شعب	منه نصف عن نصفه مستور ^(٣٧)

(٣٥) المصدر السابق ص ٧٣ وقد فرقها في الديوان حسب موضوعاتها في
 الصفحات ١٩٠ و ١٩٣ و ٢٧٦ و ٣٠٧

(٣٦) الباب ص ٣٣٥-٣٣٩

(٣٧) الاوشال ص ٣٣٥-٣٣٩

وقد عالج الزهاوي في شعره مكانة المرأة وبحث ماتعانيه من سوء المعاملة ونطرق الى تعليمها وعكس لنا احساسه الشخصية اكثر مما عكس لنا مجتمعه فقد كان الزهاوي مريضاً مصاباً بالاوجاع والاسقام ولا يخنو عليه ويرأف به سوى زوجه وكان صدى هذه العناية عميقاً في نفسه فاراد ان تعامل المرأة معاملة مثلى ولم يكن له من شفيع اليها غير لسانه فاطال فيها القول واشاد في شعره في الدفاع عنها وطالب بمعاملتها برقة وحنان ولم يكتف بذلك بل هاجم الرجال وقال انهم قساة غلاظ القلوب مع ان الرجل في كل زمان ومكان يذوب رقة مع المرأة ويعاملها معاملة تختلف عن معاملة الرجال وخاصة في المجتمع العراقي ، ولم يكتف بذلك بل بالغ في اوصاف المرأة فوصفها بالربيع والازاهير ، وان صوتها الموسيقي الرائعة وهي التي ترعى زوجها بقلب محب عميق الحب ولولا وجودها لما طابت الحياة وانه عبد مطيع لها ، ثم يجمل سعادته النفسية بان تطيعه زوجه وان يطيعها فقال :

سعادة المرأة زوج يطيعها وتطيع (٣٨)

فسعادته هو ان يطيع زوجه ثم استدرك و اضاف ان تطيعه لاستكمال البيت . وقد كان الزهاوي يعطي زوجه كل الاهمية في شعره وكأنني به كان ينظم وامامه زوجته وقد نسي فضل الام التي لاتقل قيمة في اهميتها عن الزوجة ولعل حرصه على رضا زوجه هو الذي دعاه الى ذلك . وقد كرر هذه المعاني كثيراً في شعره واكد على ضراوة الرجل وصبر المرأة كما بحث مشكلات المجتمع كالطلاق وزواج الفتاة بعجوز^(٣٩) وبانسان تكرهه او برجل سيء الخلق شرس الطباع^(٤٠) وقد طالب الزهاوي بمساواة المرأة بالرجل واتخذ من الغرب نموذجاً لهذه المساواة فقال :

للمرأة اليوم في مجلس القضاء محل
للمرأة اليوم في البرلمان عقد وحل

(٣٨) ديوان الزهاوي ص ٣١٠-٣١١

(٣٩) المصدر السابق الصفحات ٣٨ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٦٨-٧٣ والاول شال ص ٧١

(٤٠) ديوان الزهاوي ص ٣١٠ و ٣١٤

للمرأة اليوم في استكشاف الحقائق شغل^(٤١)

ورأى صورة الاسرة السعيدة الناجحة هي في اوربا ، والبيت يقطر سعادة
وهنا حين يمرح فيه الاطفال ، فقال :

بيت نظيف واولاد قد ازدهروا كأنهم زهر في الروض ينتقل
والبيت فيه نظام حين تبصره وانه لنظام مابه خلل
تبقى المودة حتى الموت بينما فما هنالك شأن ولا ملل^(٤٢)

وكما هوجم الرصافي فقد هوجم الزهاوي وانهم بالاحاد والكفر والزندقة^(٤٣)
وكان مركز دعاة السفور بغداد لانها اكثر تأثرا بالحضارة والحركة ومركز
الثقافة^(٤٤)

اما دعاة الحجاب فقد قاوموا الدعوة الى السفور منذ ظهورها في يومها الاول
وبقي هؤلاء صامدون يحاربون الدعوة للسفور وحرية المرأة وتعليمها ومن ثم
بدأوا يتساهلون ويعلمون المرأة فقد تغيرت الاحوال العامة ودخلت الحضارة في
الشرق وتطورت المجتمعات الشرقية بصورة عامة واخذت تنخر في القوى المحافظة
يوما بعد يوم وقد كان من اشد المعارضين للسفور رجال الدين ومن اقواهم
اسلوبا الشيخ جواد الشيبسي فقد وضع مشكلة السفور في مصاف مشكلات الوطن
وخطوبه الجسام التي اقلقت باله وأرقته فهي مشكلة لا تقل قيمة في نظره عن
الاستعمار وفساد الحكم وفقر العمال وقد وصف السفورات بانهن داعيات الى
الخلاعة وان السفور منعه الرسول والقرآن ، وسفور الوجه يكشف حمرة
الخدود وزهو الوجوه وقد تشدد الشيخ جواد في رسمه للطريق الامثل الذي
يجب ان تحتذيه في الكلام واللبس ولو عدنا باذهاننا الى العصر الذي عاش فيه
الشيبسي لوجدنا مقدار اهمية هذه القصيدة فقد كانت الهوة سحيقة بين حياة الرجل

(٤١) المصدر السابق ص ٣١١

(٤٢) الاوشال ص ٧٠

(٤٣) لاحظ قصيدة محمد رشيد الشيبسي داود مدرس جامع الحيدر خانة في (النجف)
العدد ٥٤ السنة الثانية الصادر في ٥ ايلول ١٩٢٦

(٤٤) توجد اشارة للسفور في شعر الصافي النجفي في ديوانه الامواج ص ٧٩

وحياة المرأة ولكل من حياته ما يختلف عن غيره ولعل وجود (الحريم) و (الديومخاته) يعطينا فكرة واضحة عن هذين العالمين اللذين ابتعد بعضهما عن بعض ولم يكن يطلب دعاة السفور الا كشف الوجه والاحتفاظ بالعباءة او العباءتين .. فلا نعجب ان قاوم المحافظون السفوريين ، وفي قصيدة (الجواد) نموذج رائع لما كان يفكر به آباؤنا ، قال :

منع السفور كتابنا ونبينا	فاستنطقي الاثار والايات
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت	لناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتم في البراقع خفية	من ان تمس حصانة الخفريات
واليوم فتحها الصبا فتساقطت	بعواطف الاحاظ والقبيلات
صوني جمالك بالبراقع انها	ستر الحسان ومظهر الحسنات

ويمنع الفتاة من ان ترفع صوتها لان الجهر بالصوت ليس للفتاة انما للفتى
المحاج او الخطيب ويوصي الفتاة في ملابسها فيقول :

وضعي الصدار على الترائب انه	حق عليك فحق نهديك ناتي
وتماثلي في البيت صورة دمية	مكونة الاعضاء في الجبرات (٤٥)

وقد كانت اكثر الصحف تؤيد الدعوة الى الحجاب فاذا قرأنا الجرائد التي صدرت بعد عام ١٩٢٢ نراها تحمل علم الثورة على السفور ومن هذه الجرائد والمجلات : تنوير الافكار والرشاد والمفيد والبدائع . اما الجرائد التي كانت تؤازر حركة السفور فكانت اولها جريدة العراق والصحيفة والعالم العربي وليلى . وقد كان انصار الحجاب توفيق الفكيكي وجميل المدرس و خليل اسماعيل ومصطفى عزة عبدالسلام ومحمد بهجة الاثري والملا عبود الكرخي وعبدالرحمن البناء وحسين الظريفي وغيرهم . وكان من دعاة السفور حسين الرحال ورزوق غنام ومصطفى علي وعوني بكر صدقي ورفائيل بطي ومصطفى عبدالجبار القاضي

(٤٥) ديوان الشاعر المخطوط في مكتبة الشاعر محمود الحبوبى

وغيرهم^(٤٦) وقد كان كل مطبوع ينشر ما يراه ملائما لخطته فكانت مجلة تنوير الافكار تقول ان الحجاب مشروع وتذكر منافع الحجاب للفتاة والمجتمع^(٤٧) وتهاجم مجلة الرشاد رزوق غنام لانه طالب بارسال الفتاة الى اوربا لكي تتعلم اسوة بالرجل فتد المجلة قائلة ان ارسال البنات الى اوربا معناه ارسالهن للتمرين على الخلاعة والفساد^(٤٨) وتنتشر قصيدة للبناء يهاجم بها السفوريين بقصيدتين ويعتبر كشف الوجه امرا لا تقره الشريعة الاسلامية ، وخشى على نفسه من الفتنة والغواية والانصياع لداعي الهوى ولم يخف على المرأة من الفساد والتهتك واعتبر دعوة السفور شرك لاصطياد الضعاف للتمتع بالمرأة ، لذلك خاطب المرأة بقوله :

وجوه الغايات بلا نقاب تصيد الصيد في شرك العيون
اذا برزت فتاة الخدر حسرى تقود ذوي العقول الى الجنون^(٤٩)

ثم يحذر الفتاة من الفخاخ المنضوبة لها وفي القصيدة الثانية يظهر ألمه واضحا واعتبر السفور فتنة وشرا وشبه المرأة بالزهر في كمها فاذا تفتحت قطفت او كالجوزة يراد كسر قشرها لتأكل ويبدو تمسكه بالحجاب قوله عن لسان الفتاة :

برقعي وسط محيطي شرفي لم اجد عنه ولو ذقت العذابا
ولم يكف بهذا انما خاطب العراقيين بقوله :

ايها القوم اصلحوا انفسكم خاب من رام سفور الوجه خابا^(٥٠)

-
- (٤٦) لاحظ (مختارات في الحجاب والسفور) جمعها مصطفى عبد الجبار ففيها نماذج فريدة مما نشر وقيل عن السفور والحجاب حتى ١٩٢٤ (بغداد)
(١٩٢٤) وقد كتب الصديق الاستاذ خيرى العمرى مقالات ممتعة عن هذه المشكلة نشرت في ملحق جريدة الشعب الذي كان يصدر باسم (عدد الاسبوع) في الاعداد ٣٥ ، ٣٦ ، ٨٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ صدرت عام ١٩٥٨
(٤٧) تنوير الافكار العدد ٣ السنة الاولى الصادر في ١٩٢٨
(٤٨) مجلة الرشاد العدد ٨١ السنة الثانية الصادر في ٣١ تموز ١٩٢٨
(٤٩) مجلة تنوير الافكار العدد ١٠ السنة الاولى ١٩٢٩
(٥٠) المفيد العدد ٢٧٠ السنة الثانية ١٩٢٤ ونشرت في الديوان ص ١٦٥ ج ٢ ونشرت في مختارات من الحجاب والسفور ص ١٢٠

وقد كانت جرائد دعاة السفور تناضل في الذود عن كيان السفور وتحسنه وتشر اخبار نساء العالم وتذكر تقدمهن في حركة الاصلاح في تركيا وما تحوزه في امريكا واوروبا من المناصب بعنوانين ضخمة لتدل على مكانة المرأة وقدرتها وتصف حالة المرأة الاجتماعية وتبحث في انجع الطرق لاصلاحها والدعوة الى السفور لانه التجديد والبناء غير ان اكثر هذه الجرائد لم يكتب لها الاستمرار ولعل اختصاصها الزائد بالمرأة وعدم وجود المناصرين لها هما اللذان قضيا عليها لان الشعب العراقي آنذاك شعب جاهل تؤثر فيه الخرافات ويسير دون تفكير مع الذين يراهم زعماءه .

ومن الطريف أن يشارك الشعر العامي في هذه الدعوة ، فقد هاجم الملا عبود الكرخي دعاة السفور بقصيدتين عنوان الاولى (بعدا ثم بعدا ياسفوريين) والثانية عنوانها (حرية النسوان وفئة غسان)^(٥١) وكانت الدعوة الى تعليم المرأة تسير جنبا الى جنب مع الدعوة الى السفور ، فقد اتفق اكثر العراقيين بعد تشكيل الحكم الوطني على ضرورة تعليمها سواء منهم من يدعو الى السفور ومن يدعو الى الحجاب فقد كان الانسان لا يجروء على الدعوة الى تعليمها خوف ان تؤدي معرفتها بالكتابة الى فساد اخلاقها . ولما احتل الانكليز العراق فكروا في انشاء مدارس للبنات اسوة بمدارس البنين ولكنها لم تفاجيء الناس بفتحها وانما اعلنت نظارة المعارف في ١٩١٩ اعلانا في الجرائد قدمت له بمقدمة قالت فيها (ان الهيئة الاجتماعية لكل أمة تتقدم برجالها ونسائها معا فلا يصلح الرجل وحده اذا لم يستعن بالمرأة التي هي اساس العائلة وسعادة الامة فالمرأة الجاهلة لاتعرف شيئا من مطالب هذا العصر ، عصر الحضارة والعلم ولقد اسهب علماء التربية والاجتماع في ابحاثهم عن ضرورة تربية المرأة تربية صحيحة لانها محور سعادة العائلة)^(٥٢) ثم ذكرت الدروس التي ستدرس وقد سار تعليم المرأة سيرا بطيئا فلم تؤسس في سنة ١٩٢٠-١٩٢١ غير ثلاث مدارس بينما كان عدد مدارس البنين ٨٥ مدرسة

(٥١) مختارات في الحجاب والسفور ص ١٢٣-١٢٨

(٥٢) جريدة العرب العدد ٧٠١ السنة الثالثة ١٩١٩

ووصل في السنة الثانية الى ٢٧ مدرسة حتى وصل العدد عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ الى ٢٥٦ مدرسة ابتدائية وتأخرت مدارس البنات الثانوية حتى عام ١٩٥٣-١٩٥٤ (٥٣)
وقد كان لدعوة الجرائد الى نشر التعليم بصورة عامة ودعوة السفور عامل حسن الاثر وقد آزر الدعوة كثير من الشعراء ولم يقدر المعارضون على وقف عجلة الزمن والتقدم وقد اكتسحهم سيل المدنية ، فانتشرت المدارس وشاركت المرأة الرجل في الحياة العامة وفي كل الكليات عدا (الشرطة والجيش والشرطة) وقد برزت في الحياة الاجتماعية برغم حملات الصحف التي كانت تثيرها النسوة ليسمعن صوتهن ويثبتن وجودهن •

(٥٣) في (التقرير السنوي لوزارة المعارف) التفصيل في الصفحات ١٠، ٤٠، ٥٠.

الفلاح والاقطاع

- ٣ -

حالة الفلاح العراقي تدعو الى الالم والحسرة الموجهة فلم يصبه أي تطور اجتماعي ملموس طوال هذه الفترة لان اكرثية مالكي الارض او المهيمنين عليها هم من رؤساء العشائر الذين يستخدمون ابناء العشيرة لمنافعهم الخاصة وقد فقد الفلاح الضمان الذي يحميه من الرئيس الذي كان يعطيه ايام الدولة العثمانية^(١) بعض الدخل ليعيش عليه لانه كان يعتبره فردا من افراد العشيرة وعليه ان يضمن له شيئا من المورد . غير ان هؤلاء الشيوخ اخذوا يستولون على الارض ويسجلونها بأسمائهم بعد ان كانت تسجل باسم العشيرة وتبقى باسم الدولة وقد ساعد قانون تسوية الاراضي الشيوخ على استملاك الاراضي وسجلها باسمائهم وحوّل ابناء العشيرة الى فلاحين ليس لهم غير جزء من الانتاج ، فتحول ابن العشيرة الذي كان له ارض يملكها الى اجير يتقاضى اجرتة كمية محدودة من الانتاج . مع انه يقوم بكل ماتحتاجه الارض من حرث وبذر وعناية طول الموسم الزراعي، ثم يحصد الانتاج فيأتي شيخ القبيلة ويأخذ اكثره . ولم تجده^(٢)

(١) كانت الارض في العهد العثماني ملك السلطان ولما خسرت تركيا الحرب ودخل العراق تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي ثم الحكم الوطني اصبحت الارض ملكا للدولة وكانت تؤجرها لشيوخ العشائر وقد كان يدخل في الاستئجار عدة عوامل كنفوذ الشيخ وعدد افراد العشيرة ومقدار خطره .

Land Reform & Development in the Middl East P. P. 135, 136, 137.

(٢)

عوامل الرفاه المتيسرة في العراق من وفرة المياه وخصوبة الارض وتدفق النفط في رقع مستواه واسعاده^(٣) فما يزال الجوع القاتل ، والمرض الفتاك والجهل المطبق تعبت به فيعيش في فقر لم ير الغرب مثله^(٤) وكثيرا ما اضطر الى ترك الارض التي بذل جهدا في شق ترعها لانه عاجز عن شراء البذور اللازمة^(٥) لها لتحكم رجال الاقطاع والمرابين في موارده^(٦)

وقد ساعد ضعف الحكومات المركزية المتوالية في العراق على توسيع نفوذ الاقطاع اذ اخذ كل اقطاعي يوسع اراضيه دون حسيب او رقيب^(٧) بطرق شتى مرة باغراق الفلاح بالديون واخرى يأخذ الاراضي بنفوذه وقوته حتى عدا الفلاح اجيرا مستمرا يشتغل عند الملاك والشيوخ لاستحالة تسديد ديونه من الحصة الضئيلة التي يتسلمها من الحاصل ، فهو لا يأخذ الا حصصا تتراوح بين ٤٠٪-٥٠٪ وقد لا يتجاوز حقه من الانتاج ٢٥٪^(٨) وقد قدرت الباحثة الانكليزية دورين وارنر دخل الفلاح العراقي بين خمسة باونات وخمسين باونا^(٩) ومن هذا المبلغ يصرف لطعامه ولشرابه وكسوته له ولاسرتة فلا تعجب اذا سادت الامراض بين الفلاحين وتفشى سوء التغذية بينهم اذ قلما يأكل الفلاح طعاما يسمن من جوع او يغذي حاجة الجسم المجهد الضرورية ،

(٣) المصدر السابق

(٤) مقدمة كتاب وارنر Land & Povtrty in the Middle East.

ونظرات في اصلاح الريف - عبدالرزاق الحسني ص ٢٦ و ٢٨

(بيروت ١٩٥٤) ومجلة عالم الغد مقال باقر الدجيلي

(٥) راجع الاسباب الموجبة لسن قانون استثمار اراضي الدجيلية

(٦) الملكية الصغيرة في العراق - بغداد ١٩٥٣ الصفحات ١ و ٢ و ٧٥

(٧) لبحث مشكلة الاقطاع في العراق يراجع الاقطاع والديوان في العراق

لعبدالرزاق الظاهر . ونظرات في اصلاح الريف لعبدالرزاق الهلالي .

والاقطاع في العراق لابراهيم كبه .

(٨) نظرات في اصلاح الريف (بيروت ١٩٥٤) ص ٢٦ و ٢٨ وعالم الغد

العدد ٢٣ / ١ مقال لباقر الدجيلي

ويتبلغ بالخبز وحده في اكثر الاحيان اما اللحم فلا يفكر فيه يوما من الايام لانه لن يجده الا على موائد الشيخ الاقطاعي الذي يقيم الحفلات لذوي السلطة ويعطي الفضلات للفلاحين الذين ينتظرون فروغهم من الاكل بصبر زائد .

وليس للفلاح قانون يحميه من الاقطاعي فهو يطرده متى اراد ويلاحقه بديون التي اخذها اليأكل بها وليعيش وقد حكمت بعض القوانين عليه بالبقاء في خدمة الاقطاعي حتى يسدد ديونه ولا يجوز ممالك آخر ان يستخدمه مادام مدينا بمبلغ للمالك غيره^(١٠) ومن هجر القرية تخلصا من هذا الشرق فالسلطات تلاحقه وتحجز اجرتة اليومية لتسديد ديون الاقطاعي^(١١) اما الماء النقي فهو من الكماليات التي لم يفكر فيها الفلاح فقد اعتاد على الماء يشربه من الانهار مباشرة يحمله في جرار وحباب لخزنه لا لتصفيته ويسكن في بيوت مبنية من الطين وسقوفها من الجريد ومن جذوع النخل ويعيش مع حيواناته في حجرة واحدة لانوافذ لها لانه يخشى البرد القارس اذا فتح نافذة ، وفي بعض المناطق من جنوبي العراق يسكن الفلاح في صرائف معمولة من الحصر والباريات وقد يفترش الارض او يبني له دكة من الطين مرتفعة عن الارض قليلا^(١٢) وقد انتشرت هذه الصرائف حوالي بغداد هربا من جحيم الاقطاع واملا في الكسب من العاصمة بما يقوم به الفلاح من اعمال في مختلف مناحي الحياة ، وقد حاولت بعض الحكومات العراقية اصلاح حال الفلاح العراقي بتشديد بعض القرى الحديثة لرفع مستوى حياة الفلاح وتشجيع الملكية الصغيرة في مشروع الدجيلة^(١٣) غير ان الاقطاعيين وكبار الملاكين كانوا يقاومون هذه الاصلاحات بقوة خوفا من ان ينتبه الفلاح ويحد من سلطانهم ، وقد ساعد على مؤازرتهم ، تشابك مصالح رجال الحكم مع مصالح الاقطاع^(١٤) لذلك

(٩) الارض والفقير لاحظ المقدمة .

(١٠) قانون حقوق ووجبات الزراعة رقم ٨ لسنة ١٩٣٣

(١١) المادة ١٦ب من القانون المار الذكر

(١٢) الملكية الصغيرة في العراق ص ٢٦ و ٧٨ ومقدمة الارض والفقير

(١٣) قانون تشييد القرى الحديثة رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٦

(١٤) الارض والفقير ص ١١٩ ونظرات في اصلاح الريف ص ٤٢ و ٤٦

لم ينفذ قانون تشييد القرى بالرغم من مرور عشرين سنة على تشريعه^(١٥) لعدم وجود قوة تضطر الحكومة الى العمل به والحد من شهوات هؤلاء ولن تحد من اطماعهم وسلطانهم غير صدق النية والقوة^(١٦)

اما التعليم بين الفلاحين فمتأخر جدا وشيوخ القبائل يكافحونه مكافحة جبارة فهم يرتعون من تعليم الفلاح خوفا من ان يشعر بالغبن الواقع عليه من قبلهم . ومما يؤسف له ان يساعد الاقطاع وشيوخ القبائل موظفو الدولة ليحصلوا على رضا الشيوخ وهداياهم وكثيرا ما هددت ارواح المعلمين وسرقت امتعتهم حتى جزعوا وتركوا العمل من بين ظهرائينهم ، ولاننس معاملة المعلم بالاحترار والازدراء وعدم حمايته من موظفي الادارة ورد الاذى عنه وكثيرا ما يتعامون عما يصيبه ويلقون اللوم على المعلم نفسه^(١٧) .

هذه حال الفلاح العراقي العامة انعكست في الشعر العربي في العراق وقد حاول الشعراء اسعاده لانه جزء من هذا الشعب الكبير . والملاحظ ان شعراء الفرات ولاسيما النجف هم اكثر عناية بمشكلات الفلاح لاحتكاكهم المباشر به ولان اكثرية الشعراء هم من طبقة فقيرة لهم صلات وثيقة به ويقابل هذا الامر شعراء المدن الذين عنوا عناية خاصة بالفقر والفقراء ومشكلاتهم . ولعل ابرز شاعر عالج مشكلة الفلاح بعمق وبأخلاص هو محمد صالح بحر العلوم فقد اهدى ديوانه العواطف الى الفلاح قائلا :

تقبل أيها الفلاح مني	عواطف يستبان بها شعوري
ولا تحزن اذا لم تلق ثوبا	يقيك ، وثوب غيرك من حرير
فشان الدهر لم يعرف ضعيفا	ولم يألّف مجازاة الفقير

وقد فاض الديوان بوصف حالة الفلاح عامة وما اصابه من بؤس وشقاء

(١٥) وقت كتابة هذا البحث كان اغسطس ١٩٥٦

(١٦) حدث ثورة ١٤ تموز الخالدة من هذه الشهوات وحدث سلطاتهم

(١٧) قضى الكاتب بعض سني حياته معلما في قرى ديالى وتلمس مشكلات الفلاح بنفسه .

وجهل واستغلال ومرض وتأخر وانحطاط في حياته ففي إحدى قصائده سمي
 الفلاح (الحي المقبور)^(١٨) وصف بها ما يعانيه الفلاح من آلام وكيف استغله
 اصحاب القصور ولم يعطوه ما يقابل أجره وكده انما كان جزاءه الحرمان
 والجوع فهو يأكل اردأ الاطعمة ويتحمل برد الشتاء وزمهريره ، وحر الصيف
 ورمضاه صابرا على عيشه مع الحيوانات وبعد أن أتم وصفه حفز الفلاح
 واثاره على اولئك الذين تأمروا على قتله البطيء لان قلوبهم خالية من الشعور
 ونفوسهم مجردة من الاحاسيس والعواطف ، مبتعدة عن الانسانية والرحمة .
 وفي قصيدة اخرى يحيي الثورة ويسمي الثورة العراقية ثورة الفلاح^(١٩) اعترافا
 بما بذله من جهد فقد ضحى بروحه وبماله وحارب المحتلين لكي يجلبهم عن
 ارضه بعزيمة لم تعرف الكلل وقوة لم تعرف التواني والملل ، وناضل بصبر
 ما عرف المهادنة حتى انتصر على الدخيل واذله . لكن عاد الى الكوخ المتهدم ، يعيش
 مع السوائم فقد اذله السادة وهدر كرامته الحاكمون فقد غنموا الهناء وعاد هو
 يجزر رجله للشقاء . وفي قصيدة ثالثة سماها (الفلاح) استعرض مشكلات
 الفلاح العامة وقارن بين حياته وحياة اولى الترف والنعيم الذين سرقوا كده
 وتعبه وقد القى هذه القصيدة في النجف وكان من جرائها ان حكم المجلس
 العرفي العسكري عليه بالسجن المؤبد سنة ١٩٣٥ ، خاطب الفلاح بها قائلا :

انت يا فلاح عانيت البلاء واجتني غيرك اثمار التعب
 تسهر الليل لجعل الاغنياء بارتيحاه وهناء وطرب

وفيها يقارن بين النعيم الذي يرفل فيه اصحاب القصور وبؤس الفلاح
 الذي يزرع تحت وطأته مع ان هذا النعيم هو من عمل الفلاح ومن كده وهو
 اجدر به واخرى بالانتفاع منه فقال :

كم نعيم احرزته فقة هو من دونك بؤس فاتك
 وقصور سلبتها سلطنة منك بالجهور وانت المالك

(١٨) العواطف (النجف ١٩٣٧) ص ٢٠-٣٢

(١٩) نفس المصدر ٨٩-٩٥

ومصاييح علتها بهجة هي لولاك ظلام حالك
أبهذا الوضع تحيا أمة وبها الظلم وباء هالك

غير ان هؤلاء المتنعمين لا يعرفون له حقا فيجب ان يفرضه عليهم ويأخذه
منهم ، فقد سرقوا هذا الحق منه فيجب ان يترك المنجل جانبا ويفرض قوته
عليهم لانهم قوم لا يعرفون غير القوة قال :

حلقت آهات شكواك على جاحدي فضلك ليلا في السما
فأستحالت شهابا ترعى الملا وترى من لا يرعى الذمما
فاترك الزرع ونج المنجلا عنك حينا واملأ الارض دما
وبحد السيف حاسب دولا بينها حقك اضحي مغنما (٢٠)

وليس في الديوان حلول لمشكلات الفلاح ، او تركيز على فكرة محدودة
للاصلاح انها عواطف ثائرة اتقدت عندما رأى حالة الفلاح المتردية فأراد ان
يصلحها .. باسعاد الفلاح ورفع مستوى حياته وليس من عمل الشاعر ان يقدم
مشاريع اصلاحية انما عليه ابراز الحالة السيئة لينبه الشعور وقد كان محمد
صالح بحر العلوم عميق الشعور صادق الاحساس فاندفع بشعوره واحساسه
بالمطالبة بالاصلاح وتغيير الاوضاع السيئة التي يشن منها العراق . والشاعر
عنيف في المطالبة صريح في الدعوة الى الثورة وتحطيم كل ما يقف امام رغبات
الشعب لذلك لم تكن دعوته في يوم من الايام تلاقى بالقبول من الحاكمين فقد
قضى جل حياته سجينا معذبا منكلا به اشد التنكيل حتى ابتلى بأمراض وأسقام
واصببت اعصابه بالأمراض ، ولكنه لا يزال يناضل بصبر وجلد وعزيمة ومضاء
ولا يزال مودعا في السجن من جراء المطالبة المستمرة في سبيل الاصلاح التي
تبلورت آراؤه اخيرا (١٩٥٦) ولعل ما يرعب قلوب الحاكمين منه الثورة العارمة التي
تكتنف شعره ، فهو يقول :

يا ابنة الريف اجمعي لي خطبا وخذي من زفراتي ضرما

واحرقني كل ظلوم غاشم يجد اللذة في ان يظلم
واتركي الرحمة فالتاس هنا همج يحتقرون الرحما (٢١)

والشاعر النجفي الثاني الذي عالج مشكلة الفلاح هو محمد مهدي الجواهري ، فقد عالجها بهدوء وسكون ووصف المشكلات وحذر مما تؤول اليه مثل هذه المشكلات فالترف العاطر والبطر المترف والهناء المغرور الى جانب الجوع الكافر والعري المخزي والمرض الفتاك والفاقة المهلكة امور ستؤدي بالبلاذ الى اسوأ النتائج وافطع العواقب ، فسيأتي اليوم الذي يستفيق فيه هؤلاء الفلاحون الفقراء الجياع المعذبون بسياط الجشع ، ويقف متسائلا كيف ترضى دولة تحترم نفسها ان يكون شعبها متأخرا الى درجة الفلاح العراقي فقال :

الا قوة تستطيع دفع المظالم وانعاش مخلوق على الذل نائم
الا عين تلقي على الشعب هاويا الى حماة الادقاع نظرة راحم
وهل ما يرجي المصلحون يرونه مواجهة ام تلك اضغاث حالم
تعال يد الاقطاع حتى تعطلت عن البت في احكامها يد حاكم

ويتحدث عن الارض التي هي ملك الجميع فيقول :

هي الارض لم يخصص لها الله مالكا يصرفها مستهترا بالجرائم

ويصف حالة الفلاح وكوخه المظلم وجوعه ويسثير هم ذوي النخوة والضمير بقوله :

حسايا من الاكواخ تلقي ظلالها على مثل جب باهت النور قاتم
تلوت سياط فوق ظهر مكرم من اللؤم مأخوذ بسوط الألائم
وبات بطون ساغبات على طوى واتخمت الاخرى بطيب المطاعم
اهدى رعايا أمة قد تهيأت لتستقبل الدنيا بعزم المهاجم ؟

وحاول اقناع الحاكمين بالمنطق والحجة بوجوب مساعدتهم ورفع مستوى

حياتهم ليكون شعبهم قويا يدافع عنهم يوم الكريهة ، اذ كيف يحمي الضعيف
وطنه وهو الهزيل الخاوي وهل يرضى اولو الامر ان تكون الرعايا جياعا عراة
متهدمين ، فقال :

أمن ساعد رخو هزيل وكاهل عجزوز نريد الملك ثبت الدعائم^(٢٢)

ويضرب الامثلة على تردي الحالة العامة والى اين وصلت من التدهور
والانحطاط فقال :

ومروا بانحاء العراق مضاعة وزوروا قرى موبوءة وبقاعا
تروا ما يثير الصابرين اقله عراة حفاة صاغرين جياعا
وان شبابا يرقب الموت جائعا متى اسطاع عن حوض البلاد دفاعا^(٢٣)

وقد ادرك الجواهري اثر الاقطاع في تأخير الفلاح ، واثار الاقطاع في
الدولة ، عندما اصبح بمقتضاه شيخ القبيلة صاحب الملك والاقطاعي الكبير
واصبح ابناء القبائل والفلاحون لا يملكون المأوى ، فوصف الحالة التي شملت
الفلاحين بعد الازمة الاقتصادية^(٢٤) التي اجتاحت العراق وصفا رائعا فريدا ،
قال :

جل معي جولة تريك احتقار الشعب والجهل والشقاء جماعا
تجد الكوخ خاليا من حطام الدهر والبيت خاويا يتداعى
واستمع لانهج سوى نبضات القلب دقت خوف الحساب ارتياحا
فلقد اقبلت جباة تسوم الحي عنفا ومهنة واتضاعا
ان هذا الفلاح لم يبق الا العرض منه يجله ان يباعا^(٢٤)

وقد عالج علي الشرقي مشكلة الفلاح واهتم بها اهتماما كبيرا واعتبرها
من المشكلات الجديرة بالاهتمام فهي ليست مشكلة الفلاح انما هي مشكلة

(٢٢) ديوان الجواهري ص ١٩ ج ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٣) لاحظ قصيدته عقابيل ص ١٤٥ ج ١ بغداد ١٩٤٩

(٢٤) نفس المصدر ص ١٦٢ ج ١ . وقد نشرت في جريدة الاخاء الوطني بغداد

١٩٣١/١/١٨

الشعب جميعه والفلاح عنوان رقي الامة ومظهر من ابرز مظاهر حضارتها
وركيزة من ركائز التقدم اذ ليست المدنية الحقيقية هي المركزة في المدن الكبرى
انما يقاس تقدم الشعب بقراه واريافه ، فقال :

ان تفتش عن ارياح بلاد فتفقد شؤونها والنواحي
واذا ارتاحت البلاد تبدت في قراها علائم الارياح

ووصف مايعانيه الفلاح العراقي من حرمان من خبراته التي يكسبها
سبيلها ولكنه لايفوز الا بما يسد الرمق فهو يعيش في جنة ولكن حياته العذاب
والآلام وقد وصف قرى الفلاحين بقرى النمل ، وهو وصف جميل فقال :

ما لهذا الفلاح في الارض روح أهو من معشر بلا أرواح ؟
هو في جنة ينال عذابا وهو تحت الاشجار اجرد ضاح
وقرى النمل لهف نفسى أثرى من قراه الا من الاتراح

ويثير مشكلة من المشكلات التي كان يش منها الفلاح العراقي طويلا هي
فرض الضرائب الثقيلة التي ارهقته حتى اضطر الى الدين فزادت ديونه عبثا
جديدا على اعبائه واخذ يضمحل شيئا فشيئا ويقتل بغير سلاح ، وهل هناك انفذ
من الفقر سلاحا لذا فقد غدا قلبه الجريح يتنزي الما ويفيض حسرة ولوعة
وكيف لايطفح هذا القلب بالحسرة والحيوانات والبهايم راضية سعيدة فقد
أكلت وشبعت . اما الفلاح وهو الانسان ذو المواهب الفذة والقيمة الغالية ، فقد
حرم حتى من ضروريات الحياة ولم يظفر بالعناية اللازمة ، فقال :

يا ضعيفا ارى الولاة عليه اعرضت من نصائح النصاح
لم يفده سلاحه فهو ليث قتلوه صبرا بغير سلاح
لو نفذنا قلب ذاك المعنى لوجدناه متخفا بالجراح
خص من نهره ومن شاطئيه بخسيس المرعى وبالضحضاح
في مروج من حولها قد تناغت كل صداحة الى صداح

يا ربوعا حيوانها يتغنى بسرور واهلها في نياح^(٢٥)

وقد وصف اثنان كوخ الفلاح عندما فاض نهر الفرات ، فقال :

طافت حنايا الكوخ فوق خصاصه الـ مرقى وعام البيت بالاخشاب
ولقد نظرت اثنائه الطافي فلم ابصر سوى حصر وجرد نيا^(٢٦)

والشعر النجفي في الفلاح كثير وكله عالج مشكلات الفلاح ومن الشعراء
حسين كمال الدين^(٢٧) ومحمود الجبوبي^(٢٨) ومحمد رضا
المظفر^(٢٩) ومحمد جواد السوداني^(٣٠) كما عالجته من العمارة حسين
الحاج وهج^(٣١) ومن كربلاء عباس حلمي^(٣٢) ولعل قصيدة احمد الصافي
هي القصيدة التي حوت جميع المعاني التي تطرق لها الشعراء وهي رائعة الفلاح
بحق ، فقد افتتح بها ديوانه (الامواج) وخاطب فيها الفلاح طالبا منه ان يترفق
بنفسه ولا يحملها كل هذا التعب لان جميع سعيه ذاهب الى غيره ولا يعود عليه
الا بالفقر المدقع والعيش الحقيق والبيت المظلم الداكن الذي يطير اذا هبت الرياح

(٢٥) جريدة العراق العدد ١٨٩٨/٧/٢٦ ونشرت في ديوان علي الشرقي ص ١٦٣
ولاحظ من السنة نفسها العديدين ١٩٦٨ والعدد ١٩٨١ ومن الديوان
ص ١٠٢ و ١٠٩

(٢٦) ديوان علي الشرقي ٢٠٣ ولاحظ ص ١٢٨

(٢٧) النهضة العراقية العدد ١٩٢٨/٢/٢٧٢ ولاحظ قصيدة هادي الشماخ
العراق ٣٤/١٣/٣٨٣٧

(٢٨) ديوان الجبوبي ص ٢٨ ج ١ النجف ١٩٤٨

(٢٩) الادب الجديد ص ١٣٠ النجف ؟

(٣٠) النهضة العراقية العدد ١٩٢٩/٢/٣٢٥ ويلاحظ العدد ١٩٢٨/٢/٢٨١

(٣١) النهضة العراقية ١٩٢٨/٢/٢٥٤ وقصيدة ابن الفرات العدد ١٩٢٩/٢/٤٠٣

ومن طريق قول حسين الحاج وهج :

تخذنا من نبات الارض قوتا ولم نشبع بمكسبنا البطونا
جهدنا زارعين بكل آن فلسنا في المزارع ناجحينا
بذلنا النفس في جد وجهد وعند الحاصلات (مفلسينا)

(٣٢) العراق ١٩٢٦/٧/١٨٦١

عليه ، فقال :

رفقا بنفسك ايها الفلاح	تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك في الصباح على عنائك غدوة	وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذي الجراح براحتيك عميقة	ونظيرها لك في الفؤاد جراح
في الليل بيتك مثل دهرك مظلم	ما فيه لا شمع ولا مصباح
فيخبر سقفت ان همت عين السما	ويطير كوخك ان تهب رياح

وبالرغم من هذا العناء والعيش الذليل في الكوخ الحقيق فان الاقطاعيين لم يتركوا له حتى حريته فقد اقلوه بالديون بعد أن أخذوا حصّة الاسد من الانتاج الذي اذاب لاجله قلبه ودمه ، وعرقه فجاءه الطامعون يستغلون هذا الريح دون رحمة :

هذي ديونك لم يسدد بعضها	عجزا فكيف تسدد الارباح
بفضون وجهك للمشقة اسطر	وعلى جبينك للمشقا ألواح
عرق الحياة يسيل منك لأثا	فيزان منها للغنى وشاح
أصد جيش الطامعين ولم يكن	لك في الدفاع سوى الصياح سلاح؟

ومتى سمع القوي الطامع الصياح والبكاء فهو في شغل شاغل عنه في لذاته وشهواته ، يستبق الكأس المترعة والحنان المغرية في قصر يفيض بالنور المشرق ويتلأأ بالسعادة الهانية ويطلق بجمال الرياش وغالي الاناث وبديع الثياب والستائر . ومتى استمع مستغل جشع الى صوت ضعيف معذب احرق به البؤس واضناه المرض واقعده الفقر وان كان هذا الضعف هو الحق الصريح لذلك وجدنا النجفي يثور ثورة عارمة بعد ان استحال الاصلاح في ظل السلم والمنطق وطلب من الفلاح ان يترك العمل الذي لا يعود نفعه عليه ويعيث بالزرع فسادا لانه لا ينتفع بحاصله ويهلك الضرع الذي يدر على المالكين الخير ، فقال الشاعر والالمرير والياس الحزين في شعره :

يا غارس التمر المؤمل نفعه	دعه فان ثماره الاتراح
أقلعه فالثمر اللذيذ محرم	للغاسين وللقوي مباح

وستبقى مشكلة الفلاح الذي لم يطرأ على مستوى حياته الاجتماعية اي
تقدم محسوس ان بقيت سلطة كبار الملاك مهيمنة على دفعه امور الدولة في
العراق (٣٣) .

(٣٣) اصدرت حكومة الثورة في العراق قانون الاصلاح الزراعي لتوزيع الاراضي
على الفلاحين للقضاء على الاقطاع

مشكلة الفقر

- ٤ -

ان مشكلة الفقر من المشاكل المتمركزة في مدن العراق فهي مثل مشكلة الفلاح في الريف • يعيش اغلبية الشعب العراقي في فاقة لامثيل لها في العالم المتمدن فهم محتاجون الى الطعام الضروري بل المسكن والملبس • وبيوت الفقراء قذرة ، يعيش الفقراء جماعات متكئة في غرف غير صحية مظلمة فاذا أمطرت السماء امتلأت الدور بالاوحال والاطيان • وقد لا يغير الفقراء ملابسهم حتى تبلى واكثرهم يستعمل ما يرد من اوربا من الثياب المستعملة ، ولولا النوم في الهواء الطلق وحرارة الصيف التي تستمر حوالي ستة اشهر فقتل كثيرا من الامراض وتغذي الجسم بالشمس ، بلغت نسبة الوفيات عددا هائلا • وغالبا ما يموت المريض دون ان يرى الطبيب ، اما للضعف المادي او لعدم العناية فيترك المريض للقضاء والقدر ، ولا يزال هؤلاء يطيبون مرضاهم بالتعـاوـيـذ والطلاسم والادعية • ونسبة وفيات الاطفال مرتفعة جدا^(١) واكثر الاطفال يموتون من سوء التغذية واكثر الوالدين مصابون بامراض معدية ويرزحون تحت وطأة الملاريا والبلهارزيا والانكلستوما ، واذا استثنينا المدن الكبيرة فلانزال بعض اقضية العراق لاتعرف المياه المعقمة ولا الكهرباء فهم يشربون الماء بعد تصفيته في الحباب ويستعينون في المدن بالاضاءة البدائية اقتصادا في نفقات ائصال النور الكهربائي الى بيوتهم •

(١) نشرة الاحصاء الصحي والحياتي ١٩٥٢ اصدرته وزارة الصحة العراقية
(بغداد ١٩٥٥) الصفحات ١٥ و ١٢٧ و ١٢٩

وجل الشعراء كانوا من الطبقة المتوسطة او الفقيرة ، فقد كان شعورهم عميقا واحساسهم صادقا . وعلى رأس الشعراء الذين عالجوا مشكلة الفقر كان الرصافي ، الذي عاش في محيط فقير ، فالقرءون محلته الاولى هي النبع العذب الذي تدفقت فيه اشعاره واصفة عذاب الانسانية وأنيها . فقد عكس لنا صورة حية صادقة من حياة هؤلاء الفقراء . . . وديوان الرصافي فياض بوصف الفقر والفقراء تارة في صورة اليتيم في ايام العيد الذي لا يملك ما يملكه ابناء الاغنياء من غالي الثياب ونفيسها ، وهو يرى اترابه يرفلون بالملابس الزاهية الجديدة فيعود الى أمه حزين القلب كسير الفؤاد هضم الآمال^(٢) . ومرة يصور الفقير الذي يموت جوعا ومرضاً ، لانه لا يملك اجر الطبيب^(٣) وآونة يصف أرملة تريد الغذاء لولدها^(٤) وقد عالج الرصافي هذه المشكلات معالجة دقيقة ونظمها على شكل قصص مبرزا كل العواطف والاحاسيس ، والقصة اشد اثرا في النفوس ثم يمزج القصة بالدعوة الى الاصلاح ويرسم سبل الاصلاح شأن الاجتماعي الماهر الخبير . وقد كانت اكثر قصص الرصافي واقعية مستمدة من الحياة . فقد سئل مرة لماذا نظم (اليتيم في العيد) فقال خرجت لصديق لي بائع تبغ امام جامع الحيدرخانه ليلة عيد الاضحى وبينما كنت جالسا في حانوته اشارت اليه امرأة متحجبة بدا فقرها من عباءتها ان ينزل فتهاوسا وانصرفنا فسألت صديقي عن خطبها فقال انها أرملة تعيل يتيمين وجاءت بصحن لترهنه لقاء أربعة قروش لانهما جائعان فلحقتهما مسرعا وسلمت لها اثني عشر قرشا وهي جميع ما املكه فاخذت المبلغ بتردد وخوف ثم ناولتني الصحن قائلة: الله يرضى عنك ، خذ الصحن . فرفضت ذلك وعدت الى بيتي والدمع ينهمر من عيني راسما للبشرية المعذبة صورة حقيقية من صور (اليتيم في العيد) . وسرد قصص الرصافي كثيرة وسأخذ صورتين من الصور التي رسمها الرصافي . فمن هذه الصور صورة فقير جائع ليس له من يساعده في مرضه غير اخت يعيها غير ان

(٢) الديوان ٥٨

(٣) ديوان الرصافي ٩٤

(٤) ٢٠٤ ، ،

المرض حال دون ذلك فاشتد به الجوع والمرض ، وعندما طلب الخبز للاكل قدمت له الماء لعدم وجود كسرة خبز في البيت :

رام خبزاً والجوع اذكى الاورا في حشاه فعللته اصطبارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء اورا
يطفىء الجوع ذاكيا في التهاب

انها صورة رائعة للفقر في أجسم مظاهره ، عندما يدهم الانسان الجوع والمرض والعوز ، فما كان من اخته المسكينة الا الاستعانة بالجيران ، ولكن هل يساعدها الجيران ويحسنون اليها كل يوم واذا أمدوها بالطعام فمن اين الطبيب المداوي . ويصور الرصافي المريض وهو يشرف على الموت بعد ان اتحد المرض والجوع عليه وجلست اخته القاصرة عن عمل اي شيء وهي ترى ميعلها يزحف الموت نحوه وتصاب ببلية اخرى بعد موته هو بقاؤه بدون كفن او دفن حتى يحسن احد الاغنياء الى الميت بالكفن . فيؤنب الرصافي الاغنياء فيقول :

ايها الاغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما قد رحمت
سهر البائسون جوعاً ونمت بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب
كم بذلتم اموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الآله ايها الموسرون بعض انتباه
افتدرون انكم في تباب^(٥)

ويعالج الرصافي مشاكل العراق الاجتماعية متأثراً بالدين وان صلحت معالجته في العصر الاسلامي فلا تصلح لعصره فالناس غدوا لا يخافون الحساب ولا يرهبون سوء المصير ، فالقليل منهم يبذل في سبيل الله ومرضاته ، وجلهم منصرف الى نفسه اذ لم يبق مَرَّ القرون المثل الفاضلة فيعتمد على احساس الناس واحسانهم وانصافهم للفقراء وشعورهم بالآلم الفقير املا برحمتهم للارامل^(٦) لان الاحسان

(٥) ديوان الرصافي ١٠٢

(٦) ٢٠٦

الى الفقراء حلو جميل يقيد النفوس بالحب ويطلق الالسنه بالثناء والحمد ويكون الفوز المبين للرجل المحسن^(٧) ولم يكن الرصافي ناثرا في شعره الاجتماعي كثورته في شعره السياسي ولعل نظرية القضاء والقدر هي التي أثرت في تفكيره فهو يطالب بالاصلاح ولكنه يطالب الاغنياء بمساعدة الفقراء وهذا شيء غير واقعي لان الاغنياء اذا لم تكن هناك قوة تجبرهم لايحسنون ولن يوجدوا •

اما الزهاوي فعلى كثرة ما نظم من الشعر وما طبع من الدواوين فلم يعن العناية الكافية بالفقر وكأني به لا يحس ولا يشعر بالآلامه • وله بعض قصائد نظمها قبل الاحتلال الانكليزي عالج فيها مشكلة ارملة جندي مات زوجها وخلف لها رانبا تقاعديا لايفي بحاجتها وكانت قد اصيبت بالسل وذهبت وهي مريضة تطلب من المسؤولين استعجال دفع الراتب التقاعدي ، بعد ان تخلى عنها الاهل والاصدقاء لفقرها • ويصف في القصيدة قسوة موظفي الحكومة العثمانية وشمهم المراجعين لقضاياهم^(٨) ولم يعالج الزهاوي مشكلة الفقر كأنها مشكلة اجتماعية انما كأنها مشكلة فردية قد تكون له صلة بها وآله ان تكون زوجة ضابط فقيرة بعد غنى وذليلة بعد عز ويبعد في قصته هذه عن المشكلة الاجتماعية ويبحث في اشياء بعيدة عن الموضوع ويضرب الحكم والامثال في غير حاجة لها • وفي القصة موضوع من ارق المواضيع الانسانية وهو موضوع الامومة وجوع الطفل وقد تطرق لها الزهاوي ولكنه لم ينجح في ابرازها باطار عاطفي رقيق فيصور اختلاج العواطف الرقيقة مع انه وصل الى كبد الموضوع وتلمسه فافلت من يده ، واخيرا تضطر امرأة الضابط الى الاستجداء وطلب الرحمة من الناس لكي تغذي ولدها الجائع في البيت ، وهذه نقطة انسانية اخرى تعالج بارق العواطف واسماها وهي نقطة حساسة في الشعور الانساني غير انها افلتت منه مرة اخرى • واجدر نقطة التفت اليها الزهاوي وبحثها بحثا وافيا هي لقاء اللوم على كاهل الحكومة التي لم ترع حقوق الجنود • ولو كان الزهاوي يملك الشعور الاجتماعي العام لالتقى جميع تبعات الفقر على الحكومة ، ورسم بعض

(٧) ديوان الرصافي ٢٢١

(٨) ديوان الزهاوي ٢٤٧

طرق الإصلاح التي يراها كما فعل الرصافي واخيرا ختم القصة واصفا آلام
الاستجداء والاستجداء وحده مشكلة اجتماعية نتيجة للفقر ، قال :

عليها ثياب رثة ومـلـاءة كأحشائها في كل حين تبزل
تكفكف دمعاً بالبنان وكلمـا مشيت خطوة او خطوتين تمهل
تمدّ يميناً للسؤال ضعيفـة وتخبجل منهم حينما هي تسأل
أرملة الجندي لا تخجلني فمن حقوق العلى ان الحكومة تخبجل^(٩)

ولابد لي أن اشير الى محاضرات الزميل الكريم الدكتور ناصر الحائي التي
لقاها عن (جميل صدقي الزهاوي عام ١٩٥٤) والتي افرد جانباً منها في اثر
الفقر والمرض والفلاح في شعره واعتبره ذا قيمة اجتماعية اذ لم يكن الزهاوي
يكترث كثيراً بالطبقة الفقيرة وينصرف الى مشكلاتهم كما انصرف اليها الرصافي
والبناء وغيرهما ، فقد كان في سعة من العيش . اما الاشارات العابرة التي تمر
في شعره فليست لها القدرة على جعله من الشعراء الاجتماعيين .

ولعل البناء اكثر احتكاكاً من غيره من الشعراء بالطبقة الفقيرة ، فقد كان
بناءً ولا بد انه اشتغل كثيراً اجيراً يحمل الطين (طياناً) وذاق صنوف العذاب
والارهاق الذي يقاسيه العمال الصغار في العراق من جور البنائين ومساعدتهم
وتحكم اصحاب المال . وطبقة البنائين دائماً في العراق من افقر الطبقات . ويبدأ
البناء حياته طياناً وكلما طالت به الايام وابدى براعة وذكاء ووجد استاذاً يرعاه
ويقدمه تقدم في الصنعة حتى يتقنها فيكون بناءً مستقلاً بذاته . وقد ظهرت آثار
هذه البيئة في شعر البناء واضحة المعالم صادقة الصور ولو اتيح للبناء الوقت الكافي
لدراسة اساليب اللغة العربية وتمكن من السيطرة عليها لاصبح من خيرة شعراء
العراق فهو شاعر بالفطرة ، ذو ملكة متأججة ، وعاطفة دافقة ، ولكن العاطفة
والفطرة جانب من جوانب الاداء واذا لم يملك الشاعر لغة سليمة واتساعاً في
مفردات اللغة وعلماً باساليب الشعراء فالاداة تكون ضعيفة وهذا ماحدث للبناء .
فقد كان عليه ان يكد ويكدح ليكسب قوته ويعيش ولكن العاطفة المتدفقة كانت

(٩) ديوان الزهاوي ص ٨٦

تسيطر عليه والملكة كانت تدفعه لان ينظم شعره خلال مراقبة العمال فقد رآه الاستاذ الاثري يوما واقفا يدير امور العمل والعمال وبيده صفيحة من الطابوق الاصفر يدون فيها شعره^(١٠) وبالرغم من ان شعره لم يكن متين الاسلوب رائع الديباجة الا انه رسم لنا خير الصور الواقعية واصدقها عن حياة الفقير في العراق ، فقد وصف امرأة فقيرة انهك جسمها الذل تعيش في كوخ مهدم وابنها الطاوي الجائع يطلب الطعام وهي تعلمه ولكن لا تقدر على اطعامه فقد نضب الحليب في ثديها لانها جائعة مثله وقد عالج مشكلة الطفل الجائع الرصافي في الارملة المرضعة فوفق وعالجها الزهاوي في قصيدة أرملة الجندی فأخفق وعالجها البناء فخانه التعبير وبقيت صورة بدائية تندفق منها الحياة ، قال البناء :

رأيت فتاة انهك الذل جسمها يحيط بها كوخ هناك مهدم

ووصف الطفل الجائع وكيف تعلمه أمة الجائعة :

تعالج طفلا يشتكي شدة الطوى وتحنو عليه والمدامع تسجم
وتعطيه ثديا اذهب الجوع دره فينظرها تبكي عليه فينغم
تعلمه والياس ملء جفونها يكلم عنها وهي لا تتكلم^(١١)

انها أم جائعة معها ولدها جائع وهي موزعة الاحاسيس بين نفسها وولدها . ويتطرق البناء الى مشكلة مؤلمة في العراق هي مشكلة معاملة الموظفين للفقراء واحتقارهم وكأن الموظفين من عالم غير عالم الشعب وكثير من هؤلاء كانوا من نفس الطبقة .

وقد لاحظنا ان اكرية الدين عالجوا مشكلة الفقر كانوا يحملون عواطف كريمة ، يريدون ان يحصل الفقير على حظ وافر من الغذاء والكساء والا يستغل ولا يستثمر ، غير ان هذه العواطف كانت عواطف ذاتية تمثل حالة

(١٠) لاحظ مقدمة ديوانه الثاني

(١١) ديوان البناء الثاني

مر الشاعر بها فشعر بشعور الآخرين ، فكان من ذلك ان شعر بالرحمة والحنان فجاء بشعره مطالبا الاغنياء بالاحسان الى الفقراء والرحمة بهم مع ان حق الحياة الكريمة حق طبيعي لكل انسان في كل بلد متقدم وكان الاولى ان يطالب الشعراء بتغيير نظام الشعب الاجتماعي ليشمل العدل الاجتماعي للجميع ، غير ان الظروف التي نظم فيها الشعراء بها شعرهم كان شعرهم متأثرا بمثل محدودة الفكرة لعدم تبلور الفكرة الاشتراكية وظهور المطالبة بحقوق الشعب واخذ العالم هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية ، فمن امثلة العطف على الفقراء قول محمد الهاشمي :

سألقي نظرة ملأت خائنا على البؤساء من طرف خشوع
يعيش الاغنياء على رخاء ونحن نعيش في بؤس وجوع

والقصيدة وصف الحالة الفقير ومسكنه القذر واطفاله العراة النائمين على الارض الجائعين بالليل يقضون ليلهم بالدموع والحسرات^(١٢) . وكما اوصى الازري الناس بالاحسان الى الفقراء او يتامى لان الله اوصى بهم فقال :

لو تنطق الاموات عن حال الاولى ذهبوا ضحايا ذلة وخمول
لبكيت من ألم المصيبة رحمة وكفاك مجملها على التفصيل
اني لاشعر في اليتيم اذا بكى خوف الاسير وذلة المعلوم
والله اوصى في اليتيم عباده في محكم القرآن والتنزيل^(١٣)

وتردي حالة العراق وانتشار الفقر بين ابناء الشعب اثار الشعراء فسرت في شعرهم روح النقمة والثورة على سوء الوضع الاجتماعي فأخذوا يشنون حملة شعواء على الترف الذي يرفل فيه الاغنياء ، بينما الفقير المدقع يصل بالفقراء الى الجوع المهلك واخذوا يقارنون بين حياة المترف والفقير التعس ولم يكن يخلو شعر شاعر من العطف على الفقراء . قال الجواهري :

ألم تر ان الشعب جل حقوقه هي اليوم للافراد ممتلكات

(١٢) الادب المصري ٢٠ و ٢١ ج ٢

(١٣) الادب المصري ص ٦٦ و ٦٧ ج ٢

وطالب بالعدل بين الفقراء والاعنياء فقال :

ولو كان حكم عادل لتهدمت على أهلها هاتيك الشرفات

فيصف بيوت الفقراء فيقول :

بيوت على أبوابها البؤس طافح وداخلهن الانس والشهوات^(١٤)

وفي قصيدة أخرى يفضل الفقير على الغني ويدعو الى احترامه وتقديره^(١٥) ويبحث مشكلات المجتمع العراقي بحاجة الى دراسة وحدها ولكننا نوجز فنقول بأن الشعراء عالجوها بروح مخلصة ومنهم : محمد بهجة الاثري^(١٦) ومحمود الجبوبي^(١٧) وابراهيم الباجه جي^(١٨) وجواد الشبيبي^(١٩) وكاظم الدجيلي^(٢٠) وعلي الشرقي^(٢١) والشبيبي^(٢٢) والزهاوي^(٢٣) ومحمد صالح بحر العلوم الذي وصف حال الفقير وما يقاسيه ووصف رب القصر وما يرفل فيه من النعيم والقي تبعة ذلك بصراحة على الحكومة والبرلمان الذي لا يجدي الفقراء نفعا ، فعليهم ان يخرجوا الاخشاب المسندة ، فقال :

فالظلم منتشر والعدل مندرس	والزيف متبع والحق مهتضم
حكومة صوت من يشكو ظلامته	لها يبعده عن سمعها الصمم
ومجلس فيه اخشاب مسندة	بلا حراك فاين النفط والضرر ^(٢٤)

(١٤) الديوان الثاني بغداد ٩٥٠ ص ١٦١-١٦٥ العراق العدد ٢٥٨٥/١٠/٢٩

(١٥) العراق العدد ٨١٢ السنة الثامنة ١٩٢٣

(١٦) مجموعته الخطية

(١٧) الغري العدد المزدوج ٢٩ و ٩٤٨/٩/٢٠

(١٨) العراق العدد ١٢٣٦/٥/٢٤

(١٩) ديوان الشيخ جواد المخطوط

(٢٠) دار السلام الاعداد ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٩١٩/٢/٢٠

(٢١) ديوان الشرقي ص ١٨٨

(٢٢) ديوان الشبيبي ص ١٠٩

(٢٣) اللباب ص ١٢١

(٢٤) العواطف ص ١١٨

وبعد الحرب العظمى الثانية تبلورت 'مثل الرحمة بالفقير والعطف
والاحسان الى الفقراء' ، فقد اخذ المفكرون يطالبون بالمساواة واتاحة العيش
الشريف للشعب اجمع لان الشعب هو صاحب الحق وان الظروف الشاذة
التي مرت بالعراق هي التي خلقت طبقة من الاغنياء استغلت الاكثرية بطرق
متنوعة ويجب ان يعود الحق الى اهله وان ينال هؤلاء قسطا وافرا من الرفاه والسعادة
وكان من طليعة هؤلاء المفكرين جماعة عادت من اوروبا واخذوا يقارنون بين حالة
الشعب السيئة وحالة اوروبا وما حصلت عليه الشعوب من هناء وسعادة ورفاه
وقد تبعهم جل الشعراء الشباب والطبقة الواعية المثقفة في البلد .

وختاما يا قارئ العزيز

هذه جولة سريعة قدمتها لك عن الشعر العربي في العراق في تياراته
السياسية والاجتماعية وقد ذكرت لك أهم هذه التيارات التي هيمنت على الشعر
العربي ، وأثرت تأثيرها العميق في توجيهه . . وهو بحاجة الى دراسة أكثر تفصيلا
واتساعا من كتابي هذا فقد كنت مضطرا الى العناية بالاتجاهات أكثر من عنايتي
بالشعراء أنفسهم وقد سرت والتاريخ في دراستي هذه لتكون على بينة من أمر
وطنك ولتعلم مقدار تأثير التاريخ في حياتك وشعبك وأثر الادب في تاريخك . .
وقيمة أحاسيس الشعراء الغالية واخلاصهم العميق لتربة هذا الوطن .

ومعذرة مما وقعت فيه من أخطاء ولكل عالم كبوة فكيف بي وأنا طالب بحث
هستجد فخذ بيدي وعاوني على الصواب . . ولك من الله العلي الكبير والتاريخ
القاسي في عدله المنصف في حكمه ومنى أجزل الثواب .

يوسف عز الدين السيد أحمد

المصادر (*)

- | | |
|---|-------------------------|
| ١ - المخطوطات | |
| ١ - امثال بغداد والموصل | انستاس ماري الكرمل |
| ٢ - الاصابة في منع النساء
من الكتابة | نعمان خير الدين الآلوسي |
| ٣ - حديقة الورود | عبدالفتاح الشواف |
| ٤ - مجموعة الاشعار والخطب | محمد الباقر الحلي |
| ٦ - ديوان الهنداوي | خيري الهنداوي |
| ٧ - ديوان التفتاف | انستاس الكرمل |
| ٨ - الشعور المنسجم | مصطفى جواد |
| ٩ - مجموعة شعر | محمد بسيم الذويب |
| ١٠ - " " | محمد صالح بحر العلوم |
| ١١ - " " | حسن الجواهري |
| ١٢ - " " | ناجي القشطيني |
| ١٣ - " " | خضر القزويني |
| ١٤ - ديوان الاثري | محمد بهجة الاثري |
| ١٥ - مذكرات الرصافي | معروف عبدالغني الرصافي |
| ١٦ - نيل المراد | عباس البغدادي |
| ١٧ - العراق في القرن التاسع
عشر | يوسف عز الدين |
| ١٨ - غاية المرام | ياسين العمري |
| ١٩ - قصائد من شعر | عيسى عبدالقادر |

(*) هذه المصادر التي امكن الاستفادة منها مباشرة وهناك مصادر اخرى لم
اذكرها لان فائدتها لم تكن مباشرة .

٢ - الكتب المطبوعة

القاهرة ١٩٤٠ م	مصطفى علي	ادب الرصافي
القاهرة ١٣٤٥ هـ	محمد بهجة الاثري	اعلام العراق
جزءان القاهرة ١٩٢٣	رفائيل بطي	الادب العصري
بغداد	خالص حمادي	الاخبار في سير الرجال
النجف	محمد جمال الهاشمي	الادب الجديد
جزءان القاهرة ٥٤ و ٩٥٦	الدكتور محمد حسين	الاتجاهات الوطنية
جا ١ بيروت	انيس المقدسي	الاتجاهات الادبية
مصر ١٩٥٤	التيارات الادبية الحديثة في العراق جميل سعيد	
جا ٢ » ١٩٥٢	» »	الاتجاهات الجديدة
دمشق ١٩٣٢	احمد الصافي النجفي	الامواج
بغداد ١٩٣٤	جميل صدقي الزهاوي	الاوशल
بغداد ١٩٥١	سعيد البصري	آراء الرصافي
بيروت ١٩٤٩	اربعة قرون من تاريخ العراق ترجمة جعفر الخياط	
بغداد ١٩٥٦	ظافر الآلوسي	امثال واقوال بغدادية
مصر ١٩٢٢	سعد ميخائيل	ادب العصر
بغداد ١٩٥٧	ابراهيم كبه	الاقطاع في العراق
النجف ١٩٣٥	عبدالرزاق الحسيني	تاريخ الصحافة العراقية
بغداد ١٩٢٢	يوسف غنيمه	تجارة العراق
بغداد ١٩٣٥	مجيد خدوري	تحرر العراق من الانتداب
١٩٣٥ »	عبدالقادرا الخطيبي الشهرستاني	تذكرة الشعراء
القاهرة ١٩٤٥	احمد الشايب	تاريخ الشعر السياسي
١٣١٦ هـ »	عبدالباقي العمري	الترياق الفاروقي
بغداد	محمد مهدي البصير	تاريخ القضية العراقية
جزءان بغداد ٩٢٥ و ٩٢٤	تاريخ مقدرات العراق السياسية امين العمري (١)	
١٩٤٦	(فوستر) ترجمة عبدالمسيح جويده بغداد	تكوين العراق الحديث
١٩٢٦ »	احمد فهمي	تقرير حول العراق
١٩٣٦ صيدا	عبدالرزاق الحسيني	الثورة العراقية
١٩٣٤ ثلاثة اجزاء القاهرة	امين سعيد	العربية الكبرى

(١) كتب المؤلف عليه اسم اخيه محمد طاهر العمري لانه كان موظفا عندهم
الف الكتاب .

ثورة العرب مقدماتها اسبابها نتائجها

١٩١٦	احد اعضاء الجمعيات العربية مصر	جنايات الانكليز على البشر
١٩١٦	بيروت محمد حبيب العبيدي	وعلى المسلمين خاصة
		الحقائق الناصعة في الثورة العراقية
١٩٥٣	مجلدان بغداد فريق مزهر الفرعون	
١٩٣٦	بغداد طه الهاشمي	حرب العراق
		حبس الاعتصام ووجوب
١٩١٦	بيروت محمد حبيب العبيدي	الخلافة في دين الاسلام
١٩٤٧	بغداد مهدي العبيدي	حقيقة الزهاوي
١٩٤٨	» قرن موسيس ديرهاكوبيان	حالة العراق الصحية في ربع
١٩٥٣	مصر دراسات في الشعر العربي المعاصر شوقي ضيف	
١٩٤٩	ثلاثة اجزاء بغداد ديوان كاظم آل نوح	
	عبد المحسن الكاظمي المجموعة الاولى دمشق	ديوان الكاظمي
	» » » » » »	
١٩٤٧	القاهرة معروف الرصافي	» الرصافي
١٩٤٠	» محمد رضا الشبيبي	» الشبيبي
١٩٤٨	النجف صالح التميمي	» التميمي
١٩٢٨	بغداد محمد مهدي	» الجواهري
٥٣ و ٥٠ و ٤٨	بغداد ثلاثة اجزاء » »	» »
١٩٣٢	بغداد عبد الرحمن البناء	ديوان البناء
١٩٠٨	مطبعة الاخبار البستاني	الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده سليمان البستاني
١٩٣٣	بغداد محمد عبد الحسين	ذكرى فيصل الاول
١٩٣٣	» عبد الرزاق امين	ذكرى الخالصي
١٩٢٥	» عبد الرحمن البناء	» استقلال العراق
١٩٢٩	» علي الشرقي	» السعدون
١٩٣٠	» طه الراوي	» يوسف السويدي
١٩٤٨	القاهرة مصطفى علي	الرصافي
١٩٥٠	بغداد نعمان ماهر وسعيد البلوي	الرصافي في اعوامه الاخيرة
١٩٤٨	الموصل مصطفى الواعظ	الروض الازهر
١٩٣٩	بغداد ابراهيم منيب الباجه جي	زنانق الحقل

١٩٥٠	بغداد	عباس علي	زعيم الثورة العراقية
١٩٢٩	القاهرة	رفائيل بطي	سحر الشعر
١٩٤٩	»	مظفر حسين الجميل	سياسة العراق التحررية
١٩٤٩	بغداد	محمد علي كمال الدين	سعد صالح
١٩٥٥	القاهرة	رفائيل بطي	الصحافة في العراق
١٣٤٠هـ	بغداد	محمد مهدي البصير	الشذرات
١٩٥٦-٥٤	١٢ جالنجف	علي الخاقاني	شعراء الغري
٩٥٣-٥١	٥ جالنجف	»	» الحلّة
١٩٥٨	بغداد	الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين	الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين
١٩٤٤	مصر	شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ثعلب	شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ثعلب
١٣٠٤هـ	الاستانة	عبدالفار الاخرس	الطراز الانفس
١٩٣٦	بغداد	متى عقراوي	العراق الحديث
١٩٣٧	النجف	محمد صالح بحر العلوم	العواطف
	بغداد	علي هامش الثورة العراقية فراتي	علي هامش الثورة العراقية
		العراق في دورى الاحتلال والانتداب	العراق في دورى الاحتلال والانتداب
١٩٣٥	صيدا	عبدالرزاق الحسني	
١٩٣٥	بغداد	عبدالفتاح ابراهيم	على طريق الهند
١٩٣٥	بغداد	علي الشرقي	عواطف وعواصف
١٣٥٩ هـ	الموصل	ياسين العمري	غرائب الاثر
١٣٢٧هـ	بغداد	ابوالثناء الآلوسي	» الاغتراب
١٩٥٢	بغداد	سليمان فيض	في غمرة النضال
١٩٠٥	القاهرة	جميل صدقي الزهاوي	الفجر الصادق
١٩٤٥	بغداد	فيصل بن الحسين في خطبه واقواله مديرية الدعاية العامة	فيصل بن الحسين في خطبه واقواله مديرية الدعاية العامة
١٩٥٤	بغداد	طلعة الشيباني	القوى المؤثرة في الدساتير
١٩٢٨	»	جميل صدقي الزهاوي	الباب
١٩٣٣	»	محمد صالح السهروردي جزءان	لب الالباب
١٣٢٨هـ	بيروت	جميل صدقي الزهاوي	الكلم المنظوم
١٩٥٤	بغداد	محاضرات عن جميل الزهاوي ناصر الحاني	محاضرات عن جميل الزهاوي ناصر الحاني
١٩٥٦	بغداد	المعدان او سكان الاهوار (ثسكر) ترجمة باقر الدجيلي	المعدان او سكان الاهوار
١٩٥٤	»	مشروع اصلاح القرى في العراق محمود نديم اسماعيل	مشروع اصلاح القرى في العراق محمود نديم اسماعيل
١٩٣٦	»	مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى تحسين العسكري	مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى تحسين العسكري

١٩٤٦	بغداد	مقدمة في كيان العراق الاقتصادي هاشم جواد
١٩٣١	ج ١	مقالات فهمي المدرس
١٩٣٤	ج ١ القاهرة	مذكراتي في نصف قرن احمد شفيق باشا
١٩٥٣	بغداد	مقدمة في دراسة العراق المعاصر زكي صالح
		مجموعة امثال الموصل القس الفونس شورينز
١٩٤٧	القاهرة	معروف الرصافي احمد بدوي طبانة
١٩٠٩	مصر	المعلوم والمجهول ولي الدين يكن
	مصر معهد الدراسات العربية	محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال عبدالرحمن البزاز
١٩٥٥	بغداد	مشكلة الموصل فاضل حسين
١٩٢٤	بغداد	مختارات في السفور والحجاب مصطفى عبدالجبار القاضي
١٩٤٠	بغداد	النظام السياسي في العراق محمد عزيز
١٩٣٦	»	» النقدي في العراق عبدالرحمن الجليلي
١٩٥٤	لبنان	نظرات في اصلاح الريف عبدالرزاق الهلالي
		الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية
١٩٥٤	بغداد	علي البازركان

٣ - المصادر الرسمية

١٩٥٣	بغداد	الملكية الصغيرة في العراق حسن محمد علي
١٩٢٤	»	مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي وزارة الداخلية
١٩٥٠	»	الاصلاح الزراعي واعمار الاراضي وزارة الاعمار
١٩٥٤	»	تقدم العراق الاقتصادي البنك الدولي للانشاء والاعمار
١٩٣٠	»	معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا مطبعة الحكومة
١٩٥٥	بغداد	نشرة الاحصاء الصحي والحياتي وزارة الصحة
١٩٥٥	بغداد	التقرير السنوي عن سير المعارف ١٩٥٣-١٩٥٤

الجرائد والمجلات

١٩٣٤	عبدالله حافظ	الاخاء الوطني
١٩٣١	علي جودة الايوبي	»
١٩٣٧-١٩٣٦	محمد مهدي الجواهري	الانقلاب
١٩٢٦-١٩٢٨	عبدالرحمن البنا	الاخلاق (مجلة)

١٩٢٣	معروف الرصافي	الامل
١٩٣٧-١٩٣٥	كامل الجادرجي	الاهالي
١٩٤٠-١٩٢٦	عبد الغفور البدري	الاستقلال
١٩٢٧-٢٦ البصرة	عبد الرحمن السيد	الاخاء
١٩٢٧-١٩٢٥	عبد الجليل آل جميل	الارشاد (مجلة)
١٩٤٠-١٩٢٩	رفائيل بطي	البلاد
١٩٣٣-١٩٣١	عبد الرحمن البناء	بغداد
١٩١٠	عبد الهادي الاعظمي	تنوير الافكار
١٩٢٩-١٩٢٨	سلمان الشيخ داود	التقدم
١٩٢٧ نجف	عبد المولى الطريحي	الحيرة (مجلة)
١٩٣٧-١٩٣٦	مكي الجميل	الحارس
١٩٢٥ و ١٩٢٤	رفائيل بطي وعبد الجليل رزق الله	الحرية (مجلة)
١٩٢٢-١٩٢١	داود السعدي	دجلة (مجلة)
١٩٢٠-١٩١٨	انستاس ماري الكرمللي	دار السلام
١٩٠٩ (١٣٢٨ هـ)	عبد اللطيف ثنيان	الرقيب
١٩١٠ البصرة	يوسف السامرائي	المرشاد
١٩٤٠-١٩٣٧	محمد مهدي الجواهري	الرأي العام
١٩٢٧	ابراهيم صالح شكر	الزمان
١٩٤٠-١٩٣٧	توفيق السمعاني	»
١٩٢٢	عبد الاحد حبوش	الزنبقة (مجلة)
١٩٢٥	يوسف غنيمه	السياسة
١٩٢٥-١٩٢٤	خلف شوقي الداودي	شط لعرب
١٩٣٠	عبد الرزاق الحصان	صدى العهد
١٩٣١	عبد الهادي الجلبلي	»
١٩١٤-١٩٠٩	داود صليوا	صدى بابل
١٣٣٤-١٣٣١ هـ	عطاء الخطيب	صدى الاسلام
١٩١٢	عبد الله الزهير	الدستور
١٩٢٥	حسين الرحال	الصحيفة
١٩٣٦-١٩٣٤	توفيق السمعاني	الطريق
١٩١٨-١٧ استانبول	مجلة رسمية	العالم الاسلامي
١٩٢٠-١٧	جريدة رسمية	العرب
١٩٢٣-٢٢	حسن القصيبة	العاصمة

١٩٤٦-١٩٢٠	رزوق غنام	العراق
١٩٣٩-١٩٣٨	يونس بحري	العقاب
١٩٤٧-٣٩	عبدالرضا شيخ العراقيين	الغري (مجلة)
١٩٢٢-١٩٢١	عبداللطيف الفلاح	الفلاح
١٩٢٦-١٩٢٥	عبدالرزاق الحسني	الفضيلة
١٩١٤-١٩١١	انستاس الكرمل	لغة العرب (مجلة)
١٩٣٢-١٩٢٦	»	»
١٩٢٢-١٩٢١	ابراهيم حلمي العمر	لسان العرب
١٣٣٨-١٣٣٧	علي رضا الغزالي	البيان (مجلة)
١٩٢٤-١٩٢٣	بولينا حسون	ليلي (مجلة)
١٨٢٩ و ٢٨ و ٢٥	محمد الحسيني	المُرشد (مجلة)
١٩٢٥-١٩٢٤	ابراهيم حلمي العمر	المفيد
١٩٣٠-١٩٢٩	ابراهيم صالح شكر	المستقبل
١٩٢٦-٢٥	احمد عزة الاعظمي ونوري الاورفلهلي	المعرض
١٩١٠ القاهرة	احمد ماضي وعلي يوسف	المؤيد
١٩٢٨-١٩٢٠	مجلة رسمية وصدرت جريدة	الموصل
١٩١٢-٩٠٢ القاهرة	محمد رشيد رضا	النار
١٩١١-٩١٠ مصر	محمد كرد علي	المقتبس (مجلة)
١٣٤٥-٤٤ نجف	يوسف رجب	النجف
١٩٣٢-٢٩	عبدالرحمن البناء	النور
١٩٣٠-١٩٢٧	حزب النهضة العراقية	النهضة العراقية
١٩٢٩-١٩٢٦	حزب الشعب	نداء الشعب
١٩٣٠	ياسين الهاشمي	»
١٩٢١	ابراهيم صالح شكر	الناشئة
١٩٢٥-١٩٢٢	» » »	الناشئة الجديدة
١٩٢٥-٢٢	محمد الهاشمي	اليقين

(1) ENGLISH BOOKS

- BELL, Lady Florence. Letters of Gertrude Bell. Vol. 2 London 1927.
- Miss Gertrude Bell. Review of the Civil Administration of Mesopotamia. London 1920.
- Civil Administration of Mesopotamia. London 1920.

- | | |
|----------------------|--|
| Churchill, Winston. | The Second World War. Vol. 3 London, 1950. |
| Foster, Henry. | The Making of Modern Iraq. London 1936. |
| Haldane, Sir Aylmer. | The Insurrection in Mesopotamia. 1920. London, 1922. |
| George Antonius. | The Arab Awakening. London 1938. |
| Ireland, P. | Iraq. A Study in Political Development. New York, 1936. |
| Longrigg, S. H. | Iraq. 1900 - 1950. London, 1953.
Four Centuries of Modern Iraq. London. 1925. |
| Muir, R. | Political Consequences of the Great War. London, 1932. |
| Toynbee, A. | Turkey, London. 1926. |
| Wilson, Sir. A. T. | Mesopotamia. London, 1943. |

(2) *OFFICIAL REPORTS.*

Report by H. M. Government in U. K. of G. B. and Northern Ireland to Council of the League of Nations on The Administration of Iraq for the year 1928 and Colonial No. 44. H. M. Stationery Office, London, 1929.

League of Nations, Question of Frontier Between Turkey and Iraq C. 400 M. 47. 1925.

The Official Story of the Persia and Iraq Command 1941 - 46. H. M. Stationery Office.

Anglo - Iraq - Treaty. Baghdad. 1929.

Encyclopaedia Britannica. XIIIth edition. Vol. 2.

ملحق رقم (١)

(مقتطفات من معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا العظمى الموقع عليها في ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠)

أ - من المقدمة

ولما كانت حكومة جلالة (بريطانيا) قد اعلمت الحكومة العراقية بلاقيد ولا شرط في ١٤ ايلول ١٩٢٩ انها مستعدة لعرض ترشيح العراق لدخول عصبة الامم سنة ١٩٣٢ واعلنت لمجلس العصبة في ١٤ كانون الاول ١٩٢٩ ان هذه هي نيتها ولما كانت المسؤوليات الانتدابية التي قبلها صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ستنتهي من تلقاء نفسها عند ادخال العراق عصبة الامم ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق وصاحب الجلالة ملك بريطانيا يريان ان الصلات التي ستقوم بينهما بصفة كونهما ملكين مستقلين ينبغي تحديدها بعقد معاهدة تحالف وصدافة . فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام تصبح نافذة المفعول عند دخول العراق عصبة الامم ..

ب - من المادة الرابعة

ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محقق تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات .

ج - من المادة الخامسة

يتعهد جلالة ملك العراق بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة او في جوارها موقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات •

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية ، في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآتفة الذكر وفقا لاحكام ملحق هذه المعاهدة على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالا ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق •

معجم الاعلام

لم نذكر في هذا المعجم (العراق • الاسلام • الاتراك • العرب) وغير ذلك من الكلمات التي ترد كثيرا •

بسم الله الرحمن الرحيم

- أ -

- الاتلاف (حزب) : ٣٣
آل نوح ، كاظم : ٢٩-٨٠-٩٧
١٠٠-١٠١
الآلوسي ، نعمان : ١٧
ابراهيم ، حافظ : ٢٥٤
أبرى : ٦
ابو تمام : ١١٣
ابو التمن ، جعفر : ١٤٩
ابو الجون ، شعلان : ١٥٩-١٦٣
١٨٩ -
ابو الحسن ، السيد : ١٨٦
ابو دلالة : ١٢٦
ابو زيد (الدكتور حكمة) : ٦
ابن ابي سلمى ، زهير بن : ١٢١
ابو طيخ ، عبدالمحسن : ١٨٦-١٨٩
ابو القاسم (الكاشاني) : ١٤٩
ابو المحاسن ، محمد حسن : ٨١
- ٩٦ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٩٠ -
الاتحاد والترقي (= الاتحاديون) :
٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٤٤ - ٤٦
٤٧ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٩ - ٧٠ - ١٣١
١٤١ -
الاثري ، محمد بهجة : ٢٣٠ -
٢٥٧ - ٢٦٣ - ٢٨٤ - ٢٨٦
احمد ، اكرم : ٢٣٠
الاحمدية (جامع) : ١٥٢-١٥٣
الاخاء العربي (جمعية) : ١٣٩
الاخاء الوطني (جمعية) : ١٣٩
الاخاء الوطني (حزب) : ٢١٧-٢٢٢
ادرنة : ٦٢-٦٥
الادريسي : ٤٩
اريل : ٢٢٢
الارخيل (جزر) : ٦٢
الازري ، (عبدالحسين) : ٣٣-٢٥٦
الاستانة : ١٣-١٤ - ١٧-١٩ -

٥٩ - ٩١	٣٩ - ٥٠ - ٦٢ - ٦٤ - ٧٦ - ٧٩ -
ايوان كسرى : ٩٧	٨٠ - ٨٩ - ١٠٥ - ١٧٩ - ١٤١
- ب -	اسعد ، شاكِر : ٢١٢
باب الطلسم : ١١١	اسماعيل (موظف عراقي) : ١٠١
بابان ، حمدي : ١٥٧	اسماعيل ، خليل : ٢٦٣
الباجه جي ، ابراهيم منيب : ٣٨ -	الاصفهانى ، شيخ الشريعة : ١٥٨
٤١ - ١٢٨ - ٢٨٦	افريقيا : ٦٠
الباجه جي ، حمدي : ٢١٧	الافغان : ١٣١
الباجه جي ، مزاحم : ٢١٧	الافغاني : ٢٥٤
باريس : ٢٤ - ٤٨ - ١٢٩	البانيا (= الالبان) : ٦٣ - ٦٢
البازركان ، علي : ١٥٨ - ١٤٩	المانيا : ٧٦ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٣ -
باش اعيان (مكتبة) : ٤	٨٤ - ٨٩ - ١٠٥ - ١٢٩
الباقر ، محمد = الحلبي	امريكا : ٢٥١
بحر العلوم ، محمد صالح : ١٦٧	امين ، قاسم : ٥١
١٦٨ - ٢١٠ - ٢١٩ - ٢٧٠ - ٢٨٦	الاناضول : ١٧ - ٢٨
برقة : ٥٦	انكلترا : ٢٦ - ٢٧ - ٨٠ - ٨٣ -
برلين : ١٣١	٩٣ - ١٠١ - ١١٨ - ١٥٤ - ١٥٥ -
بستانه ، عبدالرزاق : ٦	١٧٥ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ -
بريطانيا = انكلترا	١٩٤ - ١٩٩ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٩ -
البنفور : ٨٠	٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٤٩ -
البصرة : ١٧ - ٧٣ - ٨٦ - ٩٢	انور باشا : ٢٩ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٣ -
١٤٠ - ١٤٨ - ١٧٥ -	٨٤ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -
البصرة الاصلاحية (جمعية) : ١٣٩	١٣١ - ١٧٢ -
البصير ، محمد مهدي : ٢٩ - ٨٠	اوربا : ١٣ - ٤٨ - ٥٠ - ٢٦٥ -
١٢٩ - ١٢٨ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٢ -	ايران : ١٩ - ٢٧ - ١٨٦ -
	ايطاليا : ٢٧ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٣ -

البناء ، علي : ٢٨-١٠١

بولونيا : ١٠٤

بيروت : ١٠٧

- ت -

تركستان : ١٣١

تركيا : ٤٩ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٩ -

١٠٥ - ١٨٧ - ٢٦٥

تفليس : ١٣١

التقدم (حزب) : ٢٢٦ - ٢٢٧

التكريتي ، العقيد عبدالرحمن : ٦

تل السور : ٩٦

التميمي ، (صالح) : ٤٨

تونس : ٥٤ - ٥٥

- ج -

الجادر جي ، رفعة : ١٤٩ - ١٥٧

الجادر جي ، كامل : ١٣٨

جاسم ، يحيى : ٦

الجبل الاسود : ٤٩ - ٦٢

جرجل ، ونستون : ٧٩-١٧٦

الجزائري ، محمد جواد : ١٤٢

الجعفري ، صالح : ٢١٧ - ٢٢٢

جمال باشا (السفاح) : ٢٤ - ٧-

٧٩ - ١٠٤ - ١٣١

جميل ، حافظ : ١٩٢

جنكيز خان : ١١٣

١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ -

١٥٦ - ١٧٤ - ١٩٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -

بطي ، رفائيل : ٢٢٢ - ٢٣١ -

٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٦٣

بغداد : ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ -

٢٩ - ٣٧ - ٥٩ - ٨١ - ٨٦ - ٩١ -

٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦ -

١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٢ -

١١٥ - ١١٩ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٥٢ -

١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٠ - ٢٢٨ - ٢٥٢ -

٢٥٧ - ٢٦٢ - ٢٦٩ -

البغلة : ١٠١

بكر صدقي ، عوني : ٢٦٣

بل ، مسز : ١١٦ - ٢١٠

بلاد الالبان = البانيا

بلجيكا : ١٢٩

بلغاريا (= البلغار) : ٤٩ - ٦٢ -

٦٣ - ٦٥ - ٦٩

البلقان : ٤٩ - ٥٣ - ٦٢ - ٦٣ -

٦٦ - ٦٨ - ٨٩

بنغازي : ٥٤

البناء ، عبدالرحمن : ٢٨-٣٨-٤٦

٥٩ - ٧٨ - ٨٠ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ -

١١٠ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٩١ -

١٩٧ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٢٣ - ٢٣٠ -

٢٦٣ - ٢٦٤ -

الحلي ، عبدالمطلب : ٣٠ - ٣٣ -
 ٥٩ - ٦١ - ٨٤ - ٩١ - ١٠٠
 الحلي ، محمد باقر (باقر) : ١٤٣ -
 ١٤٤ - ١٥١ - ١٥٧ - ١٩٣ -
 حلمي ، عباس : ٢٧٦
 حمادة ، خليل : ١٣٩
 حميرين (جيل) : ١١١
 الحويزي ، عبدالحسين : ١١٩
 حيدر ، باقر : ٨٤
 حيدر ، عبدالكريم : ١٤٩
 الحيدرخانه (جامع) : ١٤٧ - ١٤٨ -
 ١٥٢ - ١٥٦ - ٢٦٢ - ٢٨٠ -
 الحيدري ، عبدالرحمن : ١٤٩ -

- خ -

الخالصي : ١٦٠ - ١٦١
 الخالصي ، مهدي : ١٨٦ - ١٩٤
 الخضير ، ياسين : ١٤٩
 الخطيب ، عطاء الله : ٩٩
 الخطيب ، علي : ٢٠٨
 خلف الله احمد ، محمد ٢ - ٣
 خليل باشا : ٢٨ - ٩٥ - ٩٦ -
 ٩٧ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ -
 ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦
 خليل بك : ١٤١
 الخليل ، عبدالكريم : ١٣٩

جواد ، مصطفى : ١٥١ - ١٦٠ -
 ١٦١
 الجواهري ، حسن : ١٥١ - ١٥٨
 الجواهري ، عبدالعزيز : ٤١ - ٦٢
 الجواهري ، محمد مهدي : ١٥١
 ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ -
 ١٦٨ - ١٩٣ - ٢١٣ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -
 ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٧٥ - ٢٨٥ -
 جورج (الخامس) : ١١٨
 جورج ، لويد : ١٧٥

- ح -

حافظ = ابراهيم ، حافظ
 الحائي ، الدكتور ناصر : ٢٨٣
 الحبوبي ، محمد سعيد : ٩١ - ١١٤
 الحبوبي ، محمود : ٢٦٣ - ٢٧٦ -
 ٢٨٦
 الحجاز : ١٤١ - ١٧٢ - ١٨٣
 الحر (حزب) : ١١٧
 حرس الاستقلال (جمعية) : ١٤٧
 الحسين (ع) : ١٤٧ - ٢١٦
 حسين (الملك) : ٣٠
 حسين ، محمد : ٣٩
 الحلة : ١٥٢ - ١٥٦
 الحلي ، احمد حقي : ١٩١ - ٢٣٠
 الحلي ، صالح : ٣٢ - ٩١

رجب باشا (وزير) : ٣٨

رجيب ، يوسف : ١٧

الرجال ، حسين : ٢٦٣

الرحيمي ، ابراهيم : ٢٥٥

الرسول = محمد (ص)

رشاد = محمد رشاد

رشيدي ، حسين : ٩٠

الرصافي ، معروف : ٣-٢٣-٢٤-

٢٥ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٤

٤٥ - ٤٦ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٩

٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٩ - ٨٩ - ٩٠

١٠٧ - ١٠٨ - ١١٧ - ١٢٥ - ١٢٦

١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٠ - ١٤٠ - ١٩١ -

١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦

٢٠٧ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٢ - ٢٢٨

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨

٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ -

٢٨٣ - ٢٨٤

رضا ، محمد رشيد : ٤٨

الرميثية (واقعة) : ٥٩ - ١٦٠

الرميض ، بدر : ١٧

روسيا : ٢٧ - ٧٩ - ١٢٦

روما : ٥٧ - ١٢٩

رومانيا : ١٢٩

الريحاني ، امين : ٢٢٦

خليل ، محمد : ١٩٨

الخوري ، بشارة : ١٣٧

- د -

داود ، احمد الشيخ : ١٤٩

داود باشا : ١٥

داود ، سلمان الشيخ : ١٩٥

داود ، محمد رشيد الشيخ : ٢٦٢

دجلة : ١٠٨

الدجيلي ، كاظم : ٢٩ - ١٣٠ -

٢٨٦

الدجلة - مشروع : ٢٦٩

الدخيل ، سليمان = النجدي

الدردييل : ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٩٧ -

٩٩ - ١٠٢ - ١٠٣

در كولتر ، فون : ٧٧

الدفتري ، محمد هادي : ٢٣٠

الدفتري ، فؤاد : ١٤٩

الدليم : ١٦٠

دوبس ، هنري : ١٩٨

الدوري ، حسن النبي : ٩٧

ديالى : ١٦٠ - ١٦١ - ٢٧٠

الديوانية : ١٥٦

- ذ -

ذويب ، محمد بسيم : ٢٥٠

- ر -

الرازيجية (معركة) : ١٥٩-١٦٠

- ز -

- السعود ، (عبدالعزیز بن) : ۸۳
 السعيد ، نوري : ۲۱۷
 سكر ، عبد الواحد : ۱۹۸
 سلانيك : ۳۴ - ۳۹ - ۴۰ - ۶۹
 سلمان باك : ۸۵ - ۹۶ - ۹۷ -
 ۱۰۲ - ۱۰۴
 سليمان باشا (وال) : ۱۵
 سليمان ، حكمة : ۲۱۷
 السماوي ، محمد طاهر : ۲۷-۳۹
 - ۲۵۵
 السنوسي : ۵۴
 السوداني ، جواد : ۲۱۸ - ۲۱۹ -
 ۲۲۰ - ۲۷۶
 سوريا : ۱۸ - ۱۹ - ۲۳ - ۲۴ -
 ۷۹ - ۱۱۲ - ۱۳۹ - ۱۴۱ - ۱۷۲ -
 ۱۷۶ - ۱۸۳ - ۱۸۶ - ۱۹۱
 السويدی ، يوسف : ۱۴۹ - ۱۵۶
 - ۱۵۷
- الزهاوي ، سعد : ۲۲۸-۲۲۹
 الزهاوي ، ابراهيم ادهم : ۲۱۹ -
 ۲۲۰
 الزهاوي ، أمين : ۱۹۵
 الزهاوي ، جميل صدقي : ۲۵ -
 ۲۶ - ۳۱ - ۳۷ - ۳۸ - ۴۶ - ۵۹ -
 ۸۱ - ۸۴ - ۹۷ - ۱۰۳ - ۱۰۸ -
 ۱۱۶ - ۱۱۷ - ۱۲۷ - ۲۸ - ۱۳۸ -
 ۱۴۰ - ۱۴۴ - ۱۶۳ - ۱۶۵ - ۱۶۷ -
 ۱۷۷ - ۲۳۰ - ۲۵۲ - ۲۵۴ - ۲۵۷ -
 ۲۵۸ - ۲۵۹ - ۲۶۰ - ۲۶۱ - ۲۶۱ -
 ۲۶۲ - ۲۸۲ - ۲۸۳ - ۲۸۴ - ۲۸۶ -
 الزهاوي ، عبدالقادر : ۱۹۳
 الزهراوي ، عبدالحميد : ۱۳۹
 الزهراوي ، عبدالكريم : ۱۳۹
 زوبع (قبائل) : ۱۷۳
 زين الدين ، نظيرة : ۲۵۴

- ش -

- الشام = سوريا
 الشيبی ، جواد : ۲۶۲ - ۲۶۳ -
 ۲۸۶
 الشيبی ، محمد باقر : ۶۲ - ۱۳۰ -
 ۲۰۵ - ۲۱۴ - ۲۱۷ - ۲۲۰ -
 الشيبی ، محمد رضا : ۲۹ - ۳۰ -

- س -

- سامراء : ۱۱۲
 سارجنت : ۶
 سرکشك ، محمد عبدالحسين : ۱۵۱
 السعدون ، عبدالحسين : ۱۸۱ -
 ۲۱۳ - ۲۲۵ - ۲۲۶ - ۲۲۷ - ۲۲۸ -
 ۲۳۱ - ۲۳۲

- ط -

- طاوونزند : ٩٥
طبانة ، (بدوي) : ٣٣
طرابلس : ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢
٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ -
طلعت (باشا) : ٧٩ - ١٠٤ - ١٣١
الطورانية : ٧٠ - ١١٣

- ظ -

- الظاهر ، احمد : ١٤٩
الظريفي ، حسين : ٢٦٣
القوالم (عشائر) : ١٥٩

- ع -

- عائشة (ام المؤمنين) : ٢٥٤
عاكف باشا : ١٧
العاني ، شفيق : ٢٢٠
عبدالحميد (السلطان) : ٢٢ - ٣٤
٣٥ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤
عبدالسلام ، مصطفى عزة : ٢٦٣
عبد علي ، عبدالمجيد : ٦
عبدالقادر ، عيسى : ١٤٨ - ١٥١
عبدالمحسن = السعدون
عبدالمطلب = الحلبي
العبطان ، محمد : ١٥٧

- ٣٣ - ٣٧ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٧٨
٨٥ - ٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٢٨٦
الشرقي ، علي : ٦ - ٤٦ - ٥٦ - ٥٧ -
١٢٠ - ١٣٩ - ١٦٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -
٢١٧ - ٢٢٦ - ٢٣١ - ٢٧٤ - ٢٨٦
الشعيبة : ٨٥
الشماع ، هادي : ٢٧٦
الشهرستاني ، حبة الدين : ١٩٢
شوقي ، (احمد) : ٢٥٤
الشيرازي ، محمد تقي : ١٤٣ -
١٥٦ - ١٥٧

- ص -

- الصافي ، احمد = النجفي
الصافي ، محمد رضا : ١٤٢
صالح ، سعد : ١٤٦ - ١٦٢ - ١٦٣
صالح ، مهدي : ١٩١
صبري ، اسماعيل : ٢٥٤
الصدر ، محمد : ١٤٩
صدرالدين ، محمد : ١٥٨
الصرب : ٤٩ - ٦٢ - ٦٣ - ٧٥
١٢٩ -
صليوا ، داود ، ١١٨
صندل ، الشيخ (جامع) : ١٥٣
الصيدلي ، فاضل : ٢١١

عمانوئيل ، فكتور : ٦٠-٦١
 العمر ، ابراهيم حلمي : ١٤٠
 العمري ، خيرى : ٢٦٣
 العهد السرية (جمعية) : ١٣٩
 العوجة (واقعة) = الرميثة

- غ -

غليوم : ١٠٥ - ١٢٩
 غنام ، رزوق : ٢٦٣ - ٢٦٤

- ف -

فتوحى ، حكمت : ٦
 الفرات : ١٥٩
 فراير (اسرة) : ٦
 فرنسا : ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ١٥٥
 فرعون ، (فريق مزهر) : ٦
 الفضلي ، شكري : ٨٩
 فكتوريا (الملكة) : ١١٩
 الفكيكي ، توفيق : ٢٦٣
 فلسطين : ٢١٧

فصل (الاول) : ١٧٦ - ١٨٥ -
 ١٨٦ - ١٨٩ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢١٦
 ٢٣٢ - ٢٥٢ -

- ق -

القاضي ، مصطفى عبد الجبار : ٢٦٣
 القاهرة : ١٧٦
 قبرص : ٧٩ - ٢١٦

عبد ، محمد : ٢٥٤
 العبيد ، خيون : ٩٢ - ٩٣
 العبيدي ، محمد حبيب : ٢٥-٢٦
 - ٥٠ - ٩٣ - ٩٤ - ١٥٠ - ١٥١ -
 ١٩٢ - ٢٣٠

العذارى ، حسن : ٣٢-٣٥
 العريسي ، عبد الغني : ٢٤
 عزام ، حسن : ١٤٤
 العزى ، الأنسة ساجدة : ٦
 العسكري ، بكر صدقي : ١٨٨
 العسكري ، تحسين : ٥٠-٧٩
 العسكري ، سليمان : ٨٥-٨٦
 عصبة الامم : ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٥
 - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢٢٥ -
 العطار ، يوسف : ٢٥٢
 العظم ، حقي : ٢٣-٢٤
 علاء الدين ، علي : ٤٣-٤٤
 العلاف ، عبد الكريم : ١٥١-١٥٢
 - ٢٣٠ -

العلم (جمعية) : ١٣٩
 العوادي ، قاطع : ١٨٩
 علوان ، السيد نور السيد : ١٩٣
 علي (الملك) : ٢٥٢
 علي ، مصطفى : ٦-٣١-٤٦-١٠٧
 - ٢٦٣ -
 العمارة : ٢٧٦

كمال الدين ، حسين : ٢١١-٢٧٦
 كنه ، عبدالمجيد : ١٥٦
 الكوت : ٢٨ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٩
 ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤
 الكوفة : ١٦٠
 كوكس ، برسي : ١١٧ - ١٥٥
 - ١٦٦ - ١٧٥ - ١٨٣ - ١٨٤
 الكويت : ١٦٢
 كون ، داود : ٦
 كوكس (جون) ٦
 الكيلاني ، رشيد عالي : ١٨٨-٢١٧
 كيوم (الفرد) : ٦
 الكيلاني ، عبدالرحمن = النقيب

لندن : ٦٢ - ٩٦ - ١٠١ - ١١٨ -
 ٢٢٨
 لولا بوغاز (معركة) : ٦٤

- م -

مارشال (قائد) ٦٤
 المؤيد ، شفيق : ١٣٩
 المبعوثان (مجلس) : ٣٥
 التأسيس (المجلس) : ١٨٦ -
 ١٩٣-١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧
 - ١٩٨
 محمد (ص) : ٢٥ - ٤٨ - ٦٥

القحطانية (جمعية) : ١٣٩
 القره غول (محلة) ٢٨
 القره غولي ، عبدالستار : ٦
 القيسي ، احمد ناجي : ٦
 القرنة : ٨٤
 القزويني ، خضر : ٢٣٠
 القشطيني ، ناجي : ١٥١-١٥٣
 ٢٣٠
 قفطان ، حمزة : ١٩٢ - ١٩٨
 قفقاسيا : ٨٤

- ن -

كاشف الغطاء ، محمد حسين : ٥٧
 - ٥٩
 الكاظمية : ٢٩
 الكاظمي ، عبدالحسين : ٣٦-٤٢
 ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨
 الكاظمي ، محمد حسن الحداد :
 ١٥١

كامل ، حسين : ٩٠
 كراين : ٢٠٦ - ٢١٤
 كربلاء : ١٥٦
 الكرخ : ١١٩ - ١٥٣
 الكرخي ، الملا عبود : ٢٦٣-٢٦٥
 الكرمللي ، انستاس : ١١٥
 كلايتون ، كلبرت : ٢٢٧

- ٢٢٣ : الملا ، عبدالمجيد
 ١٣٩ : المتدى الادبي
 ٣٤ : المهدي ، القائم
 مود ، ستانلي : ١٠٦ - ١١٥ -
 ١١٩ - ١٢٠
 موسى (النبي) : ٢٢٦
 الموصل : ١٧ - ١٠٦ - ١٣٩ -
 ١٤٠ - ١٨٦ - ١٩٩
 الموصل ، محمد حبيب = العبيدي
 الموصل ، ملا عثمان : ١٥١
 مولود ، الأنسة فكتوريا : ٦
 ميسلون (معركة) : ١٧٦
 - ن -
 النائب ، عبدالوهاب : ١٤٩
 النادي العربي : ٥٠
 ناظم باشا : ١٣ - ١٩ - ٦٤ - ١٤٠
 ٢٥٩ -
 النبي = محمد (ص)
 النجار ، سليم : ١٣٩
 النجدي ، سليمان الدخيل : ١٤٠
 النجف : ١٧ - ٢٩ - ٣٢ - ٥٩ -
 ٩١ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٨
 النجفي ، احمد الصافي : ١٤٦ -
 ٢٢٠ - ٢٤٩ - ٢٦٢ - ٢٧٣ - ٢٧٦
 ٢٧٧ -
 ٩٩ - ١٤٧ - ٢٢٢ - ٢٥١ - ٢٥٤ -
 ٢٦٢
 محمد رشاد (السلطان) : ٢٢ -
 ٢٨ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٩ - ٦٢ - ٦٣ -
 ١٠٠ - ١٠٢
 محمد علي بك : ٩٦
 المحمودية : ١٧٣
 المختار ، توفيق : ١٥٣
 المدائن : ٩٦
 مدحت باشا : ١٧
 المدرس ، جميل : ٢٦٣
 المدرس ، فهمي : ١٤٠ - ٢٢٠
 مراکش : ٥٥
 مشتاق ، طالب : ١٤٨
 المشخاب : ١٧٣
 مصر : ١٩ - ٣٦ - ٥٠ - ٥٢ -
 ٥٤ - ٥٥ - ٦٨ - ٧٩ - ٩٠ - ١٣٨
 ١٣٩ - ٢٥١ -
 المصري ، عزيز : ٤٩ - ١٣٩
 مصطفى كمال باشا : ٤٩ - ١٠٦
 المظفري ، محمد رضا : ٢٧٦
 المغول : ١١٣
 مقدونيا : ٦٢
 الملاح ، محمود : ٢٠٤ - ٢٠٧ -
 ٢١٨ - ٢٣٠
 الملا ، عبدالحسين : ٢٢٠ - ٢٢٢ -
 ٢٧٧ -

١٢٢ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٨ - ٢١٢

- ٢٥٢ - ٢٥٥

هولاكو : ١١٥

الهويدر : ٢١٢

- و -

وارنر ، دورين : ٢٦٨

الواعظ ، مصطفى : ٢٥٧

الوطني العراقي (حزب) : ١٨٥

- ٢٠٩ - ٢١٧ - ٢١٨

ولسن ١٤٣ - ١٥٦

وهج ، حسين الحاج : ٢٧٦

- ي -

اليابان : ١٢٦

الياسري ، علوان : ١٨٩

اليقوبي ، محمد علي : ٢٩ - ٨٠ -

٩٧ - ١٠١ - ٢٣٠

يكن ، ولي الدين يكن : ١٤

يلدز : ٣٩ - ٤٠ - ٤١

اليمن : ٤٩

يوسف باشا : ٣٩

اليونان : ٤٩ - ٦٢ - ٧٩

النجفي ، محمد طاهر السماوي =
السماوي

نصرة ، كمال : ٢٣٠

نظيف ، سليمان : ٣١ - ١٠٧

النقشبندي ، سعيد : ١٤٩

النقيب ، طالب : ١٣٩ - ١٤١

النقيب ، (عبدالرحمن) : ١١٧ - ١٧٥

النهضة العراقية (حزب) : ١٨٥

نور الدين باشا : ٩٦

النائبي ، محمد حسين : ١٨٦

- ه -

الهاشمي ، رشيد : ٨٩

الهاشمي ، عبدالرزاق : ١٤٨ -

١٤٩ - ١٥١

الهاشمي ، محمد : ٢٨٥

الهاشمي ، ياسين : ١٩٥ - ٢١٣

- ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٢٢

هاملتون (قائد) : ٧٩

هناجم : ١٤٢ - ١٧٠ - ١٧٥

الهند : ١٤٢ - ١٧٠ - ١٧٥

الهنداوي ، خيري : ٣٣ - ٦٩ -

to Britain from the League of Nations. This was felt by all Iraqis to be a great burden and they struggled to get rid of it. The poetry of this period is full of words concerning this situation. We find mandate, advisory, parliament, foreign, freedom, independence, struggle, etc. All these words sum up the situation of Iraq in this period, which meaning we did not find in any previous period of Iraq's political history. We notice in that period that many poets appeared. This means that the mandate and occupation urged their spirit and sentiments to express themselves against the occupation.

The Fifth section dealt with a completely different field where we discussed the problem of social life in Iraq, such as the conditions of the peasantry, the emancipation of women, the poverty in the nation and the influence of all these factors on Iraqi poetry at that time. I described the part taken by every poet of the period and I have made researche into this problem and the amount of development which Iraq achieved under Ottoman time until the Second World War.

I have tried to be a historian and to expose all the influences which have combined in Iraqi poetry throughout the first half of the 20th Century.

Yusif 'Izz - al - Din

justice and progress within their country. They attacked the policy of Abdul Hamid, symbol of oppression, but they were disappointed when the Committee of Union and Progress took power and gave bad treatment to the Arabs. The tune of their happiness turned to sadness. In that period we saw the beginning of the Arab nationalised movement. Committees and parties were established demanding rights for their country and the result was the Arab revolution.

In the second section we dealt with the influence of the First World War and the change of the current of the nation's thoughts. They started to ask for independence and the British Occupation had a great influence on this current of thought.

Iraqi poetry described the great battles of the World War and mentioned the famous leaders and their battles.

I dealt in the Third section with the struggle between the Iraqi people and the British government. The British rulers wanted to make Iraq answerable to the Government of India, while Iraq wished for complete independence and the gap widened the British officials' cruel treatment of the Iraqis, especially by means of military force. Therefore, Iraqi poetry in this interval took the form of a national competition to spread enthusiasm against foreigners and that led up to the Iraq revolt of 1920, which led to sacrifices of wealth and blood on both sides.

This revolution shocked the Iraqi spirit and changed its ideas and content, even though the revolution did not succeed. The main result was the coming of King Faisal I to Iraq and the start of a new parliamentary rule. We found that poetry was full of words urging the people against foreign occupation. The poets did not care to select words and develop style, they merely urged their people to fight against the British occupation.

In the fourth section, it is shown that the Iraqis struggle for independence peacefully by delegations.

A treaty resulted which placed Iraq under Mandate

CONCLUSION.

I dealt in previous sections with the Social and Political Life in Iraq and its influence on Arabic poetry, giving a glimpse of the life and thought in each section as I covered the whole period.

We noted in the first section the confusion in public life pervaded as it was by corruption. Security, justice and education were lacking. Bribery of officials was rife; government influence inside and outside the major cities was considerable; the women did not take part in the general social life. These circumstances led to a period of decay in the Ottoman Empire. This decay had a great influence on Arabic poetry; in ideas, aim, style, meaning and vocabulary. The poetry served the Ruler and was not concerned with the nation because the rich gave money to poets only if they praised them.

Nationalism was not widespread and the tendency at that time was towards Islam because the Ruler gave his active support to it and this was the only link between the ruler and subject. They called anyone not believing in Islam an infidel. We found this tendency in the wars declared by the government against its enemies, for example the Balkan Wars, the Dardanelles and Tripolitania War.

Hope increased in the hearts of the Iraqis when the Ottoman Constitution was promulgated in 1908, for freedom, equality,

CONTENTS

<i>Preface</i>	<i>Page</i>
	3
<i>FIRST SECTION</i>	
(Iraqi Poetry during Ottoman Period)	
I The Social Problems	13
II Islamic Tendencies	21
III The Ottoman Constitution	32
IV The War of the Ottoman Government	48
<i>Second Section</i>	
(The Influence of the First World War)	
I The Important Battles	75
II The Events of Iraq	83
III The British Occupation	115
IV Peace and War	121
<i>Third Section</i>	
(Iraqi Revolt)	
I The Causes of the Revolt	137
II Prelude of the Revolt	146
III The End of the Revolt	155
IV The Throne of Iraq	175
<i>Fourth Section</i>	
(Iraq Political Problems)	
I Brief Survey of History of Iraq	183
II The Mandate and its Influence	189
III The Treaties and Politicians	197
IV Al Sa'dun and his Influence on Iraqi Poetry	225
<i>Fifth Section</i>	
(The Social Problems and the Influence on the Iraqi Poetry)	
I The Influence of Occupation	241
II The Emancipation of the Women	250
III The Rural Problems	267

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

LIBRARY OF THE UNIVERSITY OF CHICAGO
540 EAST 57TH STREET, CHICAGO, ILL. 60637

RECEIVED JAN 10 1964

1964

MODERN IRAQI POETRY

*THE INFLUENCE OF THE
POLITICAL AND SOCIAL TRENDS*

Dr. Yousif Izzidien

(B.A., M.A., PH.D.)

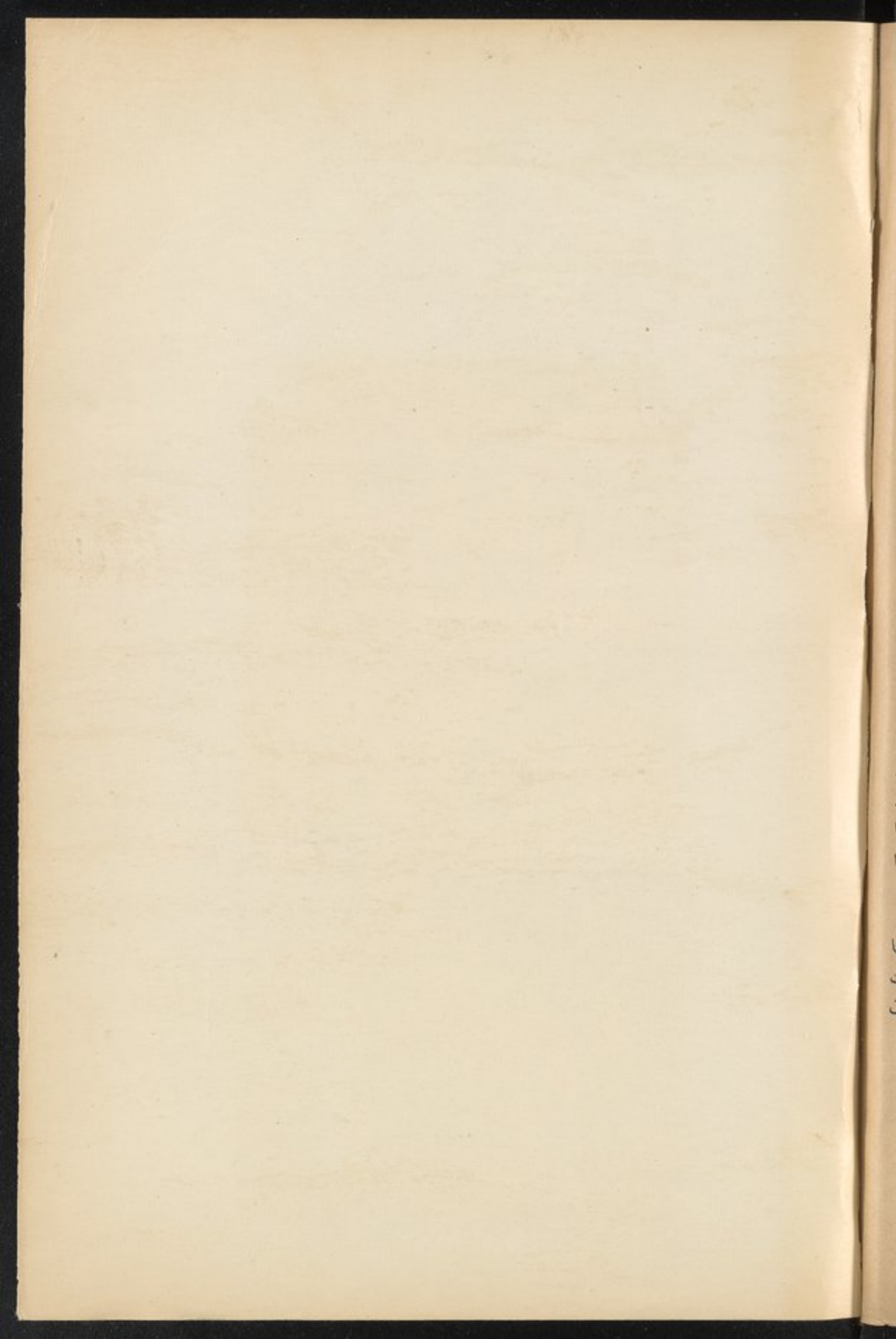
Faculty of Arts University of Baghdad

الصفحة السطر	الخطا	الصواب	الصفحة السطر	الخطا	الصواب
١٥١	٨	الظبا الظبي	٢٦٢	٦	بينها بينهما
١٦١	١٣	عن من	٢٦٢	١١	صامدون صامدين
١٦٦	١٣	به العدل العدل	٢٦٤	١٢	بالزهر بالزهرة
١٦٧	١٢	بل بل لم	٢٦٤	١٣	قوله من قوله
١٧١	٣	لها مكانتها لها مكانتها	٢٦٤	٢١	٨٧ ٣٧
١٧٣		حتى وحتى	٢٧٠	٨	ظهرانينهم ظهرانينهم
١٧٧	١٥	للحاكم الحاكم	٢٧٢	٢٠	التي الذي
١٩٠	١١	يقبلون يقبلون	٢٧٢	٢١	آراؤه آراؤه فيه
١٩٠	١٣	منقوص منقوص	٢٧٥	٦	خبراته خبراته
٢٠٥	٢٣	والذين واحتقر الذين	٢٧٥	١٨	ضروريات ضرورات
٢٠٧	٦	سبيلها سبيلها	٢٧٧	١٦	الحان الالحان
٢١٢	١٤	ضوامي ظوامي	٢٧٩	٥	بل بله
٢١٦	٤	بنود مافي بنود	٢٨٠	٢٢	كثيرة كثير
٢١٧	١٧	يشترك تشترك	٢٨١	٣ و ٤	الاورا الاوارا
٢٢٠	١٦	بهن وباسيادهن	٢٨١	١١	هو هي
		بهم وباسيادهم	٢٨٢	١٧	لها ٠٠ ابرازها
٢٤٩	١١	انشى انشا			له ابرازه
٢٥٢	٣	وبين و	٢٨٣	٩	اذ بينما
٢٥٢	٢٣	العطار العطا	٢١٥	١٥	على عن
٢٥٦		يضاف السطر التالي بعد	٢٨٦	٣	الفقراء الاغنياء
		السطر السادس :			وعند مراجعة الاعلام تبدل كل
		(العام مستعدا لكانت			صفحة ٦ الى صفحة ٨ ،
		هذه المظاهرة ضد			ويضاف الى معجم الاعلام :
		الرصافي لانه كان			بستانه : حسين ٢٣٤
		امبق في نشر شعره)			الدجيلي : باقر ٢٨٦

جدول بالخطأ والصواب

هناك بعض الهنات تركناها لفطنة القاريء

الصفحة السطر	الخطأ الصواب	الصفحة السطر	الخطأ الصواب
٨	كانت	٧٠	كانت
٨	أو ام	٨٤	فيه فيها
١٥	الاهليين الاهلين	٨٩	القتال الى القتال
١٨	بضرورة وبضرورة	٩١	عن من
٢٢	كان اكان	٩١	فيه القبائل القبائل
٢٢	أومن أم من	٩٥	يستفز يستنفر
٢٤	كعمل بعمل	١٠٠	على الى
٢٥	نثبت يثبت	١٠١	يستفز يستنفر
٢٦	يرون يروون	١٠٥	برتب برتبة
٢٧	الى على	١٠٧	التغلب التغلب
٤١	لاحقوه لاحقه	١٠٧	عكست عكس
٤٥	مم مع	١١٠	الاولى الاولى
٤٧	تفاغلتمو نشاغلتمو	١١٠	فاستشري فاستبشري
٤٧	تميز تميز	١١٣	واخرى اخرى
٥١	يكون يكونوا	١١٣	الحراب الحرب
٥٧	ليتشير ليستشير	١١٣	الذى يريد يريد
٥٧	صمتهم حميتهم	١١٤	صاحبهم صاحبها
٦١	عن على	١١٤	رسم رسموا
٦٢	على الى	١١٦	الامس الأمن
٦٢	فعمت فعم	١٣٠	عزى عزى
٦٢	يوهن توهن	١٣٨	اوطان اوطانا
٦٤	يكتب البيت كمايلي:	١٤٤	كلت كانت
٦٨	فاتركوا الايعاد يا ابناء حمراء العجان	١٤٩	يبذلون يبذلون
٦٨	من لا	١٤٩	شعر شعره
٦٨	سوى سود	١٥١	شغفنا شغفا
		١٥١	فلتنج فلتنج



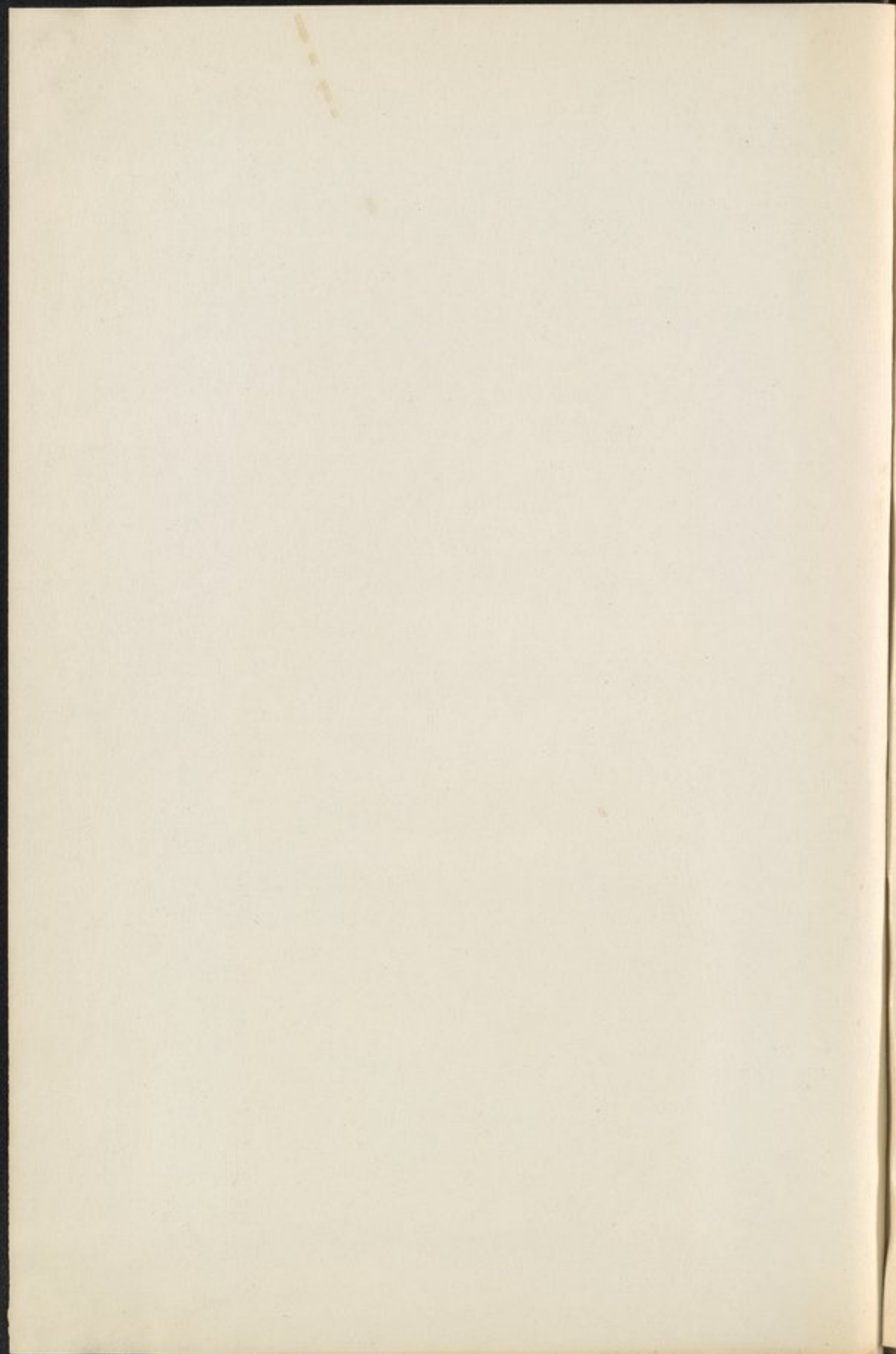
MODERN IRAQI POETRY

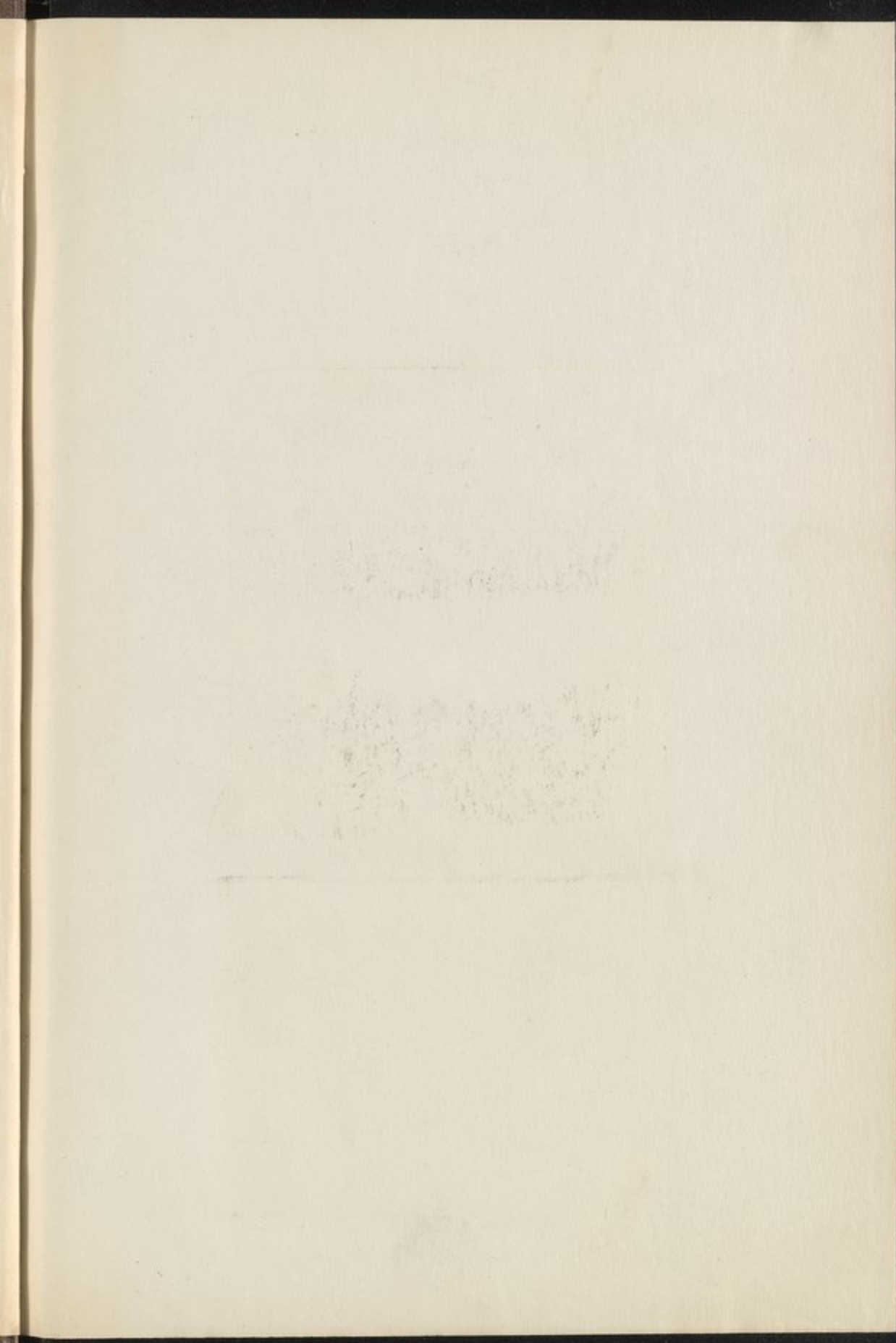
*THE INFLUENCE OF THE
POLITICAL AND SOCIAL TRENDS*

Dr. Yousif Izzidien

(B.A., M.A., PH.D.)

Faculty of Arts University of Baghdad





893.782
Iz9

DEC 3 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58888543

893.782 Iz9

Shir al-Iraqi al-had